أعلام المسلمين
١٠٠

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم الحسنين رضي الله عنهما

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

١٠٠

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم الحسنين رضي الله عنهما

بقلم

عبد الستار الشيخ

دار القلم

دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

بنت رسول الله ﷺ وأم الحسنين رضي الله عنهما

دار القلم
دمشق

أسسها: محمد علي دولة
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

الإهداء

- إلى زوجتي أم حذيفــة، وبناتي: آلاء وأســماء ولبابة وأروى ورزان ولجين.
- إلى كل فتاة وزوجة وأم..
- إلى كل داعية للإســلام ومعلِّمة للأجيــال وعاملة في ميادين الحياة التربوية والاجتماعية والإنسانية..
- إلى كل أنثــى ابتُليــت بنَقْصٍ من الأمــوال والأنفُس والثمرات..
- إلى كل صابرة مصابرة قانعة راضية مستبشرة..

إلى هــؤلاء الفُضليات الكريمــات أُهدي ســيرة الزهراء البتول لتكون لهن نِبْراســاً وقدوةً ومعلِّمــةً وهاديةً في طريق الحياة الطويل.

عبد الستار

هذه السيدة

•• قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

•• قال رسول الله ﷺ:

- «خيرُ نساءِ العالمين: مريمُ بنت عِمْران، وخَديجة بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون».
- «إنما فاطمة بَضْعَةٌ منِّي، يُرِيبُني ما أَرابَها، ويُؤْذِيني ما آذَاهَا».
- «فاطمة بَضْعَةٌ مني، يَقْبِضُني ما يَقْبِضُها، ويَبْسُطني ما يَبْسُطُها، وإنَّ الأنسابَ يوم القيامة تنقطعُ غيرَ نَسَبي وسَبَبِي وصِهْرِي».

•• قال أبو بكر الصديق لفاطمة في مرضها:

(واللهِ ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشــيرة إلا ابتغاءَ مرضاةِ الله ورسوله، ومرضاتِكم أهلَ البيت).

•• قال الفاروق عمر:

(يا فاطمــةُ، واللهِ ما رأيتُ أحداً أحَبَّ إلى رســول الله ﷺ منكِ، والله ما كان أحدٌ مــن الناس بعدَ أبيــكِ ﷺ أحَبَّ إليَّ منكِ).

•• قال علي بن أبي طالب لأحد تلامذته:

(أَلَا أُحدِّثُــكَ عنِّي وعــن فاطمةَ بنتِ رســول الله ﷺ، وكانت أحبَّ أهله إليه، وكانت عندي، فَجَرَّتْ بالرَّحى حتى أَثَّرتْ بيدِها، واسْتَقَتْ بالقِرْبةِ حتى أَثَّــرَتْ في نَحْرِها، وقمَّتِ البيتَ حتى اغبرَّتْ ثيابُها، وأَوقدتِ القِدْرَ حتى دَكِنَتْ ثيابُها، وأصابَها من ذلك ضُرٌّ! فسمعنا أن رقيقاً أُتِي بهم النبيُّ ﷺ، فقلتُ: لو أتيتِ أباكِ فســألتيه خادماً يكفيكِ، فأتَتْه، فوجَدتْ عنده حُدَّاثاً، فاسْتَحْيَتْ فرجَعَتْ).

•• قالت أم المؤمنين عائشة:

- (ما رأيتُ أحداً من الناس كان أشــبَهَ بالنبيِّ ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جِلْسَةً من فاطمة).
- (ما رأيت أحداً أشبَهَ سَــمْتاً ودَلّاً وهَدْياً برسول الله ﷺ في قيامِها وقعودِها من فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ).
- (ما رأيتُ أحداً قــطُّ أصدقَ من فاطمــةَ إلا أن يكون الذي وَلَدَها ﷺ).

•• قال الشاعر محمد إقبال:

نسبُ المسيحِ بنى لمريمَ سيرةً   بقيتْ على طولِ المدى ذِكراها
والمجدُ يُشرِقُ من ثلاثِ مطالعٍ   في مهدِ فاطمة فمــا أعلاها!
هي بنتُ مَنْ هي زوجُ مَنْ هي أمُّ من   مَنْ ذا يُداني في الفَخار أباها؟!
هي ومضةٌ من نورِ عينِ المصطفى   هادي الشعوب إذا تروم هداها

❁ ❁ ❁

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]...

والصلاة والسلام الأتمَّان الأكْمَلان على رسولنا محمد الذي أوصى بالثَّقَلَيْنِ من بعده؛ فأمر باتباعِ كتاب الله تعالى، وأوجَبَ إجلالَ أهلِ بيته الأطهار وإكرامهم وإعزازَهم وحُبَّهم ومناصرتهم، فقال: «**يا أيها الناسُ، إني قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به فلن تَضِلُّوا بعدي: الثَّقَلَيْن، وأحدُهما أكبرُ من الآخَر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعِتْرتي أهلُ بيتي، وإنهما لن يتفرَّقا حتى يَرِدا علَيَّ الحوضَ**».

وأثنى على أصحابه جميعاً ﷺ، وأمر بحبِّهم والاقتداءِ بهم، وامتَدَحهم فَعَمَّ وخَصَّ، وخَصَّ من الخواصّ بَضْعَتَه النبوية

وحبيبتَه الزهراء البتول فقال: «**فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنة، إلا ما كان من مريمَ بنتِ عمران**».

وبعد: فإن رسولَ الله محمداً ﷺ هو الحقيقة الكبرى للإنسانية، وسيرتَه هي الصورة العملية لرسالته الخالدة؛ تستمد الأجيال في أعصُرِها المختلفة منها نوراً يضيء لها آفاق الحياة. وسيرة زوجاتِه الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وبناتِهِ عليهن السَّلام؛ جزءٌ جليل من سيرته وقطعةٌ عظيمة من حياته، وحياةُ فاطمة الزهراء وسيرتها وشمائلها قبسٌ من أنوار النبوة وهَدْي الرسالة، تتجلَّى في آفاقها ملامحُ الهَدْي النبويِّ والتطبيقِ العملي، والأمثلةُ الشاهدة على صنعة المربي الأعظم ﷺ في بيته، وتلاحمُ المنهج المقروء المتلوّ مع الترجمة الواقعية والسلوكية لمبادئ الإسلام وحقائقه وطرائقه وأهدافه وغاياته وثمراته.

ومن هنا تكمنُ أهميةُ الكتابة في سيرة امرأة من بيت النبوة، كانت أحبَّ بناته ﷺ إليه، وعاشت معه جميعَ مراحل الدعوة، وكان فيها امتدادُ ذريته الطاهرة من بعده.

أحبَّها النبي ﷺ حبّاً زائداً عن بقية بناته، كما أَحَبَّ ذرِّيتَها وعلى وجه الخصوص ريحانتَيْه من الدنيا: الحسن والحسين. وكان يُجلُّها ويُكرمها إكراماً عظيماً، وإذا أتت إليه قام من

مجلسه فقَبَّلَها وأجلَسَها مكانه، وكانت هي تفعل به مثل ذلك.

ومن أروع مظاهر حبّه لها أنه صرَّح على الملأ بأنها بَضْعةٌ منه وقطعــةٌ من حياتــه، وأنه ﷺ يغضَــبُ لغضبِهــا ويَرْضى لرضاها، يُرِيبُه ما أَرَابها ويَحْزُنه ما يَحْزُنها، وتجلَّى ذلك على نحو فذٍّ لمَّا عَلِم أن صهــرَه الجليل علي بن أبي طالب يرغب بالزواج عليها من بنت أبي جهل؛ فارتاع ﷺ لذلك وأباهُ أشدَّ الإباء، وقام فــي الناس خطيباً فصَرَّح ولــم يُلَمِّح فقال: «**والله لا تجتمعُ بنتُ رسول الله ﷺ وبنتُ عدوِّ الله أبداً**».

وقال: «**إنَّ بني هشــام بن المُغيرة اســتأذنُوني في أن يُنْكِحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب؛ فــلا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ! إلا أنْ يريد ابــنُ أبي طالب أن يطلِّــق ابنتي ويَنكِــحَ ابنَتَهم، فإنما هي بَضْعَةٌ منِّي يُرِيبُني ما أَرَابَها، ويُؤْذِيني ما آذاها**».

وزاد ﷺ من إجلاله لابنته بأن عدَّها إحدى أربع نسوة هنّ خيرُ النساء، وبشَّــرها بالجنة، بل هي واحدة من سيدات أهل الجنة، كما أن شِــبْلَيْها الحســن والحسين ســيدا شباب أهل الجنة.

ومع تلك المنزلة الرفيعــة وذلك الثناء العريض، كان ﷺ يترقى بابنته ـ وجميــع أهل بيته ـ إلى مراقي الفلاح والتقوى والنُّبل وأفضل الشِّــيَم والشــمائل، فتراه يقول لها: «**يا فاطمةُ**

بنت محمد أنقِذي نفْسَكِ من النار، فإني لا أَمْلِكُ لك ضَرّاً ولا نفعاً».

لذا ربّاها على الطُّهر والعفاف، والزهد والقناعة، والرضا باليسير، والبذل والعطاء، والرغبة فيما عند الله، ويتجلّى ذلك في عيشها الخشن، وعندما جاءه ﷺ السَّبْيُ أتت إليه كي يُعطيها خادماً تُعينها، أبى ذلك وقال: «**والله لا أُعطِيكما وأَدَعُ أهلَ الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم لا أجدُ ما أُنفِق عليهم**»! ودلَّها هي وزوجها على ما هو خير من ذلك، فعلَّمهما الأذكار دُبُر الصلوات وعند النوم!.

هكذا يكون العظماء والمسؤولون وأولادُهم في نظافة أيديهم من أموال الأمة، ويتقدَّمون الناسَ في أجمل الصفات وأكرم الشمائل، مثلَ ما يشاركونهم في ظَلَافة عيشهم وخفَّة معاشهم، لأنهم قدوة الأمة ومحطُّ أنظارها.

في هذا البيت وعلى هذا الهَدْي نشأت فاطمة الزهراء وعاشت مع أبيها ﷺ جميع مراحل الدعوة في قسوتها وابتلاءاتها بمكة، ثم الهجرة، وبعدها في المدينة حيث بناء الدولة والغزوات لترسيخ أركان الرسالة في جنبات الجزيرة العربية.

وشاركت في مجريات حياته ﷺ وأيامه وساعاته، وكانت

إلى جانبه دوماً تخدمه وترعاه وتُنصت إليه وتتعلَّم منه وتقتدي به؛ فكانت أروعَ أنموذجٍ للبنت المسلمة ثم الزوجة فالأم التي ترعى أبناءها وتقوم بحق زوجها وأبيها ودينها في آنٍ واحد، وكانت قبَساً من نور النبوة، وصورة ناطقة عن هدي الرسول الأعظم في صفاته الخَلْقية والخُلُقية، وتُشبه أباها ﷺ في هيئته ومنظره، وهَدْيه وسَمْتِه، وسكينته ووقاره، وحديثه وكلامه، ومِشيته وجِلْسته، وشمائله الكريمة.

لأجلِ ذلك كله تُعتبر السيدة الزهراء قدوةً مُثلى للمسلمات في كل عصر ومصر، وفي كل بيت وبيئة ومجتمع، ولكل مرحلة عُمْريّة للأنثى وهي صغيرة ثم فتاة ثم امرأة، بنتاً كانت أو زوجة أو أختاً أو أمّاً، غنية كانت أو فقيرة، في أسرة مسؤول كبير أو رجلٍ من عامة الأمة... كما أنها قدوة جليلة وأسوة رفيعة لمن ابتُلِيتْ بضِيقِ المعاش، أو قسوة الحياة، أو جَوْرِ الأعداء، أو فَقْد الأحباب، أو الهجرة والتشرد من الوطن إلى الأرض الواسعة من بلاد الله تعالى!.

وإن سيرة فاطمة البتول فيها من الأحداث والحوادث، والوقائع والمواقف، والدروس والعِبَر؛ ما يُغذي الفكر ويُسعد القلبَ ويسلّي النفسَ ويَشحذ الهممَ ويُنير السبيلَ مهما اعتَوَرَتْه الآلام والابتلاءات ونَغَّصَتْه الأحزان والمشقات!.

سيرة مشرقة بجلائل الأعمال، غنية بأروع البطولات، ثَريَّة بأنفع الحِكَم والعِظات، مجمَّلة بأنْبَل الأخلاق، متوَّجة بأطيب الثمرات.

لكن مع جلالة السيدة فاطمة ومكانتها، ومع جمال سيرتها وأهميتها؛ فإن مما يَفجأُ المرءَ ويَحْزُنه كثرةُ ما اعتراها من تشويه وتزوير، وما حُشِد وحُشِر في صفاتها ومناقبها وأعمالها من أكاذيب وأباطيل وَصَلتْ بها إلى أن زُعم لها بعضُ صفات العليم الخبير!.

تجدُ ذلك حيث تطالع مصنَّفات (الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة) وكتب (الرجال والمجروحين)، ومرويات التواريخ والسِّيَر والأدب ونحوها، فَيَهُولك الركام الكبير من الأخبار الموضوعة والآثار المكذوبة على أهل البيت عامة وفاطمة وولَدَيْها خاصة.

أما ما كتبه الشيعة قديماً وحديثاً فالخَطْب فيه كبير، والكلام فيه طويل، والبحث فيه لا ينتهي إلى جدوى، لكن لا بدّ من التنبه له والتحذير منه.

وحسب القارئ أن يطَّلع على كُتب القوم (الأصول المعتمدة) عندهم منذ (عصر التأسيس)، وهلمَّ جرّاً إلى عصرنا؛ ليرى أن فاطمة عليها السلام ـ وبكلمة مختصرة ـ

كأنها ليست من البشر، بل هي فوقهم ومغايرة لهم في طبيعتها وصفاتها وأعمالها ومنزلتها:

فهي (حَوْراءُ إنْسيَّة) خلقها الله قبل الخَلْق، وهي مقدَّمة على الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ومفروضة الطاعة على جميع مَن خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة، وهي تعلمُ ما كان وما يكون، وقد خصَّها أبوها ﷺ بعلوم مسطورة في (لوح فاطمة) فيه اسمُها واسم بَعْلها واسم ابنيها والأوصياء الاثني عشر من ولدها، ونزل عليها الوحي جبريل عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ بمصحف يسمَّى (مصحف فاطمة) هو ثلاثة أضعاف القرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وليس فيه حرف مما في أيدي الناس من القرآن! وأنه سبحانه وتعالى خلق فاطمة والأئمة الاثني عشر من نور عظمته، وصوَّر خَلْقَهم من طينة خاصة فهذه أعلى الطينات، والطينة الثانية خَلَق منها الشيعة والأنبياء، والطينة الثالثة هي أدنى الطينات خَلَق منها سائرَ الناس!.

ومثل هذا الكلام ليس موجوداً في كتب بعض المغمورين أو عامة الرافضة، بل في كتابهم الأول المعتمد عندهم وهو (الكافي) للكُلِيني الذي يوازي ـ وأستغفر الله من المقارنة ـ (صحيح البخاري) عند أهل السُّنَّة!.

وهذه الصورة القاتمة للافتراء تمثّل جانباً من السيرة الشائهة للسيدة الزهراء، وقريب منها في الدسّ والافتراء والتشويه في بقية محاور سيرتها وحياتها وشمائلها وصفاتها!.

والحق المرُّ أن هذا ليس قاصراً على المتقدمين من الإمامية الاثني عشرية ـ الذين هم عُظْمُ الشيعة ـ بل مستمرّ في الأَخْلَاف في مختلِف مراحل تاريخهم وكتبهم وأدبياتهم، إضافة إلى أن زاوية الانحراف تزداد بمرور الزمن، حتى إذا وصلنا إلى أمثال (محمد باقر المَجْلِسي) و(عبد الله شُبَّر)؛ يتوجب على القارئ لكتبهم أن يمسك نفسه ويتفقد عقله وهو يطالع ما كتبوه.

وأذكر هنا مثالاً لأحد مؤلفيهم المعاصرين الذي صنّف كتاباً سماه: (فاطمة بنت محمد قدوة النساء)، وأقام (بحثه!) على مراجعهم المعتمدة، وأشير إلى رؤوس موضوعاته ومسائله:

- فاطمة (حَوْراء إنْسيَّة) فهي إلى جانب إنسيتها تحمل صفات الملائكة، وخَلَقها الله قبل السموات والأرض.
- فاطمة محدَّثة، وكان جبريل يأتيها ويعزِّيها بوفاة أبيها ﷺ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيَّتها.
- فاطمة لها ولاية وقدرة تكوينية على التحكم والتصرف بأشياء الكون والمخلوقات.
- فاطمة قدوة للناس آدم فمن دونه.

- اسمُ فاطمة مكتوب على باب الجنة والعرش، وهي أول من يدخل الجنة، وتقدم يوم القيامة على نَجيب عن يمينها ويسارها سبعون ألف مَلَك.
- من نورها خَلَق الله السماوات والأرض، ولما وُلدت أضاءت بيوت مكة، وكانت أم المؤمنين عائشة تخيط وتغزل وتنظم الإبرة على ضوء وجه فاطمة.
- توسّل الرسل والأنبياء بفاطمة وآل البيت.
- فاطمة كالأئمة والنبي ﷺ في: الطاعة، والعصمة، والخلافة، وتبليغ الرسالة.
- النبي ﷺ هو الشمس، وعلي القمر، وفاطمة الزُّهَرَة، والحسن والحسين الفَرْقدان.
- نزلت في حقِّها أكثر من (ثلاثين آية)، منها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾؛ فالليلة هي فاطمة، والقَدْر هو الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر.
- فاطمة تعلَمُ الغيب، وتعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.
- كانت فاطمة مع أبيها ﷺ وزوجها والحسن والحسين يسبِّحون حول العرش وتسبِّح الملائكة بتسبيحهم قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام.

- كانت تعبد الله وتصلّي قبل خلق الخلق وفي بطن أمها وعندما وُلدت وفي الدنيا وقبل وفاتها وعند وفاتها وماتت وهي ساجدة.
- وقد علَّمها جبريل الصلاة.
- يوم القيامة تُخرج من النار مَن كُتب بين عينيه: محبّ فاطمة... إلخ.

هذه صورة مختصرة لِما يقدِّمه الشيعة عن هذه السيدة الجليلة التي برأها الله تعالى من كل زُور وافتراء وكذِبٍ عليها، يأباه الحق والإسلام، كما يأباه النبي ﷺ، وترفضُه هي عليها السلام في طهارتها وإيمانها ووفور عقلها وبراءتها من كل ما يجعلها فوق صفات البشر، مما افتُري عليها مثلَ ما افتَرتِ النصارى على المسيح ابن مريم وأمِّه!.

وقد ألمحتُ بهذه الكلمة الموجزة جدّاً عما يَشيع وينتشر في كتب هؤلاء؛ لأدلَّ ولأنبِّه على الرُّزْءِ الكبير الذي ابتُلي به آلُ البيت الأطهار، كما ابتُليت به أمتنا وتراثنا وتاريخنا وأجيالنا؛ بما يُشاع بينهم من هذا النمط من التربية والتوجيه الذي يهزأ بالعقول وينحطُّ بالتفكير إلى دَرْكٍ من السَّذَاجة يصل بالبشر إلى درجة التأليه أو ادعاء الملائكية لهم! وقد ثبت في التاريخ الصحيح وعند ذوي العقل السليم والتفكير

المستقيم أن فاطمة وُلدت على تراب مكة من رحم الطاهرة خديجة ونشأت وترعرعت وشبَّتْ وكَبِرت مثلَ ما تكبر وتعيش بنـاتُ آدم، غيرَ أن الله تعالى أكرمها بأنها بنتُ رسول الله ﷺ ومن الآل الأطهار الذين لهم المكانة السامقة في قلوب المسلمين دونما غلو ولا انحراف.

من هذا (التراث الإمامي الاثني عشري) ومن كُتب أهل السُّنَّة التي شملت كتب الحديث المشهورة ـ الصحاح والسنن والمسانيد ونحوها ـ وكتب التراجم والتاريخ والرجال والسير القديمة والحديثة؛ نقَّبتُ في مطاويها وبطون صفحاتها، واستخلَصتُ هذا الكتاب الذي أقدِّمه للمسلمين عامة وللمسلمات خاصة ـ صغيرات وشابات وزوجات وأمهات ـ ليكونَ زاداً لهم للتعرف على سيرة امرأة لها في قلوب المسلمين على مرِّ تاريخهم المكانةُ السامية والمحبة التامة والإجلال العظيم، مع الترضي عنها والسلام عليها عند تلاوة سيرتها أو ذِكْر اسمها أو في تشهد الصلوات بُكرة وعشيّاً.

وعلى طريقتي في البحث والتصنيف مشيتُ مع صاحبة السيرة عليها السلام منذ ولادتها فنشأتها وتربيتها وأسرتها وأعمالها ومواقفها ووداعها إلى دار الخلود، مع الوقفات الطويلة والمتأنية والتمحيص والنقد لِما حُشد في سيرتها من

أباطيل، متحرِّياً وجْهَ الحق وملازمةَ الإنصاف واتباعَ هدي السُّنَّة وتبرئة صاحبة الترجمة مما يأباه الإسلام ونبيه ﷺ.

ومن جميل الأقدار أن تكون ترجمة السيدة فاطمة بعد ترجمة زوجها أمير المؤمنين علي ﵁، وأن الكتابين يخرجان معاً في قَرَن، وأن هذا الكتاب عن (فاطمة) قد تبوَّأ الرقم (١٠٠) في (سلسلة أعلام المسلمين)، فخَتَم المئةَ الأولى من مسيرة هذه السلسلة النافعة؛ فكانت (فاطمةُ) خاتمةَ هذه المئة و(فاطمةً) لها!.

ولعلَّ من حُسن التقدير والتوفيق كذلك أن تبدأ هذه السلسلة برجلٍ مبارك هو الإمام الأجلّ (عبد الله بن المبارك)، وتنتهي المئة الأولى بامرأة طاهرة مباركة من بيت النبوة هي (الزهراء البتول)، فتكون هذه المئة قد ابتدأت برجل وانتهت بامرأة، والنساء شقائق الرجال.

ولله تعالى في تدبيره وتقديره حِكَم وعِبَر وعِظات.

وإنني لأرجو أن يكون هذا الكتاب قد جلَّى شخصيةَ السيدة فاطمة عليها السلام في مختلِف جوانبها ومحاورها، ونَفَى عنها كثيراً من الأباطيل والافتراءات التي تسللت إلى سيرتها، وقدَّم زاداً صافياً نقيّاً وافياً عن حياتها ومكانتها؛ لتكون المرأة المسلمة على هُدًى وبصيرةٍ وهي تتلو صحائف

سيرة الزهراء، ويكون اقتداؤها بها على الهدي الصحيح الذي جاء به القرآن وأصَّلَه النبي ﷺ وترجمَتْه السيدة درَّة آل البيت عليهم السلام على أحسن وجه وأكمله.

وإنني لأسأل الله العظيم أن يكون هذا الجهد سبباً موصولاً برسـول الله ﷺ وأهل بيته؛ حُبّاً وإجلالاً لهم، وخدمةً أتشرف بها في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

كما أسأله تعالى بأسمائه الحسـنى أن يتقبَّله مني ويجعلَه في صحيفة حسناتي يوم ألقى وجهه الكريم، ويكون في العلم الذي يجري أجره إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات، وبكرمهِ تُستجاب الدعوات.

عبد الستار الشيخ

الباب الأول

أخبار الزهراء الشخصية وأسرتها

- اسمها ونسبها وكنيتها وألقابها.
- أبواها.
- مولد الزهراء المبارك وأصلها الشريف المنيف.
- صفتها وحليتها.
- زوجها وأولادها.
- إخوة فاطمة وأخواتها.

• • •

الإمامية - في «باب نوادر المعاني» من كتابه «معاني الأخبار» الحديث التالي:

(عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن جدِّه علي زين العابدين، قال: قال رسول الله ﷺ: خُلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تُخلق الأرض والسماء...)، فذكر خبراً طويلاً وفيه تسميتها: (المنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة، قال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل، ولِمَ سُمِّيت في السماء: «المنصورة»، وفي الأرض: «فاطمة»؟ قال: سمِّيت في الأرض «فاطمة» لأنها فَطَمت شيعتها من النار، وفُطِم أعداؤها[1] عن حبِّها! وهي في السماء: «المنصورة»؛ وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤ - ٥]، يعني نصر فاطمة لمحبِّيها!)[2].

وهو خبر طويل جاء بروايات مقاربة في كتب «الأحاديث الموضوعة»[3].

---

(١) في الأصل: أعداءها!.

(٢) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ - ٣٩٧. وسيأتي الخبر بتمامه: ص ٢٦٨ - ٢٦٩ في هذا الكتاب.

(٣) انظر مثلاً: تنزيه الشريعة: ٤١٢/١ - ٤١٣ رقم (١٤، ١٥).

ثانياً: كُنيتها:

كانت السيدة فاطمة تُكنى **أمَّ أبِيها**، ذكر ذلك غير واحد ممَّن ترجم لها، ولم أجد مخالفاً لهم في ذلك[١].

وكأن رسول الله ﷺ لشدّة حبِّه لابنته فاطمة وهي أصغر بناته ـ ومن عادة الآباء اهتمامهم الزائد بأصغر أولادهم ـ أراد أن يغرس في نفسها ويرى فيها أكرمَ غراس النبوَّة، فتكون صورة ناطقة عن هَدْي أبيها. وأيضاً فقد كانت تقوم بدور الأم الرؤوم التي تخدم النبي ﷺ، وتحرسه عيناها، وتمسح جراحه كما ظهر ذلك منها عندما عَدَتْ قريش عليه بمكة، وفي غزوة أُحد لما جُرح كانت تضمّد جراحه، وفي آخر حياته توجعت عليه ونادته بكلمات والهة ورَثَتْه بقلبها وروحها ودموعها ولسانها؛ فكانت ابنة وأمّاً معاً!.

ولعل الغيب قد كُشف له ﷺ فعلِم بأن هذه الثمرة الطيبة (فاطمة) ستكون آخر بناته وفاة، وسيرزقه الله منها الذرية الطاهرة التي يستمر بها عقبُه المبارك الذي يفيض بنور الهدى وتعاليم الرسالة، فجرى على لسانه الشريف كنية فاطمة: (أم أبيها)[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢؛ الإصابة: ٣٦٥/٤؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٦/١١.

(٢) انظر: فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يماني، ص ٢٩.

ثالثاً: ألقابها:

١ ـ لقبها (الزهراء):

ذكره ابن حجر وغيره[١].

والزهراء: مؤنث الأزهر، وقد جاء في صفة سيدنا رسول الله ﷺ أنه أزهر اللون؛ أي: أبيض مشرق الوجه مستنير صافٍ.

ومعنى الزهراء: بيضاء مشرقة الوجه مستنيرة، فهي مثل أبيها ﷺ.

٢ ـ لقبها (البَتُول):

أصل البَتْل: القَطْع، وتبتَّل إلى الله: انقطع وأخلص.

والبتول من النساء: المنقطعة عن الرجال لا أَرَب لها فيهم، وبها سُمِّيت مريم أم المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. والبتول: المنقطعة إلى الله ﷿ عن الدنيا.

وفي ضوء معاني مادة (بتل)، فالمعنى اللائق بحال السيدة فاطمة هو ما ذكره أحد العلماء: فقد سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة رضوان الله عليها: لِمَ قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحَسَباً[٢].

---

(١) الإصابة: ٣٦٥/٤؛ تهذيب التهذيب: ٤٦٨/١٢.

(٢) لسان العرب: ٤٢/١١ ـ ٤٣.

الفصل الثاني

أبواها

أولاً: أبوها محمد رسول الله ﷺ:

سـيد الخلق، ومنتهى الكمال الإنساني، ونبراس البشرية، وإمام أئمتها، وهادي هداتها، وصفوة صفوتها، وبؤرة أنوارها، ميزان الحق، ومعيـار التقوى، ومعدن الصـدق، وقمة النبل، ولباب الرحمة، وذروة الكرم والسـماحة والشجاعة والمروءة، ومنبع الخيرات، وفيض المكرمات...

أكمل الخلق روحاً وعقلاً، وأعلاهم قدراً وذِكْراً، وأشرفهم مجداً وعزّاً، وأهداهم طريقاً وهديـاً، وأكرمهم أصلاً ومَحتِداً، وأعزهم بيتاً ومنبعاً.

أدَّبه ربه فأحْسَن تأديبه، وربّاه فأكمل تربيته، وألبسه خِلَع رأفته ورحمته فكان الـرؤوف الرحيم بالمؤمنين، والمرسَـل رحمةً للعالمين، وشـرح له صـدره، ورفع له ذِكْـره، وتخيَّره واصطفاه من مُصاصة العرب طُهراً وعزّاً وشـرفاً ونُبلاً ومنزلة، فهو ﷺ خيار من خيار.

وقد ثبت عنه ﷺ: أنه قـال: **«إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيّدُ ولد آدم ولا فخرَ، وأولُ من تنشقُّ عنه الأرض، وأول شافع، وأول مُشَفَّع»**(١).

ثانياً: أمها خديجة بنت خويلد:

هي خديجـة بنـت خُوَيلد بـن أسَـد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية.

تجتمع مع رسول الله ﷺ في النسب الشريف: في (قُصيّ) من جهة أبيها، وفي (لؤي) من جهة أمها.

فهذه السيدة قرشـية أباً وأمّاً، وهي من الذؤابة في قريش نسباً وبيتاً ومَحْتِداً وشرفاً ومكانة.

قـال ابـن هشـام فـي أثنـاء حديثه عـن زواجهـا من رسول الله ﷺ: (وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسباً، وأعظمهنَّ شرفاً، وأكثرهن مالاً)(٢).

تزوَّجها النبي ﷺ وعمره الشريف (٢٥) سنة، وأما هي فقد

---

(١) أخرجه مسـلم (٢٢٧٦)؛ والترمـذي (٣٩٣٢)؛ وابن حبـان (٦٤٧٥) واللفظ له.

(٢) السيرة النبوية: ١/١٨٩.

بلغت من العمر (٤٠) سنة[١]. وجميع أولاده منها سوى إبراهيم فمن مارية القبطية.

وكانت خديجة رضي الله عنها من فُضليات النساء وسيدات قريش، كاملة العقل، سديدة الرأي، كريمة الخصال، نبيلة الأفعال، طاهرة السيرة، سَريَّة ثرية تاجرة جليلة، اشتهرت في الجاهلية والإسلام بـ(الطاهرة)، وكانت تسمى (سيدة نساء قريش).

وهذه الخصال الرفيعة والصفات الفائقة جعلَتْها تسبق الخلق إلى الإسلام عندما بُعث محمد رسول الله ﷺ وأكرمه الله بالرسالة، وقد أجمع أهل العلم من أئمة الإسلام على أن خديجة كانت أول البشر قاطبة إيماناً بالله ورسوله[٢].

قال ابن هشام: (آمنت به ﷺ خديجةُ بنت خويلد، وصدَّقت بما جاءه من الله، ووازرَتْه على أمره، وكانت أولَ من آمن بالله وبرسوله وصَدَّق بما جاء منه. فخفَّفَ الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيبٍ له، فَيَحزُنه ذلك؛ إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّته وتخفِّف عليه، وتصدِّقُه وتهوِّن عليه أمرَ الناس، رحمها الله تعالى)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١١١/٢؛ أسد الغابة: ٤٣٥/٥؛ الإصابة: ٢٧٣/٤.
(٢) محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٥٠٨/١.
(٣) السيرة النبوية: ٢٤٠/١.

وقال ابن الأثير في ترجمتها: (أولُ خلقِ الله أسلَمَ بإجماع المسلمين، لم يتقدَّمْها رجل ولا امرأة)[١].

وكانت السيدة خديجة ﵂ وزيرةَ صدقٍ للنبي ﷺ على دعوته، تواسيه وتخفِّف عنه مواجعَ ما يلقى من الناس، فيسكن إليها، وتطمئن نفسه إلى مواساتها، ويستعيد نشاطه، بما تصبُّه في قلبه من حنان الزوجة التي تَقْدُر حياة هذا الزوج الأكرم حق قَدْرها، وتعرف له مكانته في حمله أعظمَ أمانة حملها كاهل بشر في الحياة.

وقد قضت السيدة خديجة ﵂ في كَنَف رسول الله ﷺ أشقَّ مراحل الدعوة، ودخلت معه حِصار الشِّعْب، تشاركه آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة محتسبة. وبعد الخروج من الحصار بقليل لبَّتْ نداءَ ربها راضية مرضية، مبشَّرة من سيد الخلق زوجِها الحبيب الرسول الكريم بالنعيم المقيم في فراديس الجنان[٢].

عن أبي هريرة ﵁ قال: (أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ[٣] فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجةُ قد أتَتْ معها إناء فيه إدامٌ أو طعامٌ أو

(١) أسد الغابة: ٥/٤٣٤.

(٢) انظر: محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٢/٣٠٦ ـ ٣١٠.

(٣) في رواية الطبراني: (وهو بغار حراء).

شــرابٌ، فإذا هي أتتــكَ فاقرأْ عليها السَّــلامَ مــن ربِّها ومنِّي، وبَشِّرْها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ)(١).

وعن أم المؤمنين الصدِّيقة عائشــة رضي الله عنها قالــت: (ما غِرْتُ على أحدٍ من نساءِ النبي ﷺ ما غِرتُ على خديجةَ، وما رأيتُها، ولكنْ كان النبي ﷺ يُكثِر ذِكرها، وربَّما ذَبح الشاة ثم يُقطِّعُها أعضاءً ثم يبعثُها في صَدَائقِ خديجــة، فربَّما قلت له: كأنّه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجةُ؟! فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولدٌ**»)(٢).

وروى أبو كُرَيْــب، عن أبي أســامة ووكيع بــن الجراح وغيرِهمــا، عن هشــام بن عــروة، عــن أبيه، قال: ســمعتُ عبدالله بن جعفر يقول: ســمعتُ عليَّ بن أبــي طالب بالكوفة يقول: سمعت رســولَ الله ﷺ يقول: «**خيرُ نســائِها مريمُ بنتُ عِمْرانَ، وخيرُ نســائها خديجةُ بنتُ خُوَيْلد**» قــال أبو كُرَيْب: وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)؛ ومســلم (٢٤٣٢)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٣٠٠)، وغيرهم.

(٢) أخرجــه البخــاري (٣٨١٨)؛ ومســلم (٢٤٣٥، ٢٤٣٦)؛ والترمــذي (٢١٣٦، ٤٢١٣)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخــاري (٣٨١٥)؛ ومســلم (٢٤٣٠)؛ والترمــذي (٤٢١٥)، وغيرهم.

وعن عمار بن ياسر، عن النبي ﷺ قال: «**لقد فُضِّلَت خديجةُ على نساء أمتي كما فُضِّلت مريمُ على نساء العالمين**»(١).

ومن كرامتها عليه ﷺ أنها لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قطُّ، ولا تسرَّى إلى أن قَضتْ نحبَها، فوَجَد لفقدِها، فإنها كانت نِعم القرينُ، وكانت تُنفِق عليه من مالها، ويتَّجِر هو ﷺ لها(٢).

مكثت عند رسول الله ﷺ زوجة أمينة وفيّة خمساً وعشرين سنة، خمس عشرة منها قبل النبوة، وعشراً من سِني الدعوة بمكة، وتوفِّيت قبل الهجرة بثلاث سنين، وعمرها (٦٥) سنة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البزار والطبراني، وقال الحافظ: حديث حسن الإسناد. الفتح: ٧٦٦/٨، شرح الحديث (٣٨١٥).

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١٠/٢.

الفصل الثالث

مولد الزهراء المبارك وأصلها الشريف المنيف

من هاتين الشجرتين المباركتين المُعْرِقتين في الشرف والنُّبل والطهر والمكارم والكمال الإنساني؛ انبثق أصلُ فاطمة البتول، وبَسَقت في سماء مكة وبطون قريش، فكانت منها شجرة مباركة ما لبثت مع السنين أن أخرجت شَطْأَها وآتت ثمارَها؛ فكان منها الذرية الطاهرة التي استمرَّ بها عَقِبُ النبي ﷺ.

قال أبو جعفر الباقر: (دخل العباس على علي بن أبي طالب وفاطمة وهي تقول: أنا أسنُّ منك، فقال العباس: أمَّا أنتِ يا فاطمة فوُلدتِ وقريشٌ تبني الكعبة، والنبي ﷺ ابنُ خمسٍ وثلاثين سنة، وأمَّا أنتَ يا علي فوُلدتَ قبل ذلك بسنوات)[1].

فهذا يدل على أنها وُلِدت قبل البعثة بخمس سنين، وعمرُ أبيها ﷺ (٣٥) سنة، وذكر ذلك غير واحد[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨؛ مختصر ابن عساكر: ٢٦٩/٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ١٩/٨؛ مجمع الزوائد: ٢١١/٩؛ الإصابة: ٣٦٥/٤.

وقيل: وُلدت في الإسلام وسِنُّ رسول الله ﷺ (٤١) سنة[١].
وما تقدَّم هو الصحيح، وعليه جمهرة المؤرِّخين وكُتَّاب السيرة.

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعَتْه إلى من يرضعه، فلما وَلدت فاطمة لم يرضِعْها أحد غيرها[٢].

وللشيعة في كل باب أباطيل، ومن ذلك ما جاء في (تاريخ مولد الزهراء):

روى الكُلِيني بسنده: عن أبي جعفر الباقر، قال: (وُلدت فاطمة بنت محمد ﷺ بعد مبعث رسول الله بخمس سنين! وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً)[٣].

وروى الفيض الكاشاني من رواية الكُلِيني في كتابه «الكافي»: عن سعيد بن المسيِّب: أنه سأل علي بن الحسين قال: (قلتُ لعليّ بن الحسين عليهما السلام: فمتى زوَّج رسولُ الله ﷺ فاطمةَ من عليٍّ عليه السلام؟ فقال: بالمدينة،

---

(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ المستدرك: ١٦١/٣، ١٦٣؛ الإشارة، لمغلطاي، ص ٩٩.
(٢) مختصر ابن عساكر: ٢٦٤/٢.
(٣) أصول الكافي: ٢٧٤/١ (الحديث العاشر من أحاديث «باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه»).

بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذٍ تسع سنين. قال علي بن الحسين: ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام...)[١].

وفي هذين الخبرين أباطيل كثيرة: من ذلك أن فاطمة وُلدت بعد البعثة بخمس سنين، وأن عليّاً تزوجها وعمرها تسع سنين، وأنها توفيت وعمرها ثماني عشرة سنة، فهذا يعني أنها وَلدت ابنَها الحسن وعمرها عشر سنوات! وكل هذا باطل.

ومقصدهم من ذلك أن يقولوا: إنه لم يولد للنبي ﷺ على فطرة الإسلام بعد النبوة إلا فاطمة! ولا يدري العقلاء: أي شَيْن يَلحق الإنسانَ إذا ولد قبل البعثة الشريفة، إذا ما أسرع إلى الإسلام عندما يعقله؟!.

وتزوَّجت الزهراء بابن عمها علي بن أبي طالب[٢]، وأنجبت منه الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وريحانتَيْه، فاجتمع لها الشرف المُنيف في أصولها وفروعها، وإلى هذا يشير محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء)، وممَّا يقول فيها[٣]:

---

(١) الوافي: ٧٢٦/٣ ـ ٧٢٩، الحديث (١٣٣٩).

(٢) سيأتي ذلك مفصَّلاً في «الفصل الثالث».

(٣) ديوان محمد إقبال «الأعمال الكاملة»، سيد عبدالماجد غوري: ٢٣٥/١ ـ ٢٣٦.

نسبُ المسيح بنى لمريمَ سيرةً بقيتْ على طُول المَدَى ذِكْراها
والمجدُ يُشرقُ من ثلاثِ مطالعٍ في مهـدِ فاطمةَ فَمَـا أعلاها
هي بنتُ مَنْ هي زوجُ مَنْ هي أمُّ مَنْ مَنْ ذا يُداني في الفَخَار أبَاها
هي ومضةٌ من نورِ عينِ المُصطفى هادي الشُّعوب إذا ترومُ هُداها
هو رحمةٌ للعالَمين وكعبةُ الآ مَالِ فـي الدُّنيا وفـي أُخْراها
مَن أيقظَ الفِطَـرِ النِّيامَ بِروحِهِ وكأنَّـه بعـدَ البِلَـى أحياها
وأعادَ تاريخَ الحيـاةِ جديدةً مثلَ العرائس في جديدِ حُلاها

❀ ❀ ❀

الفصل الرابع

صفتها وحِلْيتها

كانت الزهراء رضي الله عنها تشبه أباها ﷺ في هيئته ومنظره وهَدْيه وسَمْتِه وسكينته ووقاره وحديثه وكلامه ومِشيته وجِلْسته وشمائله الكريمة، كما يدل على ذلك وصفُ أعرفِ الناس بها.

روى مَعْمر: عن الزُّهري، قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: (لم يكن أحدٌ أشبهَ برسول الله ﷺ من الحسن بن علي وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين)(1).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيتُ أحداً من الناس كان أشبهَ بالنبي ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جِلْسة من فاطمة).

وفي رواية عنها قالت: (ما رأيتُ أحداً أشبهَ سَمْتاً ودَلاًّ وهَدْياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودِها من فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ)(2).

---

(1) أخرجه أحمد (١٢٦٧٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط؛ وبدون ذكر فاطمة عند الترمذي (٤١١٠)، وغيره.

(2) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩١٩٢)؛ والترمذي (٤٢١٠)؛ وأبو داود (٥٢١٧)؛ والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٧)؛ والحاكم: ١٥٤/٣، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وسيأتي مطولاً بألفاظ أخرى في «الصحيحين» وغيرهما.

والــدَّلُّ والهَدْي والسَّــمْتُ عبارةٌ عن الحالــة التي يكون عليها الإنسان من السَّــكينة والوَقار، وحُسْن السِّيرة والطريقة، واستقامةِ المَنْظر والهيئة(١).

وقد أورد الحاكم حديثاً عن أنس عن أمه فيه وصفُ وجهِ السيدة فاطمة ولونِ شعرها، وحكم الذهبي عليه بالوضع، وهو حريٌّ بذلك(٢)!.

❁ ❁ ❁

(١) النهاية في غريــب الحديث: ١٣١/٢؛ وانظر: لســان العــرب: ٤٦/٢، ٢٤٦/١١.

(٢) المستدرك: ١٦١/٣.

الفصل الخامس

زوجها وأولادها

أولاً: زوجها علي بن أبي طالب:

أبو الحسن وأبو تراب وأبو القُصَم علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أول الصِّبيان إسلاماً، وأحدُ أكابر الصحابة إيماناً وجهاداً وعلماً وفضلاً ونُبلاً وشرفاً، وزهداً وورعاً وتقوى، ومن أفراد الدهر جرأة وبطولة وشجاعة، ومضربُ المَثل في الفصاحة والبلاغة والبيان، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين.

كان أكبر من فاطمة بخمس سنين، فضائله غزيرة وأخباره كثيرة جدّاً، وقد ترجمنا له في هذه السلسلة في كتاب حافل، رضي اللهُ عنه وأرضاه.

ثانياً: أولادها:

رُزقت السيدة فاطمة بثلاثة ذكور؛ هم: الحسن والحسين ومُحسِّن، وابنتين هما: أم كلثوم وزينب[1].

---

(١) نسب قريش، ص ٤٠؛ جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧.

وكان رسول الله ﷺ دائم الاهتمام بأولادها وتسميتهم وتربيتهم ورعاية شؤونهم، لا يكاد يمضي يوم إلا ويتعاهدهم بالسؤال والملاطفة والتوجيه والتعليم.

عن أم الفَضْلِ لُبابة بنت الحارث زوج العباس عمِّ النبي ﷺ قالت: (رأيتُ كأنَّ في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، قالت: فجَزِعْتُ من ذلك، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**خيراً، تلدُ فاطمة غلاماً فتَكْفُلِينَه بلبن ابنكِ قُثَم**» قالت: فولدتْ حَسناً، فأُعطِيتُه فأَرضَعْتُه حتى تحرَّك أو فَطمتُه. ثم جئتُ به إلى رسول الله ﷺ، فأجلستُه في حِجْره، فبالَ، فضربتُ بين كتفَيْه، فقال: «**ارْفُقِي بابني رحمكِ الله - أو: أصلحكِ الله - أوجعتِ ابني**» قالت: قلت: يا رسول الله، اخلَعْ إزارَك والبسْ ثوباً غيره حتى أغسِلَه، قال: «**إنما يُغسل بولُ الجارية، ويُنْضَح بولُ الغلام**»)[1].

وعن علي بن أبي طالب قال: (لما وُلد الحَسن سمَّيتُه حَرْباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أَرُوني ابْنِي، ما سَمَّيْتُموه؟**» قال: قلت: حَرْباً، قال: «**بل هو حَسنٌ**». فلما وُلد الحُسين سمَّيتُه حَرْباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني،**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨٧٥)؛ وابن ماجه (٣٩٢٣)؛ وأبو يعلى (٧٠٧٤)، وغيرهم، وصححه شعيب الأرنؤوط.

ما سَـمَّيتُموه؟» قال: قلتُ: حَرْباً، قال: «**بل هو حُسين**». فلما وُلد الثالث سَمَّيْتُه حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أَرُوني ابْنِي، ما سـمَّيْتُموه؟**» قلت: حرباً، قال: «**بل هو مُحَسِّنٌ**». ثم قال: «**سَمَّيتُهم بأسماء وَلدِ هارون: شَبَّر وشِبِّير ومُشَبِّر**»)[1].

وعن أبي رافع، قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحَسن بن علي حين ولدَتْه فاطمةُ بالصلاة)[2].

وعن علي بن أبي طالب قال: (عَقَّ رسولُ الله ﷺ عن الحَسن بشَاةٍ، وقال: «**يا فاطمةُ، احلِقي رأسَه وتصدَّقي بزنةِ شَعْرِه فضَّةً**» فوَزَنَّاه، فكان وزْنُه درهماً أو بعضَ درهم)[3].

وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، قال: (وَزَنَتْ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ شعرَ حسنٍ وحُسينٍ وزينبَ وأمّ كلثوم، فتَصدَّقَتْ بزنةِ ذلك فضة)[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٦٩)؛ وابن حبان (٦٩٥٨)؛ والحاكم: ١٦٥/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)؛ والترمذي (١٥٩٤) وقال: حسن صحيح، وحسَّنه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، وحسَّنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) موطأ مالك: ٥٠١/٢؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٠٤/٩. ورجاله ثقات إلا أنه منقطع.

وعن ابن عباس قال: (عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين بكَبْشَيْنِ كبشَيْنِ). لفظ النسائي.

وفي رواية: (عَقَّ عن الحسن والحسين كَبْشاً كَبْشاً). لفظ أبي داود(١).

١ ـ الحسن:

وُلد للنصف من شهر رمضان سنة (٣هـ)، وتوفي لخمس ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة (٥٠هـ)، ودُفن ببقيع الغرقد.

وهو الإمام السيد الجليل والمصلح المجدِّد العظيم أبو محمد ريحانة رسول الله ﷺ، السِّبْط الكريم سيِّدُ شباب أهل الجنة.

حياته حافلة، وفضائله غزيرة، وأخباره كثيرة، وسنفرد له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٢ ـ الحسين:

وُلد لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة (٤هـ)، وقُتل شهيداً يوم الجمعة في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٥٣١)؛ وأبو داود (٢٨٤١)، وغيرهما، وصححه ابن حزم وابن كثير وغير واحد.

وهو الإمام الشريف الشهيد أبو عبد الله سِبْط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن.

فضائله جمَّة، وأخباره كثيرة خطيرة، افترت عليه الرافضة فِرًى وأكاذيب لا يحتملها قلب ولا يسيغها عقل ولا يصدقها طفل!.

وسوف أفرد له ترجمة مستقلة ـ إن شاء الله تعالى ـ تُنصفه وتضع الحق في نصابه، وتكشف الزيوف والأباطيل التي أُلصقت به!.

ومما يُضحِك الثكلى ما رواه الكُلِيني بأن جبريل نزل على النبي ﷺ يبشِّره بمولد الحسين، وأن الله (جاعل في ذريته: الإمامة والولاية والوصية)، (ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يُؤتى به النبيُّ فيضع إبهامه في فيه، فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة[1]، فنَبَت لحمُ الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ودمه! ولم يُولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام)[2].

---

(١) في الأصل: (والثلاث).

(٢) الكافي: ٢٧٨/١ ـ ٢٧٩، الحديثان (٣ ـ ٤) من «باب مولد الحسين بن علي عليهما السلام». وانظر: الوافي: ٧٥٧/٣.

٣ ـ مُحَسِّن:

مات صغيراً جدّاً إثر ولادته.

٤ ـ أم كلثوم الكبرى:

وُلدت في حدود سنة (٦هـ)، ورأت جدَّها رسولَ الله ﷺ ولم تروِ عنه.

عن علي بن الحسين: (أن عمر بن الخطاب خطَب إلى عليٍّ أمَّ كلثوم، فقال: أَنكحنيها، فقال: إني أرصدها لابن أخي عبدالله بن جعفر، فقال عمر: أنكحنيها، فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده، فأنكحه علي. فأتى عمر المهاجرين، فقال: أَلَا تهنُّوني! فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ نَسبٍ وسببٍ ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**» فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسبٌ وسببٌ)(١).

تزوجها الفاروق عمر سنة (١٧هـ)، وأمهرها أربعين ألفاً، وولدت له: زيداً الأكبر ورقية(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم: ١٤٢/٣، وغيره؛ وصححه بطرقه الألباني في: الصحيحة (٢٠٣٦).

(٢) طبقات ابن سعد: ٤٦٣/٨؛ كتابي: عمر بن الخطاب، ص ٣٥.

وقد أقرَّت بهذا الزواج (الكتبُ الأربعة الصحاح المعتمدة عند الشيعة): «الكافي» للكُلِيني، و«مَن لا يَحضُره الفقيه» لابن بابَوَيْه القُمِّي، و«تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» كلاهما لشيخ الطائفة الطُّوسي أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي[١].

٥ ـ زينب الكبرى:

وُلدت في حياة النبي ﷺ، وتزوجت ابنَ عمها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. وولدت له[٢].

وقد انقرض عقب رسول الله ﷺ إلا من فاطمة رضي الله عنها[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الشيعة وأهل البيت، ص ١٠٤ ـ ١٠٧.

(٢) طبقات ابن سعد: ٨/٤٦٥؛ نسب قريش، ص ٤١؛ الإصابة: ٤/٣١٤ ـ ٣١٥.

(٣) أسد الغابة: ٥/٥٢٠؛ سير أعلام النبلاء: ٢/١٢٢؛ الإصابة: ٤/٣٦٥.

الفصل السادس

إخوة فاطمة وأخواتها[2]

قول جمهور العلماء والمؤرخين وأهل النسب وصحَّحه كثير من النقاد أن عدد أولاد سيدنا رسول الله ﷺ سبعة: ثلاثة ذكور وأربع بنات.

فالذكور هم: القاسم وعبد الله ـ ويُلقَّب بالطيب والطاهر ـ وإبراهيم.

والبنات هن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

وجميعهم من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، فكلُّهم أشقاء وشقيقات فاطمة، ما عدا إبراهيم فأخوها لأبيها.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١٩٠/١ ـ ١٩١؛ طبقات ابن سعد: ١٣٣/١ ـ ١٤٤؛ نسب قريش، ص ٢١ ـ ٢٣؛ جمهرة أنساب العرب، ص ١٥ ـ ١٦؛ البداية والنهاية: ٣٠٦/٥ ـ ٣١١؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٤٢/١١ ـ ٤٤٦، ٤٤٧ ـ ٥٠٠، وقد أطنب وأجاد وأفاد.

أولاً: إخوتها:

١ ـ القاسم:

أكبر أولاد النبي ﷺ وبه كان يُكنى، وُلد قبل البعثة، ومات صغيراً وقيل: بلغ سن التمييز، وهو أول من مات من أولاده ﷺ.

٢ ـ عبدالله (الملقب بالطيب والطاهر):

وُلد بعد النبوة ولذا كان يسمى بالطيب والطاهر، مات صغيراً.

٣ ـ إبراهيم:

أمه مارية بنت شمعون القبطية المصرية، وُلد في ذي الحجة سنة (٨هـ)، وسمّاه رسول الله ﷺ باسم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وُلِد لي الليلةَ غلامٌ، فسمَّيْتُه باسمِ أبي إبراهيم**»[1].

وقد عاش إبراهيم عليه السلام نحواً من سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً، ومات في السنة العاشرة من الهجرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٥)؛ وأبو داود (٣١٢٦)؛ وبنحوه عند البخاري كما في الحاشية (٢) في الصفحة التالية في هذا الكتاب.

قال ابن حزم: مات قبل موت النبي ﷺ بأربعة أشهر. ولما بلغ رسولَ الله ﷺ مرضُه مشى إليه، فدعا بالصبي فضمَّه إليه وهو يَكيد بنفسه، فدمعت عينا النبي ﷺ، وسلَّم لله تعالى قضاءه وقدره[1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَيْنِ - وكان ظِئْراً لإبراهيمَ عليه السلام - فأخذ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فقبَّلَه وشَمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيمُ يَجُود بنَفْسِه - فجعَلَتْ عينا رسول الله ﷺ تَذْرِفان، فقال عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابنَ عوف إنها رحمةٌ**»، ثم أَتبعَها بأخرى فقال: «**إنَّ العينَ تدمعُ، والقلبَ يَحزنُ، ولا نقول إلَّا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنا بفِراقِكَ يا إبراهيمُ لمَحزُونونَ**»)[2].

ثانياً: أخواتها:

١ - زينب:

أكبر بنات رسول الله ﷺ، وُلدت سنة (١٠ قبل البعثة)، فهي أكبر من فاطمة بخمس سنين.

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ١٦؛ الدوحة النبوية، ص ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣). **القين**: الحداد. **ظئراً**: مرضعاً، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج مرضعة إبراهيم.

قال ابن إســحاق: سـمعت عبد الله بن محمد بن سُليمان الهاشمي يقول: (وُلدت السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله ﷺ في ســنة ثلاثين من مولده ﷺ، وأدركت الإســلام وهاجرت عليها السلام)[1].

تزوجها أبو العاص بـن الربيع[2] بـن عبد العزَّى بن عبد شـمس، القرشـي العَبْشَـمي، ابنُ خالتها، فهو ابن هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة أم المؤمنين.

تأخر إسلامه إلى سنة (٦هـ)، فأسلم قبل الحُديبية بخمسة أشهر.

قال المِسْـوَر بن مَخْرَمة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيـراً وقال: «**حدَّثَني فصَدَقنـي، ووَعَدني فوَفَى لي**»[3]. وكان قد وعد النبـيَّ ﷺ أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنتِهِ، فوفى بوعده، وفارقها مع شـدة حبه لها. وكان من تجار قريش وأمنائهم[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ٤٦٤/١١.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٣٠/١ ـ ٣٣٤.
(٣) الحديث أخرجه البخاري وغيره، وسيأتي بتمامه: ص ١٥٦ ـ ١٥٧ في هذا الكتاب.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٣٣١/١.

وكانت زينب من المستضعفين بمكة من النساء، وكان النبي ﷺ قد أخذ وعداً على صهره بأن يخلي سبيلها لتلحق به، فهاجرت إلى المدينة سنة (٢هـ).

قال ابن إسحاق: (بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: «**كُونا ببطْن يَأْجَج حتى تمرَّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها**» فخرجا مكانهما، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعه. فلما قدِمَ أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجتْ تجهَّز)(١).

وقدِمت على رسول الله ﷺ صحبة زيدٍ والأنصاري.

ولما هاجر أبو العاص إلى المدينة ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة أعوام على النكاح الأول(٢).

وَلدت زينب لأبي العاص: عليَّ بن أبي العاص، مات مراهقاً. وأُمامة بنت أبي العاص، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في صلاته.

تزوج علي بن أبي طالب أمامةَ بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء، ومات عنها، فتزوَّجها بعده المغيرة بن نوفل بن

(١) السيرة النبوية: ٦٥٣/١. **يأجج**: وادٍ بمكة شمال عمرة التنعيم، يبعد (١٠كم) عن المسجد الحرام. **شَيْعه**: قريب منه.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٣٢/١.

الحارث بن عبد المطلب، وماتت عنده. قيل: أنجبت لعليٍّ محمداً الأوسط، وللمغيرة ابنَه يحيـى، وأكثر أهل النسب أنها لم تنجب لهما، فانقطع بذلك نَسْلُ السيدة زينب، فليس لها عقِب(١).

توفيت زينب رضي الله عنها في أول سنة (٨هـ)(٢).

وغسَّلَتْها أم عَطية الأنصارية رضي الله عنها، وقد روت ذلك فقالت: (لما ماتت زينب بنت رسـول الله ﷺ، قال لنا رسول الله ﷺ: «**اغسِلْنَها وِتراً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلْنَ في الخامسة كافوراً ـ أو: شيئاً من كافور ـ فإذا غسَلْتُنَّها فأَعْلِمْنَنِي**» قالت: فأَعْلَمْناه، فأعطانا حِقْوَه وقال: «**أَشْعِرْنَها إيَّاه**»)(٣).

وكان النبـي ﷺ يحبُّهـا ويُثنـي عليهـا رضـي الله عنها وأرضاها، عاشت نحو ثلاثين سنة.

ومات زوجها أبو العاص بن الربيع في شـهر ذي الحجة سنة (١٢هـ) في خلافة الصديق.

---

(١) نسـب قريش، ص ٢٢؛ جمهرة أنسـاب العرب، ص ١٦؛ سـير أعلام النبلاء: ١/٣٣٥؛ سبل الهدى والرشاد: ١١/٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١/٣٣٤، ٢/٢٥٠.

(٣) أخرجه البخـاري (١٢٥٤)؛ ومسـلم (٩٣٩) (٤٠)، وغيرهما. **الحقو**: المراد هنا الإزار، والأصل في الحقو: معقد الإزار، وسمي الإزار حقواً لأنه يُشد على الحقو. **أشعرنها إياه**: اجعلنه شعاراً لها، وهو الثوب الذي يلي بشرة الإنسان.

٢ ـ رقية[١]:

ولدت قبل البعثة بسبع سنين، وعمر النبي ﷺ (٣٣) سنة.

تزوجها عتبة بن أبي لهب قبل البعثة النبوية، فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلّق ابنته. ففارَقَها ولم يكن دخل بها.

فتزوّجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم عادت معه إلى مكة مع من رجع. ثم هاجر عثمان بأهله إلى المدينة المنوّرة، ومرضَتْ رقية بالمدينة لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة بدر، فتخلَّف عليها عثمان ولم يشهد تلك الغزوة، فماتت رضي الله عنها يوم وصول زيد بن حارثة مبشِّراً بانتصار المسلمين بوقعة بدر، ودخل زيد المدينة حين سُوِّي على رقية التراب.

وكانت رقية قد أصابتها الحصبة، فماتت بها، وعمرها (٢٢) سنة.

وَلدت من عثمان ابنَه عبد الله، وبلغ ست سنين، فنَقَره

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٦٥٢/١؛ طبقات ابن سعد: ٣٦/٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٠/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٦٩/١١.

ديكٌ في وجهه، فوَرِم وجهُه، فمات في جمادى الأولى سنة (٤هـ)، فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان بن عفان.

٣ ـ أم كلثوم[1]:

لا يُعرف لها اسم، وتُعرف بكنيتها.

كان عُتيبة بن أبي لهب قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾، فارقها عن أمر أبيه ـ كما جرى لأخيه عتبة ـ ولم يدخل بها.

أسلمت السيدة أم كلثوم مع أخواتها الطاهرات، وهاجرت إلى المدينة المنوّرة بعد هجرة النبي ﷺ، مع فاطمة وغيرها من عيال رسول الله ﷺ، فلم تزل بالمدينة.

فلما توفيت أختها رقية، تزوّج بها عثمان وهي بِكْر في ربيع الأول سنة (٣هـ)، ولم تلد له. وتوفيت في شعبان سنة (٩هـ).

واتفق العلماء على أن أم كلثوم لم تلد ولم تعقب.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣٧/٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢٥٢/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٣/١١.

•• والذي تواردت به الأخبار وعليـه أكثر المؤرخين في ترتيب مولد بنات النبي ﷺ : أن الأولى زينب، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة[1].

❁ ❁ ❁

(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ الإصابة: ٣٦٥/٤؛ تهذيب الكمال: ٢٤٨/٣٥.

الباب الثاني

فاطمة في محاضن النبوة
تربية فريدة ومواقف شامخة

- معالمُ نشأتِها في مطالعِ الدَّعوةِ، وإسلامُها.
- تكاملُ وعيِها وترقّي تربيتِها في أجـواءِ مكّةَ القاسيةِ على الدَّعوةِ والرّسالةِ.
- هجرةُ فاطمةَ إلى المدينةِ المنوّرةِ.
- فاطمةُ في المدينةِ المنـوَّرةِ، وأنماطٌ أخرى منَ التربيةِ النبويَّةِ، والمواقفِ الجليلةِ.
- اهتمامٌ نبويٌّ بالغٌ بفاطمةَ وبَنِيها، ورعايةٌ دائمةٌ وحبٌّ غامرٌ.

• • •

الفصل الأول

معالمُ نشأتها في مطالع الدعوة، وإسلامُها

من حُسن طالع السيدة فاطمة أن يقترن مولدها في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية بحادثة جليلة؛ هي (تجديد بناء الكعبة المشرّفة) واختيار قريش أباها (الأمين) ليكون حَكَماً فيما اشْتَجَر بينها من خلاف على وضع الحجر الأسود، فاقترن الفرح بمولدها مع ذلك التكريم لأبيها؛ حيث يقضي بحكمته الرفيعة ورأيه السديد على غطارفة قريش وسادتها، فيسمعون له ويطيعون راضين مستبشرين.

وما هي إلا خمسة أعوام وفاطمة في مقتبل طفولتها وتفتُّح عقلها ومواهبها وأوج أحلامها؛ حتى جاء أباها (اختيارٌ من نوع آخر)، فلقد نزل على (الصادق الأمين) جبريلُ (الوحي الأمين) من الله تعالى، يَفجؤه بأنه نبيٌّ هذه الأمة، ورسول الله إلى البشر كافة، ليجهرَ في بطحاء مكة وعلى رؤوس الآلهة المتعددة بأنه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

رُجَّت الأرض رجةً عنيفة، وهبَّتْ أعاصير الوثنية القرشية في وجه الدين الجديد، وهزَّت معها (فاطمةَ بنت السنوات

الخمس) وهي ترى أباها في مواجهة أمواج الشرك، وهو يقف كالجبل الأشم ويأسو للناس ما هم فيه من ضلال، بقلب الداعية الحكيم الشفيق وعقل (النبي الأمين) الذي ارتضوه مُذْ عهدٍ قريب ليكون حَكَماً فيما اختلفوا فيه!.

لم ترتعد (الصَّبية الصغيرة) لِما جرى، ولم يُخالجها ريبٌ في صدق دعوة أبيها وهي التي أخذت منه (مورثات) الصدق والأمانة والحكمة والنُّبل والإخلاص والصبر الجميل، ورضعت من ثديي (خديجة الطاهرة) طبائعَها وشمائلها التي فُطرت عليها وعُرفت بها من العقل والحَصَافة والفَطَانة والرزانة والحكمة والثبات والبصيرة النافذة، فضلاً عن أن (هذه الصبية) قد رأت أمَّها منذ الساعة الأولى تقف بجانب أبيها (الرسول الكريم)؛ تثبّته وتقوّيه وتُثني عليه بما هو فيه وما هو له أهل لهذا الاختيار والتكريم.

ولقد ظهرت على (فاطمة) وهي في الخامسة من ربيع عمرها أَماراتُ الكِيَاسة والنَّجابة والفَطَانة، وأدركت ماذا يعني كونها (بنتَ نبي هذه الأمة)، فلم تخشَ ما ينتظرها من مصاعب وخُطوب تحملها لها الأحداث في قابل الأيام، ولم تُلقِ بالاً لِما تحلُم به لِداتُها في مرابع الطفولة، حيث يعشن في خلوٍّ بال وراحة نفس.

إن أبناء العظماء لهم شــأن آخر وهدف أعلى وغاية أســمى، فلقد كانت فاطمة مع أخواتها الثلاث بناتِ أعظم نبيٍّ، وقد سطَّرْنَ جميعاً في حياتهن أروعَ الأمثلة والبراهين على أنهن (صنعة النبوة).

وقد نشأت فاطمة وأخواتها الطاهرات بين أحضان أصدق وأكرم أبوَّة، وأفضــل وأحنى أمومة؛ يأخذن عــن أبيهن أكرم المكارم، وعن أمهن حصائلَ العقل الذي لا يُوزن به عقلُ امرأة في السابقين ولا في اللاحقين.

فهنَّ عليهن السلام في قَرَنٍ مع أمهن السيدة خديجة، ينظمهن معها عِقْدُ أســبق السابقين والســابقات إلى الإســلام، والتصديق برسالة أبيهن ســيد الخلق ﷺ، الذي كان أباً قبل أن يكون رسولاً، وقد كانت مكارمُ أخلاقه وعظيمُ شهرته بها ورفيعُ صفاته التي تميّز بها عن سائر بيئته وقومه بين أيديهن، يرينها رأيَ البصر والبصيرة، ويسمعن أحاديث الناس عنها، والولد على نهج أبيه وأمه ينشأ.

قال الزُّرْقاني في «شرح المواهب اللدنية»: ولم تُذكَر بناته ﷺ في السابقين لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهَدْيه وسيرته.

وقد روى ابن إسحاق: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما أكرم الله نبيَّه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته[1].

(١) انظر: محمد رســول الله ﷺ، للصادق عرجون: ١/٥١٢ ـ ٥١٤؛ السيرة النبوية، للدكتور محمد أبو شهبة: ١/٢٨٤.

وترعرعت الطفلة في أحضـــان النبوة وظلال الوحي الذي يتنزل على أبيها ﷺ غدوّاً وعشيّاً بآيات القرآن الحكيم، وتفتَّح قلبُها وعقلها على معاني آياته الكريمة مشفوعاً بالهدي النبوي الرفيع الذي تعيشـــه غضّاً طريّاً في كل ساعة وموقف وحادثة. فكانت مَلَكاتهـــا ومداركها تشـــبُّ وتنمو بما يفوق جســـمَها الضئيل وســـنَّها الصغير، وهذا ما يفسِّـــر لنا مواقفَهـــا الباهرة وجرأتها النادرة ووعيها الوقاد، ممَّا يشـــهد به كثير من أحداث الدعوة في مكة والمدينة، والذي ترجمت به الســـيدة الزهراء ثمرات تلك النشأة الفريدة في سِنِي طفولتها المباركة.

❁ ❁ ❁

تكامل وعيها وترقي تربيتها في أجواء مكة القاسية على الدعوة والرسالة

•• وقد مضت السُّنن الإلٰهية على أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم أشدُّ الناس بلاءً، ومن ألوان ابتلاءاتهم أن يُبتلى معهم أهلُهم وذووهم؛ ليكونوا جميعاً قدوة للعالمين في التضحية والفداء والصبر على لَأْواء الحياة، ويكون ذلك إعلاءً لأنفسهم ورفعاً لدرجاتهم.

وعلى ذلك كان سيدنا محمد ﷺ، فقد ضَرب المثل الأعلى في رسوخ العقيدة وصدق الإيمان وجلال التضحية وذروة الصبر الجميل. كما ابتُليت معه بناته اللائي أدركن الإسلام وعِشْن في ظلاله وله، تضحيةً وبذلاً وصبراً وزهادة.

وعلى ذلك وفيه عاشت فاطمة البتول منذ طفولتها المبكرة؛ حيث قاست مع أبيها الرسول الأعظم ﷺ سنواتِ الدعوة الأولى في مكة، والمحنَ القاسية والابتلاءات الشِّداد، وشهدَتْه وهو يدعو الملأَ من قريش ورؤوسَ القبائل وأعيانَ الوافدين إلى مكة المكرّمة، فيلقى الأذى الشديد والسخرية

والاستهزاء وأصنافاً عديدة من البلاء العظيم، فيُقابل ذلك وتقابل معه (بَضْعَتُه الصغيرة) بالألم النبيل والصبر الجميل والمضاء الثابت، احتساباً لوجه الله تعالى، وأملاً بالهداية لأولئك المعرضين!.

يروي ابن عباس فيقول: (إن الملأَ من قريش اجتمعوا في الحِجْر، فتعاقدوا باللّات والعُزَّى ومَناةَ الثالثة الأخرى ونائلةَ وإسافٍ: لو قد رأَيْنا محمداً، لقد قُمنا إليه قيامَ رجل واحدٍ فلم نُفارِقْه حتى نقتلَهُ! فأقبلت ابنتُه فاطمة تبكي، حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأُ من قريش قد تعاقدوا عليك، لو قد رأَوْكَ لقد قاموا إليك فقتلوكَ، فليس منهم رجلٌ إلا قد عَرَف نصيبَه من دَمِكَ! فقال: «يا بُنيَّة، أَرِيني وَضُوءاً» فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأَوْه قالوا: هاهو ذا، وخَفَضُوا أبصارَهم، وسَقَطتْ أذقانُهم في صدورِهم، وعَقِرُوا في مجالسهم، فلم يرفَعُوا إليه بصراً، ولم يَقُمْ إليه منهم رجل! فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضةً من التراب، فقال: «شاهَتِ الوجوه» ثم حَصَبَهُم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاةٌ إلا قُتل يوم بَدْر كافراً!)[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٢)؛ وابن حبان (٦٥٠٢)، وغيرهما، وصححه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

وكانت فاطمة هنــاك غيرَ بعيدة مــن أبيهــا، يتبعُه قلبها وتحرسُه عيناها، فجاءها الخبر المُفْظِع أن عُتاة قريش قد آذوا النبــي ﷺ بعمل خســيس دنيء، فهبَّــت مســرعةً لتزيل عنه فضلات جَزُور وهو ســاجد، وأقبلــتْ على أولئــك الأنذال تقرِّعُهم وتشتُمهم بجرأة باهرة أَخرسَتْ ألسنَتَهم وكبَّلَتْ أيديهم ومرَّغَتْ بالتراب آنافَهم!.

عن عبد الله بن مســعود قــال: (بينما رســول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة، وجمعُ قريش في مجالســهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هــذا المُرائي؟ أيكم يقــوم إلى جَزُور آل فلان، فَيَعْمِدُ إلى فَرْثِها ودمها وسَلَاها فيجيءُ به، ثم يُمْهِلُه حتى إذا سجد وضَعَه بين كتفَيْه؟ فانبعث أَشقاهُم، فلما سجد رســول الله ﷺ وضعه بين كتفَيْــه، وثَبَتَ النبي ﷺ ســاجداً. فضَحِكوا حتى مالَ بعضُهم إلى بعــض من الضحك، فانطلق مُنطَلِقٌ إلى فاطمةَ عليها السلام، وهي جُوَيْرِية، فأقبلتْ تسعى، وثَبَت النبي ﷺ ساجداً حتى أَلْقَتْه عنه، وأَقبلتْ عليهم تَسُبُّهم! فلما قضَى رســول الله ﷺ الصلاة قال: «**اللَّهمَّ عليك بقريش، اللَّهمَّ عليك بقريش، اللَّهمَّ عليك بقريش**» ثم ســمَّى: «**اللَّهمَّ عليك بعَمْرو بن هشــام، وعتبة بن ربيعة، وشَــيْبة بن ربيعة، والوليد بن عُتْبــة، وأمية بن خَلَــف، وعُقبة بن أبــي مُعَيْط، وعُمارة بن الوليد**». قال عبــد الله: فوالله لقد رأيتُهم صرعى يوم

بَدْر، ثم سُحِبُوا إلى القَلِيب قليبِ بدر. ثم قال رسول الله ﷺ: «**وأُتْبِعَ أصحابُ القَليب لعنةً!**»)[1].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث وبيان فوائده: (فيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها، لشرفها في قومها ونفسها، لكونها صرخت بشتمهم وهم رؤوس قريش، فلم يردوا عليها)[2].

وشهدت فاطمة أباها ﷺ وهو يبلِّغ الدعوة للعامة والخاصة، ويخاطب قريشاً وبطونها وعشيرته وأقاربه الأدنين حتى خاطبها هي؛ بأن يعملوا الخيرات والصالحات ليُنقِذوا أنفسهم من العذاب ويفوزوا برحمة الله ورضوانه.

عن أبي هريرة ﵁، قال: (لمَّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، جَمع رسول الله ﷺ قريشاً فخَصَّ وعَمَّ فقال: «**يا معشرَ قريشٍ أنقِذوا أنفسَكم من النار، فإني لا أَمْلِكُ لكم من الله ضَرّاً ولا نفعاً. يا معشرَ بني عبد منافٍ أنقذوا**

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠) و(٥٢٠)؛ ومسلم (١٧٩٤)؛ والنسائي في «الكبرى» (٢٩٢)؛ وأحمد (٣٩٦٢) وغيرهم. وسلى **الجزور**: هي الجلدة التي يكون فيها الولد، يقال لها ذلك من البهائم، وأما في الآدميات فالمشيمة.

(٢) الفتح: ٦٣٩/١، شرح الحديث (٢٤٠).

أنفُسَكم من النار، فإني لا أملِكُ لكم من الله ضَرّاً ولا نفعاً. يا معشر بني قُصيٍّ أنقِذوا أنفسَكم من النار، فإني لا أملِكُ لكم ضَرّاً ولا نفعاً. يا معشرَ بني عبدالمطلب أنقِذوا أنفسَكم من النار، فإني لا أملِكُ لكم ضَرّاً ولا نفعاً. يا فاطمةَ بنتَ محمد أنقِذي نفسَكِ من النار، فإني لا أملِكُ لكِ ضَرّاً ولا نفعاً، إنَّ لكم رَحِماً وسَأَبُلُّها بِبِلالِها»[(١)] لفظ الترمذي.

•• ومن أصناف المحنة وألوان الابتلاء التي عاشتها فاطمة وشاركت أبويها فيها، ما جرى على الفئة المؤمنة في (حِصار الشِّعْب) الظالم، الذي ضَربَتْه قريش على المسلمين.

وخلاصة هذه الحادثة الجليلة: أنه لمَّا جَعل الإسلام يَفْشو في القبائل، وعَرفت قريش أن رسول الله ﷺ مَنَعه الله منها، وقام عمُّه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به[(٢)]. فأجمع المشركون من قريش على مُنابَذَتهم وإخراجِهم من مكة إلى الشِّعْب، وأجمعوا وائتمَروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على: ألا يُنْكِحوهم ولا يَنْكحوا إليهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)؛ ومسلم (٢٠٤)؛ والنسائي في «الكبرى» (٦٤٤٠)؛ والترمذي (٣٤٦١)، وغيرهم.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/٣٥٤.

ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ولا يَقْبلوا منهم صُلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة؛ حتى يُسْلِموا رسولَ الله ﷺ للقتل!.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك[١].

فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبدالمطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدالعزَّى بن عبدالمطلب إلى قريش فظاهرهم[٢]!.

قال ابن عباس: حُصِرنا في الشِّعْب ثلاثَ سنين، وقَطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليَخرج بالنفقة فما يُبَايَع حتى يرجع، حتى هَلَك من هلك[٣].

وكانت بداية الحصار في المحرم من سنة (٧ للنبوة).

وكان هذا الفعل الأثيم من قريش محاولة يائسة لتردَّ المسلمين عن دينهم وتُجهِض دعوتهم، وتبقي على زعامتها الوثنية بمكة! ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نورَه، فانكسر الحصار وخرج المؤمنون أصلب عوداً وأمضى عزيمة...

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ٥٠٢/٢.
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٥١/١.
(٣) سبل الهدى والرشاد: ٥٠٣/٢.

وفي نهاية هذه المحنة بلغت الزهراء من عمرها (١٥ سنة)، وقد تمرَّسَتْ بلون جديد من الكفاح الصبور، وتعلمت درساً فريداً من دروس الدعوة في الثبات ومضاء العزيمة لبلوغ الغاية، وأن الله تعالى ناصرٌ دينَه ومتمٌّ أمرَه لو كره الكافرون!.

•• ولم يمضِ زمن طويل على هذه المحنة القاسية حتى واجهت فاطمة البتول بنت السادسة عشرة ابتلاءً أشدَّ ألماً لقلبها وأعظمَ لوعةً لنفسها؛ ذلكم هو وفاة أمها خديجة بنت خويلد أسبق الخلق إلى الإسلام، وركن البيت النبوي، والأنيس الداخلي لقلب صاحب الرسالة الخالدة ﷺ وأم أولاده، فكانت فاجعة قاسية جثمت على فؤاد الزهراء حتى أَنْسَتْها ما سبقها من ابتلاءات جسام!.

توفيت خديجة رضي الله عنها في السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودُفنت بالحَجُون بمكة. وفي العام نفسه مات أبو طالب، فكان ذلك ألماً على ألم لقلب رسول الله ﷺ، حتى سُمِّي ذلك العام (عامَ الحزن).

وهذا ما زاد فاجعة فاطمة وقد رأت أباها ﷺ تراكمت عليه الأحزان وتفاقمت الخطوب واصطلحت الابتلاءات، وهو ﷺ ماضٍ في دعوته لا يصدُّه إيذاء ولا يخدِش في عزيمته تكالبُ الأعداء، ولا يأبَهُ لضيقِ سُبل الأرض... وسرعان ما جاء الفرج

الأعلى والمكرمة العظمى والحفاوة من أهل السماء؛ فكانت حادثة الإسراء والمعراج تمسح عن جبين النبوة ما عَلِق بها من غبار المعركة بين الحق والباطل، وفتحت السماوات أبوابها، فكانت مكرمةً للنبي ﷺ لم يَنَلْها مخلوق سواه! ورجع منها بالصلوات الخمس، وفتحت أمامه فسحة الكون، وانزاح عن كاهله ما تراكم من آلام ثِقال؛ فكان ذلك سعادة لقلبه الطاهر، كما كان سعادة لا تدانيها سعادة لفاطمة الزهراء وبقية أخواتها.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

هجرة فاطمة إلى المدينة المنوّرة

هاجرت السيدة فاطمة بعد أبيها ﷺ بعدّة أشهر، وكانت إذ ذاك بنت (١٨) سنة، وهي في أوج الفتوة وجيشان الشباب والعزيمة والطموح إلى معالي الأمور وبذل التضحيات والصبر على أعتى المشقات.

حيث بعث رسول الله ﷺ وهو نازل في دار أبي أيوب الأنصاري مَن يُحضِر أولادَه وزوجه ـ كما رواه الطبراني وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: (لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خلَّفَنا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيدَ بن حارثة وأبا رافع مولاه، ومعهما بعيران وخمس مئة درهم، ليجيئا بفاطمةَ وأمِّ كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسَوْدة بنت زَمْعَة زوجته، وأسامة بن زيد ـ وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان، وزينب مع زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ـ وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن

حارثة، وخرج معهم عبدالله بن أبي بكر بعيالِ أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين)[١].

ولم يكن طريق الهجرة سهلاً ميسوراً، فما كاد ركبُ المهاجرين هؤلاء ينفصل عن مكة ليأخذ طريق المدينة؛ حتى طاردهم بعض اللئام من المشركين، فقام غَميز الرجولية (الحُويرث بن نُقَيذ) وامتطى ظهر راحلته وألَهبها بالسياط ليلحق بابنتي رسول الله ﷺ، فنَخَس بهما جملَهما فرمى بهما على أديم الصحراء[٢]!.

وهي فَعْلَة خسيسة وعملٌ عارٍ عن الرجولية والمروءة وأخلاق العرب، وقد قاست بنتا النبي ﷺ من هذه الفَعْلة الآثمة فضلاً عن وَعْثاء السفر، فكابدتا السير أياماً وليالي حتى وصلتا إلى المدينة.

ولم يمرَّ هذا العمل الغادر المَشِين دونما عقاب، فقد كان الحويرث قبل هذا يؤذي النبي ﷺ ويهجوه، فكانت عقوبته أنه أحدُ الذين أَهدر رسول الله ﷺ دماءهم يوم فتح مكة، وقد قتله علي بن أبي طالب ﵁.

❁ ❁ ❁

(١) طبقات ابن سعد: ٦٢/٨ ـ ٦٣؛ المستدرك: ٤/٤ ـ ٥؛ مجمع الزوائد: ٢٢٧/٩؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٩٣/٣ ـ ٣٩٤.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٤١٠/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٣٤٠/٥.

الفصل الرابع

فاطمة في المدينة المنوّرة
وأنماط أخرى من التربية النبوية والمواقف الجليلة

أولاً: وفاة شقيقتها رقية:

انضمت فاطمة رضي الله عنها إلى كَنَـف أبيها ﷺ من جديد بعد أن فقدت أُنسَه ولطفَه ورعايته نحو عشرة أشهر، حيث هاجر قبلها إلى المدينة واستقر بها تلك المدة، ثم بعث إليها من يهاجر بها... ومضت الأيام وهي في بيت النبوة تشهد بناء الدولة الجديدة وما يكتنفها من أحداث كبار، كان أجلّها وقعةُ بدر الكبرى سنة (٢هـ)، التي اهتزت لها جزيرة العرب بانتصار القلّة المؤمنة على جمع المشركين من قريش.

ولم تكتمل فرحة فاطمة فقد حملت الأيام في مطاويها ابتلاءً جديداً لبيت النبوة، حيث كانت السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وزوج عثمان بن عفان تكابد المرض، وما إن أسفَرَ وجهُ غزوة بدر عن النصر وجاء البشير بذلك إلى المدينة، حتى كان القضاء قد حُمَّ بوفاة رقية[1] رضي الله عنها، فتجمَّل ﷺ

(١) انظر ما تقدم: ص ٥٦ في هذا الكتاب.

بالصبر واحتسبها عند الله تعالى مثلَ ما احتسب ولدَيْه القاسم وعبد الله!.

ونزل الخبر ممتزجاً بالألم والحزن البالغ على قلب السيدة الزهراء، التي فقدت أختها الشابة بنت الثانية والعشرين، والتي تكبرها بسنتين فقط.

ثانياً: الزواج الميمون:

بَيْد أن الحياة لا تجري على وجه واحد؛ ففيها العسر واليسر، وفيها الحزن والفرح، والإنسان يتقلب في ألوانها واختباراتها، والمؤمن أمرُه كله له خير... فلم يمضِ سوى قريب من الشهرين بُعَيد غزوة بدر حتى طَرق باب بيت النبوة نبأٌ كريم يحمله شاب جليل قريبٌ كلّ القرب من رسول الله ﷺ: قرابةَ روح، وقرابة نسب، وقرابة شرف، وقرابة منزل، وملاصقة في العيش والرعاية استمرت زُهاءَ عشرين سنة... ذلكم الطارق الكريم النبيل هو علي بن أبي طالب، جاء يخطُب بَضْعةَ النبي الكريم ﷺ ويرغب إليه بأن يقبله زوجاً لمحبوبته الأثيرة فاطمة البتول...

وجاء الجواب النبوي بالموافقة والغِبْطة، فكان الزواج المبارك الميمون في ذي القعدة من السنة الثانية للهجرة،

وأضحت فاطمة منذئذٍ في بيت الزوجية، قريبة ملاصقة لحجرات أمهات المؤمنين.

وانتقلت الزهراء إلى مرحلة جديدة من الحياة، تابعت فيها مسيرة حياتها المباركة، التي لم يتركها رسول الله ﷺ يوماً واحداً إلا وكان يأتيها، ويرعاها هي وزوجها وأبناءها بالتربية والتوجيه، ويرتقي بهم جميعاً إلى أرفع مراتب سِيَر الأبناء، لتكون مع زوجها وأولادها أطيبَ ثمار تربية سيد الأنبياء والمرسلين.

ثالثاً: في غزوة أُحُد:

والمرأة المسلمة كما أنها تربي الأطفال وتصنع الأبطال وتشارك في حياة المجتمع وبنائه وترقيته، هي كذلك لها دور جليل في حركة الجهاد وميادين القتال؛ تعين الرجال وتضمِّد الجراح وتثبِّت المقاتلين، وقد كان لفاطمة مواقف مهمة في هذا، مثل ما كانت صاحبة مواقف مشهودة في الفترة المكية وجهاد البلاغ.

ففي غزوة أُحُد بعدما خالَفَ الرماة أمرَ النبي ﷺ، وحاقَت الهزيمة بالمسلمين، وخَلَص العدو إلى رسول الله ﷺ، ونالَتْه الجراح فجُرِحت شفتُه السفلى ودخلت حلقتا المِغْفَر في

وجنَتَيْه وكُسِرت رَباعِيَتُه اليمنى السفلى وسَقط في الحفرة وسال دمه الطاهر... كانت هناك فاطمة تلاصق أباها بقلبها وعقلها وعينيها ويديها اللتين كانتا تضمِّدان جراحه!.

عن أبي حازم، عن سَهْل بن سعد الساعدي: (أن رجلاً سأله عن جُرْح رسول الله ﷺ ـ يوم أُحُد ـ فقال: جُرِح وجهُ رسول الله ﷺ، وكُسِرَتْ رَباعِيَتُه، وهُشِمَتِ البَيْضةُ على رأسه ﷺ، فكانت فاطمةُ بنت محمد ﷺ تَغْسِلُ الدم وعلي رضي الله عنه يَسكُب الماءَ عليها بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمة رضي الله عنها أن الماء لا يزيد الدمَ إلا كثرةً، أخذتْ قطعةً من حصير فأحرقَتْه، حتى إذا صار رماداً ألصَقَتْه بالجُرْح فاستمسَكَ الدم)(١).

وأوضحت رواية الطبراني سببَ مجيء فاطمة إلى أُحُد، قال: (لما كان يوم أُحُد وانصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعينونهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما رأت النبي ﷺ اعتنقَتْه وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقَتْه بالنار وكَمَدتْه به حتى لَصِق بالجرح فاستمسك الدم)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣)؛ ومسلم (١٧٩٠)؛ والترمذي (٢٢١٧)؛ وابن حبان (٦٥٧٩)، واللفظ له. المِجَنّ: التُّرس.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني (٥٨٩٧)؛ الفتح: ٣٣١/٩ ـ ٣٣٢، شرح الحديث (٤٠٧٥).

وأعطاها النبي ﷺ وزوجُها عليٌّ سيفيهما فغسلت عنهما الدم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما رجع رسول الله ﷺ أعطى فاطمة ابنتَه سيفَه فقال: «**يا بُنَيّة، اغسِلي عن هذا الدمَ**»، فأعطاها عليٌّ سيفَه فقال: وهذا فاغْسِلي عنه دمَهُ، فوالله لقد صدقني اليوم القتالَ، فقال رسول الله ﷺ: «**لئن كنتَ صدقتَ القتال اليوم، لقد صَدَق معك القتالَ اليوم سَهْل بن حُنيف وسِمَاك بن خَرَشَة أبو دُجانة**»)(١).

رابعاً: في غزوة الفتح:

كان للسيدة فاطمة مع أبيها ﷺ مواقف ومشاهد قبل الغزوة وفي أثنائها وبعد الانتهاء منها.

فبعد أن نقضت قريش صلحَ الحُديبية مع رسول الله ﷺ، أسرع زعيمها أبو سفيان وأَغذَّ السيرَ إلى المدينة ساعياً في تجديد الصلح، ومستجدياً النبيَّ ﷺ في قبول ذلك، وتشفَّع إليه بأبي بكر وعمر وعثمان، فردُّوه جميعاً بكلام شديد.

فتوجَّه إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة رضي الله عنهما، و(دخل أبو سفيان على عليٍّ فقال: يا علي، إنك أَمَسُّ القوم بي رحماً،

---

(١) أخرجه الحاكم: ٢٤/٣، وصححه؛ وهو في السيرة النبوية، لابن هشام: ١٠٠/٢.

وإني جئتُ في حاجة فلا أرجعُ كما جئتُ خائباً، فاشفَعْ لي إلى محمد. فقال: وَيْحَكَ يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيعُ أن نكلمه فيه!... فلما أَيِسَ مما عنده، دخل على فاطمة الزهراء ﵂، والحسن غلام يَدِبُّ بين يديها، فقال: يا بنتَ محمد، هل لك أن تُجيري بين الناس؟ فقالت: إنما أنا امرأة، وأبَتْ عليه. فقال: مُري ابنَك هذا فيُجير بين الناس، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر. قالت: والله ما بَلَغ ابني ذاك أن يُجير بين الناس، وما يُجير أحدٌ على رسول الله ﷺ)[1].

وعزم النبي ﷺ على فتح مكة، فسار في جيش قوامه عشرة آلاف صحابي، وكانت ابنته الزهراء معه، ووصل الفاتحون إلى مكة، فطهَّرها ﷺ من الأوثان، وارتفع الأذان في جنباتها.

وعادت لفاطمة ذكريات الصِّبا في بيتها بمكة المكرّمة، بعد أن انقطعت عنها ثمانية أعوام. وزاد من فرحها أن أباها ﷺ قد أمر أن تُركز رايته (بالحَجُون) بالقرب من مثوى أمها العظيمة خديجة بنت خويلد! فاستعرضت في خيالها ما سجَّلَتْه ذاكرتها من أحداث ومواقف في تلك الأيام الجميلة على قسوتها، ومن أجلِّ تلك الأحداث ما كان من

(١) مصنف عبدالرزاق (٩٧٣٩)؛ السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٩٦/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٣١٤/٥.

(الحويرث بن نُقَيذ) الذي نَخَس راحلتها فسقطت هي وأختها أم كلثوم على الأرض! ووجدت أباها ﷺ لم يتساهل إزاءَ هذا العمل الأثيم، حيث أَهدر دماءَ نفر قليل وأمر بقَتْلِهم ولو وُجِدوا تحت أستار الكعبة، وكان ذلك مصير الحويرث الذي خَطَف سيفُ علي عنقَهُ!.

وقَلَّ ما كانت فاطمة تفارق أباها ﷺ ؛ ترعاه وتخدِمُه وتنفِّذ أوامره وتوجيهاته، ومن ذلك أنها تُحضر له الماء ليغتسل، وتستُر عليه عن الناس.

تروي الصحابية أم هانئ بنت أبي طالب فتقول: (ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عامَ الفتح، فوجدتُه يغتسلُ، وفاطمةُ ابنته تَسْتُرُه، فسلَّمتُ عليه، فقال: «مَن هذه؟» فقلتُ: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «مَرْحباً بأمِّ هانئ». فلما فَرَغ من غُسْلِه قام فصلّى ثمانَ ركعات مُلتحِفاً في ثوب واحد)[1].

وكان هذا الغُسل من أثر الغبار، كما بينت ذلك رواية أحمد في «المسند».

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) و(٢٨٠)؛ ومسلم (٣٣٦)؛ والترمذي (٢٩٣٢)؛ وأحمد (٢٦٨٩٢)، وغيرهم.

الفصل الخامس

اهتمام نبوي بالغ بفاطمة وبنيها ورعاية دائمة وحب غامر

كان من قدر الله تعالى وابتلائه لنبيه ﷺ - زيادةً في أجره ورفعاً لمنزلته - أنه فَقَد جميعَ أولاده ما عدا فاطمة البتول، فتوفِّيت زينبُ في أول سنة (٨هـ)، فحزِن ﷺ عليها حزناً شديداً، وأما فاطمة فكأنها ثَكِلت أمَّها من جديد؛ ذلك أن شقيقتها زينب هي أكبر أخواتها وتكبر فاطمة بخمس سنين، والبنت الكبرى في الأسرة بمثابة أمٍّ لأخواتها.

وفي السنة التالية في شعبان سنة (٩هـ) توفيت أم كلثوم آخر شقيقات فاطمة، فزادها ذلك أسًى ولوعةً، إذ لم يبقَ من أسرتها غير أبيها ﷺ! وكذلك هو ﷺ توالت ابتلاءاته في أولاده فلم يبق له منهم سوى فاطمة؛ حيث أكرمه الله تعالى بها ورزقها الأولاد الذين امتدَّ بهم العمر، فكانوا جميعاً يملؤون دنيا رسول الله ﷺ بهجةً وسروراً، وأمَّا هم فقد فازوا بالمربي الأعظم الذي أعطاهم كل عاطفة الأبوَّة وحنانها ورعايتها، فكانوا أُنْسَه وسلوتَه من الدنيا بما يعوضونه عمَّن فَقَده ويعزُّونه عمَّن غاب.

فــكان رســول الله ﷺ دائمَ الاتصــال بهــم والرعاية لهم والحنوِّ عليهم ودخول بيتهم وتفقُّد أحوالهم، لا يكاد يمرُّ يوم إلا ويأتيهم ويتعاهدهم، ويمرُّ ببيتهــم حتى في صلاة الفجر، وإذا ســافر كان آخر عهد بإنســان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدِم من ســفره فاطمة. وتســتقبله هي وتعانقه وتقبِّل وجهه وعينيه وتُجلِسُــه في مكانها، ويفعل هو بها مثلَ ذلك إذا قدِمَتْ عليه.

كذلك كان يرعى أبناءها ويحملهــم ويداعبهم ويطعمهم ويسقيهم بيده الشــريفة، حتى إنهم ليرتحلونه عند سجوده في صلاته فيتمادى في الســجود لِيتمَّ سعادتهم بذلك! بل إن كان لَيَمصُّ لســانَ أحدِهم في أســلوب رقيق لمداعبــة الأطفال، فــكان ﷺ المثل الأعلى فــي رحمته وحنانه، كمــا هو المثل الأعلى في كل شيء، عليه أفضل الصلاة وأزكى السَّلام.

ونجد الأمثلة الكثيرة والمواقف المثيرة في هذا الباب مما سيأتي بيانه في الباب التالي.

❁ ❁ ❁

الباب الثالث

فاطمةُ الزَّهراءُ الزَّوجةُ المثاليةُ

- مقدِّماتُ الزَّواجِ.
- الزِّفافُ الميمونُ، والأيامُ الأولى مِنَ الزَّواجِ.
- حياةُ زُهْدٍ وتقشُّفٍ وجِدٍّ واجتهادٍ وعبادةٍ.
- تربيةٌ نبويَّةٌ حانيةٌ جليلةٌ، ورعايةٌ دائمةٌ.
- العلاقةُ بينَ الزَّوجَيْنِ الكريمَيْنِ.
- أحاديثُ واهيةٌ وموضوعةٌ، ومزاعمُ ومجازفاتٌ باطلةٌ.

• • •

الفصل الأول

مقدمات الزواج

في كل مجتمع يتطلع عِلْيَةُ القوم وذوو المكانة فيهم إلى مصاهرة الأشراف ورؤوس الناس، لتتلاقى الفضائل والمكارم والخصال الرفيعة والشمائل الشريفة بين الأزواج، فينجبون الأبناء الذين تتجدَّد فيهم صفات الآباء وتتصل عناصر السيادة والشرف والسُّؤْدُد وقيادة الأمة وسياسة المجتمع والحياة... فما بالك إذا كان وليّ المصاهرة وصاحب الشأن هو رسول الله ﷺ سيد ولد آدم وذروة سنام فضائل البشر؛ محتِداً وأرومة ونسباً وشرفاً وخُلقاً وسيادة وسُؤْدُداً، فضلاً عن أنه خِيرة الله من خَلْقِهِ ليكون خاتمة رسله إلى الناس كافة ورحمة الله للعالمين؟!.

لا مراءَ بأننا سنجد كثيرين من ذوي المكانة والحسب والنسب والشرف والسيادة في قومهم سيطمحون إلى أن يتصلوا برسول الله ﷺ بسبب، ويفوزوا بشرف الدنيا وعزِّ الآخرة، وبخاصة إذا أضفنا إلى جميع ما تقدم أنه ﷺ أخبر

فقال: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسبٍ منقطعٌ يوم القيامة، إلَّا سَببي ونَسَبي**»(١).

في ضوء ذلك ندرك حِرص عثمان بن عفان وأبي العاص بن الربيع العَبْشَمِيَّيْن القُرَشِيَّيْنِ على مصاهرة النبي ﷺ، وكذلك استباق أبي بكر وعمر وعليٍّ إلى خِطْبة فاطمة الزهراء، فاعتذر ﷺ لصاحبَيْه الجليلين أبي بكر وعمر لأنه كان وَعَد بها عليّاً من قبل، ولفارقِ السنِّ من جهة أخرى، ولأنه ﷺ اتصل بهما بزواجه بابنتيهما من جهة ثالثة؛ فكانت الأقدار تعقِد سببَ المصاهرة مع علي بن أبي طالب؛ فكانت حكمة الله تعالى ومشيئته أن يتصل رسول الله ﷺ بسبب ونسب مع الخلفاء الراشدين الأربعة!.

أولاً: من رغب بالزواج من فاطمة، وموافقته ﷺ على علي:

عن بُرَيْدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه قال: (خَطَب أبو بكر وعمرُ فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها صغيرةٌ**»، فخَطَبها عليٌّ، فزَوَّجها منه)(٢).

---

(١) السلسلة الصحيحة (٢٠٣٦)؛ صحيح الجامع (٤٥٢٧).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٣١٠)، وفي الصغرى: ٦٢/٦؛ وابن حبان (٦٩٤٨)؛ والحاكم: ١٦٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

قلت: أبو بكر أكبَـــرُ من فاطمة بـ(٣٢) ســـنة، وعمرُ أكبرُ منها بـ(٢٢) سنة، أما عليٌّ فيكبرها بخمس سنين.

وروى حُجْر بن العَنْبس ـ وهو تابعي مُخَضْرم ثقة، شـــهد مع علي الجمل وصفِّين ـ قـــال: (خَطب أبو بكر وعمر فاطمةَ إلى رســـول الله ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**هي لك يا علي، لســـتُ بدجَّال**» يعني: لســـتُ بكذاب، وذلك أنه قد كان وَعَد عليّاً بها قبل أن يخطُب إليه أبو بكر وعمر)(١).

وهذا فيه إرســـال لأن حُجْراً تابعي، وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابـــة» فيمن أدرك النبيَّ ﷺ ولم يره، وأورد له هذا الحديث وقال: اتفقوا علـــى أن حُجْر بن العَنْبَس لم يرَ النبيَّ ﷺ، فكأنه سمع هذا من بعض الصحابة(٢).

وقد جاء في هـــذا الموضـــوع أحاديث كثيـــرة ضعيفة جدّاً وواهية وموضوعة، نذكر هنـــا واحداً منها، ونورد أمثلة أخرى في «الباب السابع»(٣).

---

(١) طبقات ابن ســـعد: ١٩/٨ ـ ٢٠؛ المعجم الكبيـــر، للطبراني (٦٥٧١)؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٧٧/١١؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ٢٠٤/٩، وقال: رجاله ثقات إلَّا أن حجراً لم يسمع من النبيِّ ﷺ.

(٢) الإصابة: ٣٧٤/١.

(٣) انظر: ص ٢٦٥ ـ ٢٧٤ في هذا الكتاب.

روى يحيى بن يعلى الأَسْلَمي، عن سعيد بن أبي عَروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: (جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمتَ مناصحتي وقِدَمي في الإسلام، وإني وإني، قال: «وما ذاكَ؟» قال؛ تزوِّجُني فاطمة، قال: فسكتَ عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر، فقال له: قد هلكتُ وأهلكتُ! قال: وما ذاك؟ قال: خَطبتُ فاطمةَ إلى النبي ﷺ، فأعرضَ عني، قال: مكانَكَ حتى آتي النبيَّ ﷺ فأطلبَ مثلَ الذي طلبتَ. فأتى عمرُ النبي ﷺ، فقعد بين يديه، فقال: يا رسول الله، قد علمتَ مناصحتي وقِدَمي في الإسلام، وإني وإني، قال: «وما ذاكَ؟» قال: تزوِّجني فاطمة، قال: فسكتَ عنه، فرجع إلى أبي بكر فقال له: إنه ينتظرُ أمرَ الله فيها، قُمْ بنا إلى عليٍّ حتى نأمرَهُ يطلب مثل الذي طلبنا.

قال عليٌّ: فأتياني وأنا أُعالج فَسيلاً لي، فقالا: إنَّا جئناك من عند ابن عمك بخِطبة، قال علي: فنَبَّهاني لأمر، فقمتُ أجرُّ ردائي حتى أتيتُ النبي ﷺ، فقعدتُ بين يديه، فقلت: يا رسول الله، قد علمتَ قِدَمي في الإسلام ومناصحتي، وإني وإني، قال: «وما ذاكَ؟» قلتُ: تزوِّجُني فاطمة، قال: «وعندك شيء؟» قلت: فرسي وبَدَني[1]، قال: «أما فَرسُكَ فلا بدَّ لك

(١) البَدَن: الدِّرع من الزَّرد.

منه، وأما بَدَنُك فبِعْها»، قال: فبعتُها بأربع مئة وثمانين، فجئت بها حتى وضعتُها في حَجْره، فقبَضَ منها قبضة فقال: «أَيْ بلالُ، ابتغِنا بها طِيباً». وأمرَهُم أن يجهِّزوها، فجعل لها سريراً مشرطاً بالشرط، ووسادة من أَدَمٍ حشوها لِيفٌ، وقال لعليٍّ: «إذا أَتَتْكَ فلا تُحْدِثْ شيئاً حتى آتيكَ». فجاءت مع أم أيمن حتى قَعَدتْ في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «هاهنا أخي؟» قالت أم أيمن: أخوكَ وقد زوَّجْتَه ابنتَكَ؟ قال: «نعم»...) الحديث، وفيه: أن النبي ﷺ أخذ ماءً ومَجَّ فيه ثم نَضَحَه على فاطمة بين ثَدْيَيْها وعلى رأسها وبين كتفَيْها، وفعل مثل ذلك مع علي، ثم دعا لهما، ثم قال لعليٍّ: «ادْخُلْ بأهلِكَ، بسم اللهِ والبركةِ»)[1].

قال الحافظ ابن حجر: الحديث ظاهرٌ عليه الافتعال. وقال في ترجمة يحيى بن يعلى الأسلمي من «تهذيب التهذيب»: أخرج له ابن حبان في «صحيحه» حديثاً طويلاً في تزويج فاطمة، فيه نكارة.

وقال العلّامة شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف[2].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٤٤)؛ والطبراني في الكبير: ٢٢/(١٠٢١).

(٢) انظر: صحيح ابن حبان: ١٥/٣٩٣ ـ ٣٩٦ وهامشه؛ تهذيب التهذيب: ١١/٢٦٦؛ سبل الهدى والرشاد: ١١/٤٧٩ ـ ٤٨٠؛ مجمع الزوائد: ٩/٢٠٥ ـ ٢٠٦.

ثانياً: مهر فاطمة وجَهَازها:

كان يُسْرُ المهر وبساطة الجهاز والتقلُّلُ من الدنيا من مزايا عصر الصحابة، وفي مقدمة الشروط الواجب توافرها في الشاب الذي يتقدم للخِطْبة راغباً بالزواج أن يكون ثخينَ الدين رفيع الأخلاق، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم مَن تَرْضَون خُلُقَه ودينَه فزوِّجُوه، إلا تفعلُوه تكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ**»(١).

وأهم صفات الفتاة التي يحرص العقلاء على الزواج بها: أن تكون ذات دينٍ وحَسَب ونَسَب؛ كما قال النبي ﷺ: «**تُنكح المرأةُ لأربعٍ: لمالِها، ولحَسَبِها، وجَمالِها، ولدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدين تَرِبَتْ يَداكَ**»(٢).

وقد جمع العروسان (علي وفاطمة) أوفرَ نصيب من كل مكرمة وفضيلة ومزيّة مما تقدم، أما سيدنا رسول الله ﷺ والد (العروس) فقد كان قدوة العالمين في كل خير وفضل ومنقبة، وأقام من نفسه الشريفة وابنته وصهره أنبلَ الأمثلة على تيسير الزواج في كل سبيل.

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٠٩)؛ وابن ماجه (١٩٦٧)،وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)؛ ومسلم (١٤٦٦)؛ وأبو داود (٢٠٤٧)، وغيرهم.

يتقدم إليه ربيبُ النبوة ابنُ عمه الذي تربى في حَجْره راغباً بكريمته السيدة البتول، وهو قليل ذات اليد لا يملك من متاع الدنيا إلا ما يَسدُّ الرَّمَق ويُقيم الأَوَد ويستر الجسد، فلا يجدُ منه إلا ما عرفه من كرم الأخلاق ونُبْل الشِّيَم وطلاقة الوجه والزهد بالدنيا، فيَقبل منه مهراً زهيداً لأحبِّ بناته إليه وآخرهنَّ زواجاً، فيرزقه الله منها أكرمَ حَفَدة تتصل بهم ذريتُه الطاهرة.

●● عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن علياً قال: تزوَّجتُ فاطمةَ، فقلتُ: يا رسول الله، ابنِ لي، فقال: «**أَعْطِها شيئاً**» قال: ما عندي شيء، فقال: «**أين دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟**» قلت: عندي، قال: «**فأَعْطِها إيَّاه**»)[1].

وجاء عن ابن عباس روايات أخرى قريبة منها[2].

وفي رواية عند رجل سمع علياً رضي الله عنه يقول: (أردتُ أن

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٥٤١)، وفي الصغرى: ٦/١٢٩، وصححه الألباني. قوله: «**الحُطَمِيَّة**»: هي التي تَحْطِم السيوفَ؛ أي تكسرها. وقيل: هي العَريضة الثقيلة. وقيل: هي منسوبة إلى بطْن من عبدالقيس يُقال لهم: حُطَمَة بن محارب، كانوا يعملون الدروع، وهذا أشبه الأقوال. النهاية: ١/٤٠٢. والدرع تُذكَّر وتُؤنَّث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٢٥)؛ والنسائي في «الكبرى» (٥٥٤٢)؛ وابن حبان (٦٩٤٥).

أخطُب إلى رسـول الله ﷺ ابنتَه، ثم ذكرتُ أنه لا شـيء لي، فذكرت عائدتَه وفَضْلَه، فخطبتُها، فقال لي: «**هل عندك شـيء تعطيها إيَّـاهُ؟**» قلت: لا، قال: «**فأيـنَ دِرْعُـك الحُطَميَّة التي أعطيتُكَهَا يومَ كذا وكذا؟**» قلـت: هي عندي، قال: «**فَأْتِ بها**» قال: فجئتُ بها، فأعطيتُه إياها، فزوجنيها)[1].

وروى عِكْرمـة، عـن ابـن عبـاس: أنـه سـمعَه يقول: (ما استَحَلَّ عليٌّ فاطمةَ إلا ببَدَنٍ من حديد)[2].

•• ويحدِّثُنا عليٌّ ﵁ عن موقف مُثيـر مُعجِب يبيّن فيه كيفية استعداده لتوفير (تكاليف الزفاف) ونفقات وليمة العرس:

فيروي الحسين بن علي عليهما السلام: أن عليّاً قال:

(كانت لي شـارِفٌ من نَصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شـارفاً مـن الخُمُس، فلمـا أردتُ أن أبتني بفاطمةَ بنتِ رسـول الله ﷺ، واعَدْتُ رجـلاً صَوَّاغاً من بني قَيْنُقاع أن يرتحل معي فنأتـيَ بإذْخِرٍ أردتُ أن أبيعَه الصَّواغين وأستعينَ به في وليمة عُرْسِي.

---

(١) أخرجه الحميدي (٣٨)؛ وأحمد (٦٠٣)؛ وابن سـعد: ٢٠/٨، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن علي، لكن تشهد له الأحاديث المتقدمة.

(٢) أخرجـه ابن حبـان (٦٩٤٦)؛ والبيهقـي: ٢٣٤/٧، وصححه شـعيب الأرنؤوط.

فبينا أنا أجمع لشارِفيَّ متاعاً من الأَقْتاب والغَرَائر والحِبَال، وشارِفايَ مُنَاخان إلى جَنْب حجرة رجل من الأنصار، فرجعتُ حين جمعتُ ما جمعتُ، فإذا شارفايَ قد اجْتُبَّ أسنِمتُهما وبُقِرتْ خواصِرُهما، وأُخِذَ من أكبادهما، ولم أَمْلِك عينيَّ حين رأيتُ ذلك المنظر منهما، فقلت: مَن فعل هذا؟ فقالوا: فعلَ حمزةُ بنُ عبدالمطلب، وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار!.

فانطلقتُ حتى أدخلَ على النبي ﷺ، وعنده زيدُ بن حارثة، فعَرَف النبي ﷺ في وجهي الذي لقيتُ، فقال النبي ﷺ: «ما لَكَ؟» فقلت: يا رسول الله، ما رأيتُ كاليوم قطُّ، عَدَا حمزة على ناقتيَّ فَجَبَّ أسنمتَهما وبَقَر خواصرَهما، وهاهو ذا في بيت مع شَرْبٌ!.

فدَعَا النبي ﷺ بردائِه فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتَّبعتُه أنا وزيدُ بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذَنَ، فأذِنوا لهم، فإذا هم شَرْبٌ. فطَفِق رسولُ الله ﷺ يَلومُ حمزةَ فيما فعل، فإذا حمزة قد ثَمِلَ محمرَّةً عيناهُ، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ، ثم صَعَّدَ النظرَ فنظر إلى ركبَتَيْه، ثم صَعَّدَ النظر فنظر إلى سُرَّتِه، ثم صَعَّدَ النظرَ فنظر إلى وجْهه، ثم قال حمزة: هل أنتم إلا عبيدٌ لأَبي؟! فعرف

رسول الله ﷺ أنه قد ثَمِلَ، فنَكَصَ رسول الله ﷺ على عَقِبَيْه القَهْقَرى، وخرجنا معه)(١).

وعن عِلْبَاء بن أحمر قال: قال علي بن أبي طالب: (خطبتُ إلى النبي ﷺ ابنتَه فاطمة، فباع عليٌّ درعاً له وبعضَ ما باع من متاعه، فبَلَغ أربعَ مئة درهم وثمانين درهماً، وأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثَيْه في الطِّيب، وثلثاً في الثياب، ومَجَّ في جرَّة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به)(٢).

•• ومثل ما كان المهرُ يسيراً كان الجَهاز بسيطاً يشمل أثاثاً قليلاً يؤدي الغرض ويفي بالحاجة، ولم يحتجْ معه عليٌّ الشاب أن يستدين من المال ما يشتري به فاخر الثياب ولوازم النوم والجلوس والأضياف والأكل والشرب، مما يُجهده تحصيله ويَؤُده ثمنُه... فالسكن حجرة متوسطة المساحة معتدلة الارتفاع قد فُرشت أرضها بالرمل الناعم، والأثاث ولوازم الحياة

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٩) و(٣٠٩١) واللفظ له؛ ومسلم (١٩٧٩)؛ وأبو داود (٢٩٨٦)، وغيرهم. **الشارف**: المسن من النوق. **اجتب**: الجب: الاستئصال في القطع. **شَرْب**: جمع شارب. **ثمل**: سكران. وهذا كان قبل تحريم الخمر.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٥٣)؛ وابن سعد: ٨/٢١ ـ ٢٢؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ٩/١٧٥ وقال: رجاله ثقات؛ وصححه محقق مسند أبي يعلى.

الزوجية: فراشٌ حشوُه ليف، ووسادة حشوها إِذْخِر، وقَطيفة ذات خَمْل، وجلدُ كبش، وحصير للجلوس عليها، ومنشفة، ومنخل، ورَحْيَان، وسقاء وجرَّتان وقَدَح، وعِطْر وطِيب.

ـ عن علي رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ لما زوَّجه فاطمةَ، بَعث معها بخَمِيلة ووسادةٍ من أَدَم حشوُها ليف ورَحيَيْن وسقاءً وجَرَّتين)[1].

ـ وفي رواية عن عليٍّ: (أن رسول الله ﷺ أتى عليّاً وفاطمة، وهما في خَميل لهما ـ والخَميل: القَطِيفة البيضاء من الصوف ـ قد كان رسول الله ﷺ جهَّزهما بها، ووسادةٍ محشوّة إِذْخِراً، وقِرْبة)[2].

ـ وروى ابن سعد: عن امرأة كانت مع النسوة اللائي أَهدين فاطمةَ ـ أي هَيَّأْنَها وزَفَفْنَها ـ إلى عليٍّ، قالت: (أُهْدِيَتْ في بُرْدَين عليها دُمْلُوجان من فضّة مصفَّران بزعفران، فدخلنا بيتَ عليّ فإذا إهاب شاة على دُكّان، ووسادةٌ فيها لِيف، وقِرْبة ومُنْخُل ومِنْشَفة وقَدَح)[3].

---

(1) أخرجه أحمد (819)، وصححه أحمد شاكر. وسيأتي مطولًا: ص 124 ـ 125 في هذا الكتاب.

(2) أخرجه ابن ماجه (4152)؛ وأحمد (643)؛ وابن حبان (6947)، وصححه أحمد شاكر والألباني.

(3) طبقات ابن سعد: 8/24. الدُّمْلُوج: سِوار يحيط بالعَضُد. دُكّان: مِصْطَبَة.

- وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال: (لمَّا جهَّزَ رسول الله ﷺ فاطمةَ إلى علي رضي الله عنهما، بعث معها بخَميلٍ - وهي القَطِيفة - ووسادة من أَدَم حشوها ليف، وإِذْخِر، وقِرْبة، كانا يفترشان الخَميل ويلتحفان بنصفه!)(١).

- وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: (أَمَرنا رسولُ الله ﷺ أن نُجهِّزَ فاطمةَ حتى نُدخِلَها على عليٍّ، فعَمَدْنا إلى البيت ففَرشْنَاه تُراباً لَيِّناً من أعراض البَطْحاء، ثم حَشَونا مِرْفَقَتَيْن ليفاً فنَفَشْناه بأيدينا، ثم أُطْعِمنا تمراً وزَبيباً وسُقِينا ماءً عذباً، وعَمَدْنا إلى عُود فَعَرضْنَاه في جانب البيت يُلقى عليه الثوبُ ويُعلَّق عليه السِّقاء، فما رَأَيْنا عُرْساً أحسنَ من عُرْس فاطمةَ)(٢).

ثالثاً: الذين حَضُّوا عليّاً على (خطبة فاطمة) وشاركوا في مساعدته بالمهر والوليمة ومظاهر الفرح:

وقد حثَّ عليّاً على خطبة السيدة الزهراء أبو بكر وعمر

---

(١) مجمع الزوائد: ٩/٢١٠ وعزاه للطبراني؛ سبل الهدى والرشاد: ١١/٤٨٣. **الخميلة**: بِساط له خَمْل أي هُدْب رقيق. **أَدَم**: جلد. **الإِذْخِر**: حشيشة طيبة الرائحة تُسقف بها البيوت فوق الخشب.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩١١)، وهو حديث ضعيف ضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **أعراض البطحاء**: جوانب البطحاء، **والبطحاء**: مسيل الماء الواسع يتجمع فيه الحصى والرمال. **مِرفقتين**: مِخَدَّتين.

وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم جميعاً، واحتفَى المجتمع الإسلامي بهذا الزواج المبارك، وشارك فيه المهاجرون والأنصار رجالاً ونساء، واغتبَطوا به وحَثّوا عليه وسَعَوا فيه، وأسهموا في تمام الخِطْبة، وبذلوا أموالهم في المهر وصنع الوليمة، وأظهَروا كافة أسباب الفرح والسعادة؛ إكراماً وإجلالاً وإعزازاً للنبي الأعظم ﷺ وآل بيته الأطهار.

●● روى مجاهد: عن علي بن أبي طالب قال: (خُطِبتْ فاطمة إلى رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: هل علمتَ أن فاطمة خُطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلتُ: لا، قالت: فقد خُطِبت، فما يَمنعُك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوِّجك؟! فقلت: وعندي شيءٌ أتزوَّج به؟ فقالت: إنك إنْ جئتَ رسولَ الله ﷺ زَوَّجَك! فوالله ما زالت تُرَجِّيني حتى دخلتُ على رسول الله ﷺ وكانت لرسول الله ﷺ جلالةٌ وهيبةٌ، فلما قعدتُ بين يديه أُفْحِمْتُ فوالله ما أستطيعُ أن أتكلَّم! فقال: «**ما جاءَ بك؟ ألكَ حاجةٌ؟**» فَسَكتُّ، فقال: «**لعلَّكَ جئتَ تَخطُب فاطمةَ؟**» قلت: نعم، قال: «**وهل عندك من شيء تستحلُّها به؟**» فقلتُ: لا والله يا رسول الله، فقال: «**ما فعلتَ بالدِّرع التي سَلَّحْتُكَها؟**» فقلت: عندي، والذي نفس عليٍّ بيده إنها لَحُطَمِيَّة ما ثمنُها أربع مئة درهم، قال: «**قد**

زَوَّجْتُــك، فابعثْ بهــا»، فإنْ كانــت لَصَــداقَ فاطمة بنت رسول الله ﷺ)(١).

وعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب ﵁: (أن نَفَراً من الأنصار قالوا لعلــيٍّ ﵁: لو خطَبــتَ فاطمةَ بنــت رســول الله ﷺ! فأتى رسولَ الله ﷺ، فســلَّم عليه، فقال: «**ما حاجةُ ابن أبي طالب؟**» قال: ذكرتُ فاطمة بنتَ رسول الله ﷺ، قال: «**مَرْحباً وأَهْلاً**» لم يزِدْهُ عليهمــا. فخرج عليٌّ علــى أولئك الرَّهْــط من الأنصار ينتظرونه، قالوا: مــا وراءَكَ؟ قال: مــا أدري، غير أنه قال لي: «**مَرْحباً وأهلاً**» قالوا: يكفيك من رســول الله إحداهما؛ أعطاك الأهلَ وأعطاك المرحبَ. فلما كان بعد ذلك بعدما زَوَّجَه، قال: «**يا عليُّ، إنه لا بدَّ للعُرس من وَليمة**» فقال سعد: عندي كبشٌ، وجمع له رَهْطٌ من الأنصار آصُعاً من ذُرَة. فلما كان ليلةَ البناء، قــال: «**يا علــيُّ، لا تحدِثْ شــيئاً حتــى تلقاني**» قــال: فدعا رســول الله ﷺ بإناء فتوضأ فيه، ثم أفرغه علــى عليٍّ ثم قال: «**اللَّهمَّ بارِكْ فيهما، وبارِكْ عليهما، وبارِكْ لهما في نَسْلِهما**»).

وفي رواية: «**وبارك لهما في شِبْلَيْهما**»(٢).

---

(١) أسد الغابة: ٥/٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٨/٢١؛ والنســائي في «الكبرى» (١٠٠١٦)؛ وأحمد (٢٣٠٣٥)؛ والطبرانــي في «الكبير» (١١٥٣)؛ والطحاوي في «شــرح المشكل» (٥٩٤٧)، وقال العلّامة شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

•• وفي كتب الشـيعة: أن أبا بكر وعمر وعثمان ساعدوا عليّاً فـي زواجه وتوفيـر المهر والنفقات، كما شـهد الخلفاء الثلاثة عقد الـزواج بأمر النبـي ﷺ، وهذا ما يؤكـد العلاقة الحميمـة بين الصحابة عامة والأربعة الكبـار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي خاصة، في حياة النبـي ﷺ وبعد وفاته، لا كما يزعم الأفاكون المفترون قديماً وحديثاً.

ـ يقول علـي رضي الله عنه: (إني لمَّا تقدَّمتُ إلى رسـول الله ﷺ طالباً منه زواجَ فاطمة، قال لي: «**بِعْ دِرْعَكَ وائتني بثمنِها حتى أهيِّئ لك ولابنتـي فاطمة ما يُصلحكما**» قـال علي: فأخذتُ درعـي فانطلقتُ به إلى السـوق فبِعْتُه بأربعِ مئة درهم سُـود هَجَريَّة من عثمان بن عفان، فلمـا قبضتُ الدراهم منه وقَبض الدرعَ منِّي قال: يا أبا الحسن، ألستُ أولى بالدرع منك وأنت أولـى بالدراهم منّي؟ فقلت: نعم، قال: فـإن هذا الدرع هدية مني إليك! فأخـذتُ الدرعَ والدراهمَ وأقبلتُ إلى رسـول الله ـ ﷺ ـ فطرحتُ الدرع والدراهم بين يديـه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي ﷺ بخير)[1].

---

(١) المناقـب، للخوارزمـي، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ كشـف الغمـة، للإربلي: ٣٥٩/١؛ بحار الأنوار: ٣٩/١٠ ـ ٤٠؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

- ويروي محمد باقر المَجْلِسي - السَّبَّاب الشتَّام للصحابة وخاصة أبا بكر وعمر - فيقول: (في يوم من الأيام كان أبو بكر وعمر وسعد بن معاذ جلوساً في مسجد الرسول ﷺ، وتذاكروا ما بينهم بزواج فاطمة عليها السلام. فقال أبو بكر: أشرافُ قريش طلبوا زواجَها من النبي ولكن الرسول قال لهم بأن الأمر في ذلك إلى الله - ونظن أنها لعلي بن أبي طالب - وأمَّا علي بن أبي طالب فلم يتقدَّم بطلبها إلى رسول الله لأجلِ فقره وعدم ماله.

ثم قال أبو بكر لعمرَ وسعدٍ: هَيَّا بنا إلى علي بن أبي طالب لنشجِّعَه ونكلِّفَه بأن يطلب ذلك من النبي، وإنْ مانَعَه الفقر نساعده في ذلك. فأجاب سعدٌ: ما أحسنَ ما فكَّرتَ به! فذهبوا إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام...) فذكر خبراً طويلاً[1].

بل إن أبا بكر قام بتهيئة متطلبات الزواج وأعدَّها بأمرِ رسول الله ﷺ، كما يروي الطُّوسي: أن عليّاً باعَ درعَه وأتى بثَمنِه إلى الرسول، (ثم قبضه رسول الله من الدراهم بكلتا يديه، فأعطاها أبا بكر وقال: ابْتَعْ لفاطمةَ ما يَصلحها من ثياب وأثاث البيت. وأَردَفَه بعمار بن ياسر وبعدَّةٍ من أصحابه،

---

(١) جلاء العيون، للمجلسي: ١٦٩/١؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٧٢ - ٧٣.

فحضروا السوق، فكانوا يعرضون الشيء مما يَصلح فلا يشترونه حتى يَعرِضوه على أبي بكر، فإن استصلحه اشتروه. حتى إذا استكمل الشراء، حمل أبو بكر بعضَ المتاع، وحمل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه الباقي!)(١).

ويروي علي بن عيسى الإِرْبلي في كتابه «كشف الغمة»: (عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال له: «**انطلِقْ فادْعُ لي أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً وطلحة والزبير، وبعددِهم من الأنصار**» قال: فانطلقتُ فدعوتُهم له، فلما أن أخذوا مجالسهم، قال رسول الله ﷺ بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه: «**ثم إني أُشْهِدُكم أني قد زوَّجْتُ فاطمةَ من عليٍّ على أربعِ مئة مِثقال فضة**»)(٢).

ونحن فيما نورده من «كتب الشيعة» إنما هو لإلزامهم بما في كتبهم، لتأكيد العلاقة الأخوية بين أصحاب النبي ﷺ، وبخاصة الخلفاءُ الأربعةُ، وإجلال الجميع وإعظامهم لأهل البيت، ودحض مفتريات الرافضة في ذلك.

❁ ❁ ❁

(١) الأمالي، للطوسي: ٣٩/١؛ جلاء العيون، للمجلسي: ١٨٦/١؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٢) كشف الغمة: ٣٤٨/١ ـ ٣٤٩؛ بحار الأنوار: ٤٧/١ ـ ٤٨؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٧٥.

الفصل الثاني

الزفاف الميمون، والأيام الأولى من الزواج

أولاً: فرح غامر وتوجيهات نبوية:

بهجة وسعادة وفرح عَميم غمر المدينةَ النبوية بزواج الزهراء، وشارك في فرحة آل البيت الصحابةُ الأخيار رجالاً ونساءً وكباراً وصغاراً.

وأضاءت توجيهاتُ المربي الأعظم ﷺ جوانبَ حياة هذا البيت الجديد منذ أول أيامه، وأخذ الناس ذلك الهدي النبوي بالاقتداء والالتزام، ونُقل إلى الأجيال من بعدهم بأمانة ودقة؛ ليكون نبراساً لهم في حياتهم وعلاقات الزوج بزوجته، ودور الأهل والمجتمع في مثل هذه المناسبات الجليلة الجميلة.

عن أبي يزيد المَدَني، عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: (كنتُ في زِفاف فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ فضربَ الباب، ففَتَحتْ له أم أيمن الباب، فقال: «**يا أَمَّ أيمن، ادْعِي لي أخي**» قالت: هو أخوك وتُنكِحُه؟! قال: «**نعم يا أم أيمن**». وسمعنَ النساءُ صوتَ النبي ﷺ، فتنَحَّيْن. قالت: واختبأتُ أنا في ناحية. قالت: فجاء

علي، فدعا له رســولُ الله ﷺ، ونَضَح عليه من الماء. ثم قال: «**ادْعُوا لي فاطمةَ**» فجاءت خَرِقةً من الحياء، فقــال لها: «**قد أنكحتُكِ أحَبَّ أهل بيتي إليَّ**» ودَعَا لها، ونَضَح عليها من الماء. فخرج رسول الله ﷺ فرأى ســواداً، فقال: «**مَن هذا؟**» قلت: أســماء، قال: «**ابنةُ عُميس؟**» قلت: نعم، قال: «**كنتِ في زِفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ تُكْرِمينَه؟**» قلت: نعم، قالت: «**فدَعَا لي**»)[1]. خَرِقة: أي خَجِلة مدهوشة.

وفي حديث بُريدة المتقدم مطولاً: (قال رســول الله ﷺ ليلة بَنَى علي بفاطمــة: «**لا تُحدِثْ شــيئاً حتى تلقانــي**» فدَعَا بماءٍ فتوضأ فيه ثم أفرغــه عليهما وقال: «**اللَّهمَّ بــارِكْ فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نَسْلهما**»)[2].

وقالت أم أيمن: (وَلِيتُ جهــازَ فاطمة، فكان فيما جهَّزتُها به مِرْفَقَة من أدم حشوها ليف، وبَطْحاء مفروش في بيتها)[3].

---

(١) أخرجه النســائي في «الكبرى» (٨٤٥٥)؛ والحاكــم: ١٥٩/٣؛ وبأطول منه: عبد الرزاق (٩٧٨١)؛ والطبراني فــي «الكبير»: ١٣٧/٢٤ (٣٦٥)؛ وقال الهيثمي فــي (مجمع الزوائد: ٢١٠/٩): رجالــه رجال الصحيح؛ وقال الحافظ في المطالب العالية (١٥٧٤): رجاله ثقات، لكن أســماء بنت عميس كانــت في هذا الوقت بأرض الحبشــة، فلعــل ذلك كان لأختها سلمى امرأة حمزة بن عبد المطلب.

(٢) ذكره الحافظ في الإصابة: ٣٦٦/٤، وقال: سنده جيد.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٤/٨.

هكذا كانت أمور الزواج: من الخِطْبة والمهر ووليمة العرس وليلة الزِّفاف؛ يُسراً وسهولة وبساطة وقناعة وزهادة وعدمَ انشغال بالزخارف والرياش وحطام الدنيا، في بيت هو من أعزِّ بيوتات قريش حَسَباً ونسباً وشرفاً ومنزلة وفضلاً ونُبلاً.

فنبت من ذلك الهَدْي جيلٌ عزيزُ النفس قوي الإرادة عالي الهمة صلب العود، لا ينحني أمام المغريات ولا يَلين عند الملمات، فانقادت له الدنيا وهي راغمة، وانطلق في أصقاع الأرض فاتحاً منتصراً حرّاً كريماً عزيزاً، وقدَّم للبشرية أروع الأمثلة في التضحية والفداء والسمو والسماحة والعدل والإخلاص، فكان أصدقَ ترجمةٍ لمبادئ الإسلام وهَدْي القرآن وثمرات التربية النبوية.

ثانياً: تاريخ الزواج وعمر العروسين ومنزلُهما:

اختُلِف في تاريخ زواج فاطمة، وفي عُمُرِها وعمرِ علي عند زواجهما، كما اختُلف في تاريخ مولدهما:

١ ـ تاريخ الزواج:

والراجح أن بناء عليٍّ بالزهراء كان سنة (٢هـ) بعد وقعة بدر.

•• قال خليفة بن خياط في أحداث سنة (٢هـ): فيها تزوج علي بفاطمة[1]. ولم يحدد شهراً بعينه.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ٦٥.

وعند ابن سعد: تزوَّج علي بن أبي طالب فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ في رجب بعد مقدم النبي ﷺ المدينةَ بخمسة أشهر، وبنَى بها مرجعَه من بدر[١].

وجزم ابن كثير أن عليّاً بنى بفاطمة سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وكانت بدر في رمضان، واحتج بحديث علي في (قصة الشَّارِفين) اللتين جَبَّ أسنمتَهما عمُّه حمزة[٢].

وكذلك جزم به الحافظ في «الفتح»، وقال: لعله في شوّال سنة اثنتين[٣].

ونحن نستبعد ما جاء عند ابن سعد وغيره من أن تكون الخِطْبة وعقدُ الزواج في رجب سنة (١هـ)، والبناء والزِّفاف بُعيد بدر سنة (٢هـ)، فتكون المدة زُهاءَ (١٥ شهراً)، إذ لم يكن من عادتهم تأخيرُ الزواج عن الخطبة كثيراً، إذا علمنا يُسْرَ مستلزمات العرس والزفاف، وأيضاً بالنظر الفاحص للأحاديث ومجريات أحداث الخطبة والزواج التي قدمناها في المبحث السابق؛ مما يَشي بتلاحق أمور الزواج وسرعتها وقِصَر المدة بين الخطبة والزفاف.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨؛ وانظر: سبل الهدى والرشاد: ٤٧٦/١١.

(٢) البداية والنهاية: ٣٤٥/٣.

(٣) الفتح: ٦٦٠/٧ (٣٠٩١)، ٧١٦/٨، أول مناقب فاطمة.

وقال ابن عبدالبرّ وغيره: أَنكح رسـولُ الله ﷺ فاطمةَ علي بن أبي طالب بعد وقعة أُحُد. ونقله عنه النووي والذهبي ولم يتعقّباه[1].

وقد ردَّه الحافظ بما جاء في «الصحيحين» عن علي في قصة الشارفَيْن لمَّا ذبحهما حمزة، وكان علي أراد أن يبني بفاطمة، فهذا يدفع قولَ من زعم أن تزويجه بها كان بعد أُحُد فإن حمزة قُتل بأُحُد[2].

فالصحيح كما تقدم أن بناء علي بفاطمة ﵄ كان بعد وقعة بدر سنة (٢هـ).

٢ ـ عمُرُ الزوجين:

ذكر ابن سعد عن شيخه الواقدي: أن فاطمة كانت يوم بنى بها علي بنت (١٨ سنة)[3].

وقال ابن عبدالبرّ وغيره: كان سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكانت سن علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[4].

---

(١) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ تهذيب الأسماء واللغات: ٣٥٢/٢؛ سير أعلام النبلاء: ١١٩/٢.

(٢) الإصابة: ٣٦٦/٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨.

(٤) الاستيعاب: ٣٦٢/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

قلت: هذا قالوه بناءً على الاختلاف في تاريخ مولد علي وفاطمة، والراجح أن عليّاً وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وفاطمة قبلها بخمس سنين، ومدة الدعوة بمكة (١٣) سنة، والزِّفاف كان سنة (٢هـ)؛ فيكون سِنّ علي (٢٥) سنة، وسنّ السيدة فاطمة (٢٠) سنة، والله تعالى أعلم.

٣ ـ سكن السيدة فاطمة قبل الزواج وبعده:

عندما هاجر رسول الله ﷺ نزل على أبي أيوب الأنصاري في داره، وعندما بنى مسجده الشريف اتخذ لنفسه حُجراتٍ صغيرة لتكون سكناً له ولزوجاته الطاهرات، وقد بنى في بداية الأمر حجرتين حيث كانت عنده زوجتان: الأولى سَوْدة بنت زَمْعَة تزوجها بعد وفاة خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، وعائشة بنت أبي بكر وقد دخل بها بعد الهجرة.

وقد كان ﷺ كلما تزوج بواحدة من أمهات المؤمنين بنَى لها حجرة على غِرار حجرتي سودة وعائشة.

وكان للصحابي الجليل حارثة بن النعمان الأنصاري منازل قرب منزل النبي ﷺ، فكان كلما أَحدثَ رسول الله ﷺ أهلاً تحوَّل له حارثة بن النعمان عن منزل بعد منزل، حتى قال النبي ﷺ: «**لقد استحييتُ من حارثة بن النعمان مما يتحوَّل لنا عن منازله**»(١)!.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٤٨٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢/٣٨٠.

وكان من جملة تلك الحجرات حجرة لابنتَيْ رسول الله ﷺ أم كلثوم وفاطمة، وموقعها الآن في المكان الذي توجد فيه الحواجز الحديدية الأربعة المحيطة بالحجرة النبوية التي تضم القبر الشريف وقبري الشيخين[1].

وكانت الحجرات متوسطةَ المساحة دانيةَ السقف مبنيّة من لَبِن وجَريد النخل ومستورة بِمُسوح الشعر.

قال معاذ بن محمد الأنصاري: (سمعت عطاءً الخُراسانيَّ في مجلس فيه عُمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركتُ حُجَرَ أزواج رسول الله ﷺ من جَريد النخل على أبوابها المُسُوح من شَعَر أسود.

قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه، قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعةُ أبيات بلَبِن، لها حُجَر من جَريد، وكانت خمسةُ أبيات من جريد مطينة لا حُجَر لها، على أبوابها مُسوح الشعر، وذَرَعْتُ السِّتْر ـ أي الباب ـ فوجدته ثلاثَ أذرعٍ في ذراع)[2].

وقال داود بن قيس: (رأيتُ الحُجرات من جَريد النخل،

(١) فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يماني، ص ١٧٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ١/٤٩٩ ـ ٥٠٠؛ سبل الهدى والرشاد: ٣/٥٠٦ ـ ٥٠٨. **المُسُوح**: جمع المِسْح، وهو الكساء من الشعر.

مغشاة من خارج بمسوح الشـعر. وأظن عَرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من سـت أو سبع أذرع. وأحزِرُ البيتَ الداخل عشـر أذرع. وأظن سُـمْكَه بين الثمان والسبع، نحو ذلك. ووقَفتُ عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب)[١].

وقال الحسن البصري: (كنتُ أدخلُ بيتَ أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان، فأتناول سُقُفَها بيدي)[٢].

●● وعندما تزوجت السـيدة فاطمة أصبح لها حجرة هي وزوجهـا، وهي حجـرة صغيرة أيضـاً وفيها مـكان صلاتها ومحرابها... وفيها المكان الذي بَنى فيه عليٌّ بالسيدة فاطمة، وكانت حجرتها خلفَ بيت أم المؤمنين عائشة[٣].

وعن عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين قال: (كان بيت فاطمة في موضع الزَّوْر مَخْرَج النبي ﷺ، وكانت فيه كوَّة إلى بيت عائشة رضي الله عنها، فكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى المَخْرج اطَّلعَ من الكوَّة إلى فاطمة فعلم خبرَهم)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجـه البخاري فـي «الأدب المفرد» (٤٥٠)؛ وابن سـعد: ١/٥٠١، وصححه الألباني.

(٣) فاطمة الزهراء، للدكتور محمد عبده يماني، ص١٨١.

(٤) المرجـع السـابق، ص ١٨٢ ـ ١٨٣. **الزور**: مصـدر زاره، وجمع زائر أيضاً. انظر الرسم في الصفحة ٣٦٢ في هذا الكتاب.

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي: عن أبي جعفر الباقر قال: (لما قدِم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أبي أيوب سنةً أو نحوَها. فلما تزوج عليٌّ فاطمةَ، قال لعليٍّ: **اطلبْ منزلاً**، فطلب عليٌّ منزلاً، فأصابه مستأخراً عن النبي ﷺ قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي ﷺ إليها فقال: **إني أريد أن أحوِّلَكِ إليَّ**، فقالت لرسول الله ﷺ: فكلِّمْ حارثة بن النعمان أن يتحوَّل عنِّي، فقال رسول الله ﷺ: **قد تحوَّل حارثة عنَّا حتى قد استحييت منه**. فبلغ ذلك حارثةَ فتحوَّل، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بَلَغني أنك تحوِّل فاطمةَ إليك، وهذه منازلي وهي أَسْقَبُ بيت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحبُّ إليَّ من الذي تَدَعُ! فقال رسول الله ﷺ: **صدقتَ، بارك الله عليك**. فحوَّلها رسول الله ﷺ إلى بيت حارثة)[1].

فكان بيت فاطمة بعد زواجها قريباً جدّاً من بيت النبي ﷺ ملاصقاً لحجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وفي آخر هذا الكتاب[2] شكلان يوضحان مواضع حجرة فاطمة وحجرات أزواج النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٢/٨ ـ ٢٣؛ المنتظم: ٨٧/٣ ـ ٨٨. أسقب: أقرب.

(٢) انظر: ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

الفصل الثالث

حياةُ زهد وتقشُّف وجِدّ واجتهاد وعبادة

تمهيد:

في بيت مكوَّن من حجرة واحدة تضم جَهازاً بسيطاً وأثاثاً متواضعاً، عاشت السيدة البتول مع زوجها الصحابي الجليل وأولادهما رياحين رسول الله ﷺ وأحبائه وقرَّة عينه من الدنيا.

ولم تكن حياة فاطمة مترفة مرفَّهة ولا ناعمة ليِّنة متبسِّطة، بل كانت أقرب إلى الخشونة والتقشف والتقلل من حطام الدنيا ومتاعها ومباهجها وطعامها وشرابها. وهي في ذلك تختلف عن أخواتها الثلاث اللائي أُتيح لهن في بيت الزوجية حظ وافر من الثراء المادي والتبسط من الدنيا وسعة العيش... فأختها زينب تزوجت من أبي العاص بن الربيع أحدِ أثرياء مكة وتجار قريش، وأختاها رقية وأم كلثوم تزوجت الواحدة بعد الأخرى من عثمان بن عفان وهو من يُضرب المثل بثرائه وكثرة أمواله وعِظم تجارته.

أما علـــيٌّ فكان قليـــلَ ذات اليد، لم ينَلْ حظّـــاً من المال المكتسب أو الموروث، فأبوه أبو طالب على عظيم مكانته في قومه وعلوّ شـــرفه فيهم وســـيادته عليهم كان قليل المال كثير العيـــال، وهذا ما حَـــدَا بســـيدنا رســـول الله ﷺ والعباس بن عبدالمطلب أن يخفِّفا من أعبائـــه فأخذا اثنين من ولده، وكان علي من نصيب رسول الله ﷺ وعاش في حَجْره.

وعندما عزم عليٌّ علـــى خطبة فاطمة لم يجـــد ما يقدِّمه صَداقاً لهـــا، فباع درعـــه وأعانه الصحابة على وليمة عرســـه. وكان ﵁ شهم النفس كريم الشـــمائل، يؤجِّر نفسه عند أهل المدينة ويقوم بنزع الماء وغير ذلك من الأعمال ليكتســـب ما يَعُول به أسرته.

وقد وصف حالَه عند زواجه فقال: (لقـــد تزوَّجتُ فاطمةَ وما لي ولها فراش غير جِلْد كبش، ننـــام عليه بالليل ونَعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها!).

وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر: (أن عليّاً حين دخل بفاطمة كان فراشهما إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما قَلَباه على صوفه، ووسادتهما من أَدَم حشوها ليف)[1].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨/٢٢ ـ ٢٣. الناضح: البعير الذي يُستقى عليه الماء.

وبلغ من شدة الحال وقلة المال أنه لم يستطع أن يشتري لزوجته خادماً تعينها على شـؤون الحيـاة والبيت والأولاد، والسيدة الزهراء راضية صابرة محتسبة متجمِّلة بالقناعة، تقوم بشـؤون البيت وتطحن بالرحى وتربـي الأولاد وترعى أمور الزوج، حتى أضناها التعب! وحزِن علـي لحالها، وآلمه أكثر أنه ربما كان يمرُّ عليهم اليوم واليومان وليس في بيتهم شيء، فيسـعى جاهداً ليوفر للأسـرة ما يسـد الرَّمَق ويحفظ النفس ويقيـم الأَوَد، والأم الـرؤوم ترى ذلك فلا يسـعها إلا الرضا والاقتداء بأبيهـا العظيم ﷺ، وقد عاشـت معه حيـاة الزهد والكفـاف، وكان ﷺ يتعاهدهـم بتربيتـه ورأفتـه ورحمته، ويشاركهم عيشهم الخشـن، ويجود عليهم بين الحين والآخر إذا وجد سعة.

لقد علَّم رسول الله ﷺ أمته دروس الزهد والصبر والقناعة، وكان هو وأزواجُه الطاهرات وآلُ بيته الكرام مضربَ المثل في هذا وفي كل فضل.

أولاً: مواقف ونماذج من خشونة عيش فاطمة وأسرتها:

•• عن ابـن عباس قال: (خـرج أبو بكـر بالهاجِرة إلى المسجد، فسمع بذلك عمرُ، فقال: يا أبا بكر ما أخرجكَ هذه السـاعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجِدُ من حـاقِّ الجوعِ، قال:

وأنا والله ما أخرجني غيرُه. فبينما هما كذلك، إذ خرج عليهما النبـي ﷺ، فقال: «**مـا أخرجَكُما هذه السـاعة؟**» قـالا: والله ما أخرجَنا إلا ما نجدُ في بطوننا مـن حاقِّ الجوعِ، قال: «**وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيرُه، فقوما**».

فانطلقـوا حتـى أتَوْا بـابَ أبي أيـوب الأنصـاري، وكان أبو أيوب يدَّخِر لرسـول الله ﷺ طعاماً أو لبناً، فأبطأ عنه يومئذٍ، فلم يأتِ لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعملُ فيه، فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأتُه، فقالت: مرحباً بنبي الله ﷺ وبمن معه، فقال لها نبي الله ﷺ: «**فأينَ أبو أيوب؟**» فسَمِعَه وهو يعمل في نَخْل له فجاء يَشْـتدُّ، فقال: مرحباً بنبـي الله ﷺ وبمن معه، يا نبيَّ الله ليس بالحين الذي كنتَ تجيء فيه، فقال له النبي ﷺ: «**صدقتَ**». قال: فانطلـق، فقطع عِذْقاً من النخل فيه من كلِّ التمر والرُّطب والبُسْـر، فقال النبي ﷺ: «**ما أردتَ إلى هذا؟ ألا جنيتَ لنا من تمره؟**» فقال: يا نبي الله، أحببتُ أن تأكل من تمره ورُطَبه وبُسْرِه، ولأَذْبَحنَّ لك مع هذا. قال: «**إنْ ذَبحتَ، فلا تذبحنَّ ذاتَ درٍّ**». فأخذ عَنَاقاً أو جَدْيـاً فذَبَحه، وقال لامرأته: اخبِزي واعجِني لنا وأنتِ أعلمُ بالخبز، فأخذ الجَدْيَ فطَبَخَه وشوى نِصْفَه.

فلما أدركَ الطعامُ، وُضِعَ بين يدي النبي ﷺ وأصحابه، فأخذ من الجَدْي فجَعَلَـه في رغيف، فقـال: «**يا أبا أيـوب أَبْلِغْ بهذا**

فاطمةَ، فإنها لم تُصِبْ مثلَ هذا منذ أيام»! فذهب به أبو أيوب إلى فاطمة)[١] الحديث وله تتمة.

وتأمل هـذا الخبـر المُعجِب الـذي يصِفُ حـالَ بنت رسول الله ﷺ وريحانَتَيْه الحسن والحسين:

عن فاطمـة رضي الله عنها: (أن رسـول الله ﷺ أتاها يومـاً، فقال: «**أين ابنايَ؟**» يعني حَسناً وحُسـيناً، قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يَذوقُه ذائقٌ، فقال عليٌّ: أذهبُ بهما، فإنـي أتخوَّف أن يبكيا عليك وليس عندكِ شيء، فذهب إلى فلان اليهودي! فتوجَّه إليه النبي ﷺ، فوجدَهما يلعبـان في شَـرَبَة بين أيديهمـا فَضْلٌ من تمـر، فقال: «**يا عليُّ، ألا تَقلِب ابنَيَّ قبل أن يشـتدَّ الحرُّ؟**» قـال عليٌّ: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلسـتَ يا رسول الله حتى أجمعَ لفاطمة فَضْلَ تمراتٍ. فجلس رسـول الله ﷺ وعليٌّ ينـزع لليهودي كل دلو بتمرة، حتى اجتمع لفاطمـة فضلٌ من تمر، فجعله فـي خِرْقةٍ، ثم أقبل، فحمل النبي ﷺ أحدَهما وعليٌّ الآخرَ حتى أَقْلَبَهما)[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٢١٦)؛ والطبراني فـي «المعجم الصغير» (١٨٥)؛ قال الحافظ في «تخريج الأذكار»: هذا حديث حسن فيه غرابة. **الهاجرة**: اشـتداد الحر نصف النهار. **حاق الجوع**: صادقه وشدته. **العناق**: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم سنة. **أدرك الطعام**: أي نضج.

(٢) أخرجه الدولابـي في الذرية الطاهـرة (١٩٣)؛ والطبرانـي في «المعجم الكبيـر»: ٤٢٢/٢٢ (١٠٤٠)؛ وذكـره المنذري في الترغيـب والترهيب: =

وعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: (أقام رسول الله ﷺ أياماً لم يَطْعَم طعاماً، حتى شَقَّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمةَ فقال: «**يا بُنَيَّة، هل عندك شيء آكلُه فإني جائعٌ؟**» فقالت: لا والله! فلما خرج من عندها رسول الله ﷺ، بَعثتْ إليها جارةٌ لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذَتْه منها فوضَعَتْه في جَفْنَةٍ لها وغَطَّتْ عليها، وقالت: والله لأُوثِرَنَّ بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي! وكانوا جميعاً محتاجين إلى شَبْعَة طعام.

فبَعثَتْ حسناً ـ أو حسيناً ـ إلى رسول الله ﷺ، فرجع إليها، فقالت له: قد أتى الله بشيء فخَبَأْتُه لك، قال: «**هَلُمِّي يا بُنَيَّة**».

فكشفتُ عن الجَفْنَة، فإذا هي مملوءةٌ خبزاً ولحماً، فلما نظرتُ إليها بُهِتُّ وعرفتُ أنها بركةٌ من الله ﷻ، فحمدتُ الله ﷻ وصلَّيتُ على نبيه ﷺ، وقدَّمْتُه إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه حَمِد اللهَ ﷻ وقال: «**من أين لك هذا يا بُنَيَّة؟**» قالت: يا أبتِ هو من عند الله؛ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب! فقال:

= ٤/٢١٠ ـ ٢١١ وقال: إسناده حسن؛ وكذا حسنه الهيثمي في المجمع: ١٠/٣١٦؛ والصالحي في سبل الهدى والرشاد: ١١/٤٩٢. **شربة**: حوض يكون في أصل النخلة وحولها، يملأ ماء لتشرب.

«**الحمدُ لله الذي جعلكِ شبيهةً بسيدة بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله ﷻ شيئاً فَسُئِلتْ عنه، قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [آل عمران: ٣٧]».

فبعث رسولُ الله ﷺ إلى عليٍّ، ثم أَكل رسول الله ﷺ وعليٌّ وفاطمة وحسن وحسين وجميعُ أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، حتى شَبِعوا. قالت: وبقيت الجَفْنَة كما هي، فأوسعتُ ببقيَّتِها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً)[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: (مكَثْنا أياماً ليس عندنا شيء، ولا عند النبي ﷺ، فخرجتُ فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هُنيهة أُوامِرُ نفسي في أخذِه أو تَرْكِه، ثم أخذتُه لما بنا من الجَهْد! فأتيت به الضَّفَّاطين فاشتريتُ به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمةَ فقلت: اعجني واخبزي. فجعلَتْ تعجِنْ، وإن قُصَّتَها لتضربُ حرفَ الجَفْنة من الجَهْد الذي بها، ثم خَبزت. فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فقال: «**كُلوه، فإنه رزقٌ رزقكموه الله ﷻ**»).

وفي رواية: (فأكلَ منه رسولُ الله ﷺ وأكلَ عليٌّ وفاطمةُ،

---

(١) أخرجه أبو يعلى؛ وذكره ابن كثير في «تفسيره»: ١/٤٤٣؛ وفي البداية والنهاية: ٦/١١١، وقال: حديث غريب إسناداً ومتناً؛ وهو في سبل الهدى والرشاد: ١٠/٨٧ ـ ٨٨.

فلما كان بعد ذلك أَتَتْهُ امرأةٌ تَنْشُد الدينار، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عليُّ، أدِّ الدينار»**(١).

•• وقد كانت فاطمة وكذلك زوجُها علـيٌّ ﵄ راضيَيْن بهذه الحياة زاهدَيْن بزخارفها، لم يتبرَّما من ذلك ولم يَسخطا تلك الخشونة من العيش، فقد أَلِفَاها واعتادا عليها، ففاطمة بنت رسول الله ﷺ قد عاشت في كَنَف أبيها دهراً لم تره يتبسَّط من الدنيا وأموالُ خديجة بين يديه، وكذلك زَهِد بمتاعها عندما أتاه الفيء وجاءه السَّبْي؛ فكان يُنفق الصفراء والبيضاء ويبقى على عيشه الخشن! وكذلك عاش علي معه حياته **تلك** منذ كان طفلاً وإلى أن أَصهر إليه ـ فرأيا النبيَّ ﷺ في أبياته مثال الزهد النبيل والتقلل من الدنيا، ولو أراد لنفسه وآل بيته أن تسيلَ الجبال معه ذهباً لكان له ذلك، لكنه آثَرَ الآخرة وما عند الله تعالى.

كان ﷺ يقول: **«ما لي وللدُّنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظَلَّ تحت شجرة، ثم راحَ وتركَها»**(٢).

---

(١) جاء هذا الحديث من طرق بألفاظ متقاربة عند أبي داود (١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦)؛ وعبدالرزاق (١٨٦٣٦، ١٨٦٣٧)؛ وأبي يعلى (١٠٧٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٥٧٥٩)؛ والبيهقي: ١٩٤/٦، وحسنه بطرقه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **الضفاطين:** الذين يجلبون المِيرة والمتاع إلى المدن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٤)؛ وابن ماجه (٤١٠٩)، وغيرهما، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

ودخل عليه الفاروق عمر فرآه مضطجعاً على حصير قد أثَّر في جَنْبِـه، فَهَمَلتْ عينا عمـر، فقال له النبـي ﷺ: «**ما يُبكيكَ يا ابنَ الخطاب؟**» فقـال: يا نبيَّ الله، وما لـي لا أبكي؟! وهذا الحصيـرُ قد أثَّر فـي جَنْبك، وهـذه خِزانتُـك لا أرى فيها إلا مـا أرى، وذاكَ قيصـرُ وكِسـرى في الثمـار والأنهـار، وأنت رسـول الله ﷺ وصَفْوتُـه، وهذه خزانتُـكَ! فقـال ﷺ: «**يا ابنَ الخطاب، أَلَا ترضـى أن تكون لنا الآخرةُ ولهـم الدنيا؟**» فقال: بلى[1].

وكان لا يحب هذا الطِّراز من المعيشة لنفسه فحسب، بل كان يحبُّه لأهله وعياله، ويُؤْثِره لهم، فقد ثبت عنه ﷺ: أنه كان يدعو فيقول: «**اللَّهمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ قُوتاً**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (والذي نفسُ أبي هريرة بيده ما أَشْبَعَ رسـولُ الله ﷺ أهلَه ثلاثةَ أيامٍ تباعاً من خبزِ حِنْطةٍ حتى فارقَ الدنيا)[3].

وتروي الصِّدِّيقة عائشـةُ رضي الله عنها فتقول لابن أُختها عروة بن

---

(١) أخرجـه مطـولاً: البخـاري (٢٤٦٨)؛ ومسـلم (١٤٧٩)؛ والترمذي (٣٦٠٦)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)؛ ومسلم (١٠٥٥)؛ والترمذي (٢٥١٨)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤)؛ ومسلم (٢٩٧٦)؛ والترمذي (٢٥١٥)، وغيرهم.

الزبير: (والله يا ابنَ أُختي! إنْ كنَّا لَننظُرُ إلى الهلالِ ثم الهلالِ ثم الهلال، ثلاثــةَ أَهلَّةٍ في شــهرين، ومــا أُوقِدَ فــي أبياتِ رســول الله ﷺ نارٌ! قال عروة: يــا خالةُ، فما كان يُعيِّشُــكم؟ قالت: الأَسْوَدانِ التمرُ والماءُ!)(١).

وروى أنسُ بــن مالك خادمُ رســول الله ﷺ قــال: (حَجَّ النبي ﷺ على رَحْل رَثٍّ، عليه قَطِيفةٌ لا تساوي أربعةَ دراهم، ثم قال: «**اللهمَّ حَجَّة لا رياءَ فيها ولا سُمعة**»)(٢).

ثانياً: السيدة البتول وواجباتها الكثيرة وأعمالها الشاقة:

مع خشــونة العيش وقلَّة ذات اليــد، كان الزوجان الكريمان يعملان ويَجدّان ويجتهدان ويكدحان داخل البيت وخارجه؛ فعليٌّ يسعى للرزق وتوفير أدنى متطلبات الحياة لزوجه وأولاده، فيؤجر نفسَه وينزح الماء من الآبار ليكســب دراهم معدودة ينفقها على أهله. وزوجتُه الزهراء يتوجب عليها توفيــر الخُبز بما يتطلبه من الطحن والعجن والخَبْز في ظروف قاســية، كمــا أنها ترعى حق الزوج وتقوم بشــؤونه، وعندها رياحينُها الصغــار ولهم عالَمهم الخاص من العطف والحنــان والملاعبة والمتابعــة حفاظاً على

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧)؛ ومسلم (٢٩٧٢)، وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠)؛ والترمذي في «الشمائل» (٣٢٨)؛ وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة» (٢٦١٧).

صحتهم وحياتهم، زِدْ على هذا مقاساةَ الحمل والولادة وما يتبعها من واجبات كبار... هذا وزوجها ينشغل في كثير من الأحيان بواجبات الدعوة والجهاد وشهود الغزوات مع رسول الله ﷺ.

كل هذا وفاطمة في أوائل العشرين من عمرها المبارك! أعمالٌ وواجبات ومتطلبات ومستحقات، وهي وحدها في البيت لا بُنَيّة تساعدها ولا خادم تكفيها بعض أعبائها، وأنّى لهم بخادم وزوجُها لا يمكنه سوى توفير ما يكفي من ضروريات العيش واستمرار الحياة؟!.

أَشفَق عليٌّ من هذه الظروف القاسية على زوجته البتول، فحضَّها على أن تطلب من أبيها ﷺ أن يُرفِقها بخادمٍ وقد جاءه السَّبْي، فذهبتْ إليه على استحياء، فتلقت منه الردَّ اللطيف الليِّن، لكنها لم تظفر بما تريد؛ إذ في المسلمين من هو أشدّ منهم حاجة وأكثر فقراً، وفيهم من تَطْوى بطونهم من الجوع! فصبرت راضية محتسبة حتى يأذن الله بالفرج!.

لنُصغِ إلى هذا الموقف النبوي (الأبوي) الجليل مع أحبِّ بناته إليه وآثَرِ أسباطه عنده الحسن والحسين، وهو يراهم في ظَلَافَة الحياة ومتاعبها ومشقاتها... فلا يملك لهم إلا الكلامَ الآسي واليَد الحانية التي تمسح عن كاهل الزهراء وبَنيها مشقاتِ العيش ولأواء الحياة.

عن علي ﵁: (أن رسول الله ﷺ لمَّا زوَّجه فاطمةَ بَعث معه بخَمِيلة ووسادة من أَدَم حشـوُها ليفٌ، ورَحْيَيْنِ وسِقاءٍ وجرَّتين، فقال علي لفاطمةَ ذات يوم: والله لقد سَنَوْتُ حتى لقد اشتكيتُ صدري، قال: وقد جاءَ الله أباكِ بسَبْيٍ، فاذهبي فاستخدِميه، فقالت: وأنا والله قد طَحنتُ حتى مَجَلَتْ يداي! فأتتِ النبيَّ ﷺ، فقال: «**ما جاءَ بك أي بُنَيَّةُ؟**» قالت: جئتُ لأسـلِّمَ عليك. واسـتحيَتْ أن تسـأَلَه، ورجعتْ. فقال: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أن أسأله.

فأتيناه جميعاً، فقال عليٌّ: يا رسول الله، والله لقد سَنَوتُ حتى اشـتكيتُ صـدري، وقالت فاطمة: قـد طَحنتُ حتى مَجَلتْ يدايَ، وقد جاءكَ الله بسـبي وسَـعَةٍ، فأَخْدِمْنا، فقال رسـول الله ﷺ: «**والله لا أُعطيكما وأَدَعُ أهـلَ الصُّفَّة تَطوى بُطونُهم، لا أجدُ ما أُنفِق عليهم، ولكن أَبيعُهم وأُنفق عليهم أثمانَهم**»، فرجعا.

فأتاهما النبي ﷺ وقـد دخلا في قَطِيفتهمـا، إذا غَطَّتْ رؤوسَـهما تكشَّـفَتْ أقدامُهما، وإذا غطَّيَا أقدامَها تكشفتْ رؤوسُـهما، فثَارَا، فقال: «**مَكانَكُما**» ثم قـال: «**أَلَا أُخبِرُكما بخيرٍ مما سـألتُماني؟**» قالا: بلى، فقال: «**كلماتٌ علَّمنيهنَّ جبريلُ، فقال: تسـبِّحانِ في دُبُر كل صلاة عشراً، وتَحْمَدان**

عشراً، وتكبِّران عشراً، وإذا أويتُما إلى فراشكما فَسَبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحْمَدَا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين».

قال: فوالله ما تركتُهنَّ منذ علَّمنيهنَّ رسول الله ﷺ. قال: فقال لـه ابن الكَوَّاء: ولا ليلةَ صِفِّين؟! فقال: قاتلكم الله يا أهلَ العراق، نعم، ولا ليلةَ صِفِّين!)[١].

وفي رواية: قال عليٌّ لابنِ أَعْبُد: (أَلَا أُحَدِّثُكَ عنّي وعن فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ؟ وكانت أحبَّ أهله إليه، وكانت عندي، فَجَرَّتْ بالرَّحى حتى أَثَّرتْ بيدِها، واستقَتْ بالقِربة حتى أَثَّرتْ في نحرها، وقمَّتِ البيتَ حتى اغبرَّت ثيابُها، وأوقدتِ القِدرَ حتى دَكِنَتْ ثيابُها، وأصابها من ذلك ضُرٌّ! فسمعنا أن رقيقاً أُتي بهم النبيُّ ﷺ، فقلت: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك، فأتته، فوجدتْ عنده حُدَّاثاً، فاستحيَتْ فرجعَتْ...) الحديث[٢].

وقد سلك عليٌّ شتى السُّبل ليخفِّف عن زوجته الجليلة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٣)؛ ومسلم (٢٧٢٧)؛ والنسائي في «الكبرى» (٩١٢٧)؛ وأبو داود (٥٠٦٢)؛ والترمذي (٣٧٠٧)؛ وأحمد (٨٣٨) واللفظ له. **سَنَوت**: استقيت. **مَجَلت اليد**: ثَخُن جلدُها وتعجَّر وظهر فيها ما يشبه البَثْر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٨٨) و(٥٠٦٣)؛ وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٣١٢)؛ وحسنه أحمد شاكر، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **قلت**: يشهد له الحديث السابق وأحاديث أخرى.

أعباء أعمالها، ومن ذلك أنه لجأ إلى أمِّه لتحملَ عن زوجته بعض أعبائها، وكذلك كان بعض الصحابة يقدمون معونتهم في مواقف جليلة تعبِّر عن إعظامهم آلَ النبي ﷺ، والرغبة الصادقة في راحتهم وتيسير شؤون حياتهم.

عن أبي البَخْتَري قال: قال عليٌّ لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم: اكفِي بنتَ رسول الله ﷺ الخدمةَ خارجاً: سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيكِ العملَ في البيت: العجن والخبز والطحن[١].

وروى عمّار بن عُمارة: عن أنس بن مالك: (أن بلالاً بطَّأ عن صلاة الصبح، فقال له النبي ﷺ: «**ما حَبَسكَ؟**» فقال: مررتُ بفاطمة وهي تطحن والصبيُّ يبكي، فقلت لها: إنْ شئتِ كَفيتُكِ الرَّحا وكفيتِني الصبيَّ، وإنْ شئتِ كفيتُك الصبيَّ وكفيتني الرَّحا، فقالت: أنا أرفَقُ بابني منكَ. فذاك حَبَسني. قال: «**فرحمتَها رحمكَ الله**»)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الاستيعاب: ٣٦٣/٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٥/٢؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٩١/١١، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد: ١٥٠/٣ ـ ١٥١ (١٢٥٠٨)، وقال الهيثمي في (المجمع: ٣١٦/١٠): رجاله ثقات، إلا أن أبا هاشم عماراً لم يسمع من أنس.

الفصل الرابع

تربية نبوية حانية جليلة ورعاية دائمة

أولاً: النبي ﷺ يربي آل بيته على الصبر والزهد والعبادة والذِّكْر:

والــذي حمل رســولَ الله ﷺ ـ وهو الذي مُلــئ قلبُه رقةً ورحمة ورأفة ـ على ذاك الموقــف الصعب مع ابنته وصهره؛ أنه ﷺ كان يرى حال فقراء المســلمين وينظر في واقع معاشه مع أزواجــه وآل بيته وأحفــاده ـ فيضرب المثــل الأعلى في الأسوة الحسنة والرحمة الغامرة والقيام بالمسؤولية على أرفع وجوهها تجاه الأمة كلها...

ففي الوقت الذي أتَتْه الغنائم ومــلأ يديه من الفيء وقدِمَ عليــه السَّــبْيُ؛ تجده فــي أبيات أزواجــه أمهــات المؤمنين الطاهرات لا توقد عندهن نار لإنضاج اللحم، ولا يشبع معهن من خبز البُرّ! وتأتيه الزهراء ـ وقد أضناها التعب وبرَّحَتْ بها واجباتُ البيت والزوج والأولاد ـ تســأله خادماً، فيعتذر إليها بليِّنٍ من القول، ويُعطي فقــراء المهاجرين ويتامى بدر، ويَقدم

إلى بيتها مواسياً ومسلِّياً لها ولصهره الكريم، ويُدخل نفسَه الشريفة بينهما في غطاء واحد ليصبَّ في فؤادَيْهما السكينة والطمأنينة، ثم يوجههما إلى المرتبة السامقة، ويعلِّمهما الأذكار والدعوات، ويَطرق عليهما الباب ليلاً ليوقظهما فيأخذا بحظِّهما من التهجد والقيام، فيكون هو ﷺ القدوة العظمى لأي مسؤول يلي من أمر الأمة شيئاً، ولتكون فاطمة وعليٌّ مضربَ المثل في نزاهة النفس ونظافة اليد وطهارة السيرة لأبناء المسؤولين الذين سيَقِفُهم الحق سبحانه بين يديه ليحاسبَهم على النَّقير والقِطْمير وما فعلوه في أموال الأمة، ولن يُفلِتهم من ذلك الموقف الرعيب إلا أمانتهم وصِدقُ مسعاهم!.

قال ﷺ لفاطمة وعلي: «**والله لا أُعطيكما وأَدَع أهلَ الصُّفَّة تَطْوى بطونهم، ولكن أبيعُهم وأُنفِق عليهم أثمانَهم**»، ثم نَفَحهم بما هو خير لهم في آخرتهم، فعلَّمهم الأذكار أدبار الصلوات وعند الإيواء إلى الفراش والنوم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتتْ فاطمةُ النبيَّ ﷺ تسألُه خادماً، فقال لها: «**ما عندي ما أُعطيكِ**» فرجعتْ، فأتاها بعد ذلك فقال: «**الذي سألتِ أحبُّ إليكِ أو ما هو خيرٌ منه؟**» فقال

(١) تقدم الحديث بتمامه: ص ١٢٤ ـ ١٢٥ من هذا الكتاب.

لها عليٌّ: قولي: لا، بل ما هو خير منه، فقالت. فقال: «**قولي: اللّهمَّ ربَّ السماوات السبعِ وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كل شيء، مُنزِلَ التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، أنت الأولُ فليس قبلكَ شيء، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهرُ فليس فوقكَ شيء، وأنت الباطن فليس دونكَ شيء، اقضِ عنَّا الدَّيْن وأَغْنِنا من الفقر**»[1].

وزيادةً منه ﷺ في المواساة والتأنيس والملاطفة أتى عليّاً وفاطمة في بيتهما، فلما دخل عليهما أرادا أن يقوما إجلالاً له ﷺ، فمنعهما من ذلك فبَقِيا على حالهما امتثالاً لأمره ﷺ، حتى جلس بينهما وعلَّمهما ذاكَ الذِّكْر الجليل؛ يقول علي:

(فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أَخَذْنا مضاجعَنا، فذهَبْنا نقومُ، فقال النبي ﷺ: «**على مكانِكما**»، فقعد بيننا حتى وجدتُ بَرْدَ قدمِهِ على صدري! ثم قال: «**أَلَا أعلِّمُكما خيراً مما سألتُما؟**»...) الحديث[2].

ويلحظ المرء من هذا أن المربي الأعظمَ ﷺ على كثرة أعماله وواجباته تجاه الدعوة والأمة وأمور الناس، فإنه قد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) (٦٣)؛ والنسائي في «الكبرى» (٧٦٢٢)؛ والترمذي (٣٧٨٧)؛ وابن ماجه (٣٨٣١) واللفظ له، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٨)؛ ومسلم (٢٧٢٧) واللفظ له.

أفرغ في أفئدتهما أنه مشغولٌ بشأنهما مهتمٌّ لحالهما؛ فهَبَّ إليهما في مَخدعهما وأعطاهما ذاك المدد الإلٰهي والزاد النبوي، وعلَّمهما تلك الرياضة الروحية التي تذلِّل الصعاب وتخفِّف المتاعب وتهوِّن المشقات، وتعلق الروح والقلب والنفس بالخالق البارئ الغني اللطيف الخبير الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، والذي يبتلي عباده المؤمنين بما يُعلي مناقبهم ويرفع منزلتهم.

قال الحافظ: (في الحديث مَنْقَبة ظاهرة لعليٍّ وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحِشْمة والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما، وبالَغَ حتى أدخل رجلَه بينهما ومكث بينهما حتى علَّمهما ما هو الأولى بحالهما من الذِّكْر عوضاً عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطَب بغير ما يطلب إيذاناً بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور)(١).

ثم ترقَّى النبي ﷺ بابنته وزوجها إلى مدارج الكمال الإنساني والعبودية الأوَّاهة الخالصة، فكان يتعاهَدُهما بالليل

(١) الفتح: ١٩٣/١٤، شرح الحديث (٦٣١٨).

ويَطرق عليهما بابهما ليشهدا نفحات الأسحار ويكونا ممن قال الله تعالى فيهم:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨].

عن علي بن أبي طالب قال: (دخل علَيَّ رسولُ الله ﷺ وعلى فاطمةَ من الليل، فأَيْقَظَنا للصلاة، ثم رجَع إلى بيته، فصلَّى هَوِيّاً من الليل، فلم يسمع لنا حِسّاً، فرجع إلينا فأيقَظَنا، فقال: «قُوما فَصَلِّيا»، قال: فجلستُ وأنا أعرُك عَيْنِي، وأقول: إنّا واللهِ ما نصلِّي إلا ما كَتب اللهُ لنا، إنما أنفسُنا بيدِ الله، فإنْ شاء أن يَبْعَثَنا بَعثنا، قال: فولَّى رسول الله ﷺ وهو يقولُ ـ ويَضْرِب بيده على فخِذِه ـ: «**ما نصلِّي إلا ما كَتَب الله لنا!** ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»)[1].

قال الطبري: (لولا ما عَلِمَ النبي ﷺ من عِظَم فضل الصلاة في الليل ما كان يُزعج ابنتَه وابنَ عمه في وقت جعله الله

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٧)؛ ومسلم (٧٧٥)؛ والنسائي في «الكبرى» (١٣١٣)، والصغرى: ٢٠٦/٣ واللفظ له، وغيرهم.

لخَلْقه سَكَناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعَة والسكون؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [طه: ١٣٢])(١).

ثانياً: النبي ﷺ يشاركهم عيشهم الخشن، ويعطيهم إذا وجد سعة:

ومع أن رسول الله ﷺ كان يعيش حياة الزهد والكفاف وكذلك أهل بيته، فإنه بعد أن يعطي فقراء المسلمين ومحاويجهم؛ كان يجود على ذويه بما يَفْضُل عنده، مساوياً لهم مع عامة الأمة.

عن أنس بن مالك ﵁: (أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كسْرةً من خبزِ شعيرٍ، فقال: «**هذا أولُ طعام أكلَه أبوكِ من ثلاثة أيام**»)(٢).

وعن أنس أيضاً: (أن النبيَّ ﷺ أتى فاطمةَ بعبدٍ قد وَهَبَه لها، قال: وعلى فاطمةَ ثوبٌ إذا قنَّعَتْ به رأسَها لم يَبْلُغ رجلَيْها، وإذا غَطَّتْ به رجْلَيْها لم يَبْلغ رأسَها، فلما رأى

(١) الفتح: ١٨/٤ (١١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٢٣)، وقال الشيخ شعيب: حديث حسن، وإسناده منقطع.

النبي ﷺ ما تلقى، قال: «**إنه ليس عليكِ بأسٌ، إنما هو أبوكِ وغُلامكِ**»(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: (أُهْدِيَتْ إلى رسول الله ﷺ حُلَّةٌ سِيَراءُ، فأَرسل بها إليَّ، فلبستُها فأتيتُه، فرأيتُ الغضبَ في وجهه وقال: «**إنِّي لم أُرسِل بها إليك لِتلبَسَها**»! وأَمرني فأَطَرْتُها بين نسائي).

وفي رواية: (فقلتُ: يا رسول الله، ما أصنَعُ بها؟ ألبَسُها؟ قال: «**لا، ولكن اجعَلْها خُمُراً بين الفَوَاطم**»)(٢).

والفواطم أربع؛ هن: فاطمة بنت النبي ﷺ، وفاطمة بنت أَسَد أم علي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت شيبة بن ربيعة امرأة عَقيل.

ثالثاً: رسول الله ﷺ يترفع بآل بيته عن التبسط من الدنيا:

وكان دَأْب النبي ﷺ أن يعيش هو وأزواجه وأهل بيته على هَدْي واحد من الزهد والقناعة وعدم التبسُّط من الدنيا، والنظر

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦)؛ والبيهقي: ٩٥/٧؛ والضياء في «المختارة» (١٧١٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٤)؛ ومسلم (٢٠٧١)؛ وأبو داود (٤٠٤٣)، وغيرهم. سيراء: فيها خطوط من حرير. **بين نسائي**: المراد زوجته مع أقاربه.

إلى ما عند الله تعالى في الآخرة لأنها خير وأبقى؛ لذا تراه يترفَّع بأهل بيته عن بعض المباحات من زينة ورياش، ويكره لهم التجمُّلَ بها، لأنه يرى في المسلمين مَن لا يجد ضروريات المعاش! وهادي الأمة وأهلُه والخليفةُ وذووه والمسؤولُ وعشيرتُه؛ هؤلاء جميعاً مُلْزَمون بأن يكونوا قدوة للفقير والمسكين والمحتاج ومن في معناهم...

في ضوء هذا المنهج الرفيع النبيل نفهمُ النصوصَ والمواقف التي صدرت من سيدنا رسول الله ﷺ تجاه ابنته وغيرها من أهل بيته ﷺ.

ولا عجبَ إذا رأيتَ السيدة فاطمة لمَّاحة الملاحظة شديدةَ الحساسية عبقريةَ الفهم والإدراكِ لأي موقف أو كلمة أو توجيه من أبيها ﷺ؛ لأنها بنت النبوة قد نِيطَ عقلُها وفؤادُها بنبضات قلب رسول الله ﷺ وحركاتِ شفتيه وقَسَمات وجهه الأنور وتصرفاته الحكيمة النبيلة.

•• روى نافع، عن عبدالله بن عُمر: (أن رسول الله ﷺ أتى فاطمةَ فوجدَ على بابها سِتْراً، فلم يَدخلْ عليها، وقلَّما كان يدخل إلا بدأَ بها، قال: فجاء عليٌّ فرآها مُهتمَّة، فقال: ما لكِ؟ فقالت: جاء إليَّ رسول الله ﷺ فلم يَدخل علَيَّ! فأتاه عليٌّ فقال: يا رسول الله، إن فاطمة اشتدَّ عليها أنك جئتَها فلم تدخل

عليها، فقال: «**وما أنا والدنيــا؟! وما أنا والرَّقْم؟!**» قال: فذهب إلـــى فاطمــة فأخبرها بقــول رســول الله ﷺ، فقالـــت: فقُلْ لرســـول الله ﷺ: فما تأمُرني به؟ فقال: «**قل لها: تُرسِل به إلى بني فلان**»).

وفي رواية: قال ﷺ: «**إني رأيتُ على بابها سِتْراً مَوْشِيّاً**»، وفي آخرها: «**تُرسِلي به إلى فلان، أهل بيت بهم حاجة**»[١].

قال الحافظ: (قال المُهلَّب وغيره: كَرِه النبي ﷺ لابنتِه ما كَرِه لنَفْســه من تعجيل الطيبات في الدنيا، لا أَنَّ ســتر الباب حرام. وهو نظيرُ قوله لها لما سألَتْه خادماً: «**أَلَا أَدلُّكِ على خيرٍ من ذلك؟**»، فعلَّمها الذِّكْر عند النوم)[٢].

وبيَّن حديثٌ آخر ســببَ مجيء رســول الله ﷺ إلى بيت فاطمة رضي الله عنها؛ فقد روى سَــفينةُ مولى رسول الله ﷺ: (أن رجلاً أضاف عليَّ بن أبي طالب، فصَنَع له طعاماً، فقالت فاطمة: لو دَعَونا رسول الله ﷺ فأكل معنا. فدَعَوْه، فجاء، فوضع يدَهُ على عِضَادتَي البــاب، فرأى القِرام قد ضُرِبَ بــه في ناحية البيت، فرجــع. فقالت فاطمة لعلــيٍّ: الحَقْهُ فانظر مــا رَجَعَه، فتبعتُه،

---

(١) أخرجــه البخــاري (٢٦١٣)؛ وأبــو داود (٤١٤٩)؛ وأحمــد (٤٧٢٧) وغيرهم. موشياً: مزخرفاً. الرقم: أي عليه النقش والوشي.

(٢) الفتح: ٥٧/٧ (٢٦١٣).

فقلت: يا رســول الله، ما رَدَّك؟ قال: «**إنه ليس لي ـ أو: لنبيٍّ ـ أن يَدخل بيتاً مُزَوَّقاً**»)[1].

فنرى ـ والله أعلم ـ أن الحديثين وقعا لقصة واحدة، وذلك أن فاطمة ﵂ تلتزم بأمر النبي ﷺ ولا تتهاون في ذلك، ومن المستبعد جــدّاً أن يقــع ذلك مرتين ولــو في زمنيــن متباعدَيْــن، فصحابة رسول الله ﷺ وخاصة أهل بيته أطوعُ الخلق لأوامره وتوجيهاته.

•• وارتقى المربِّي الأعظم والقدوة العليا بابنتِه إلى أرفع منازل الزهــد بزخرف الدنيــا، وإيثار الآخرة، حتــى كَره لها ولِبَنيها ما يُباح لنساء المسلمين وأولادهم!.

نعم (كانت فاطمة والحســن والحسين ﵃ من أحبِّ الناس إلى رسول الله ﷺ، ولكنَّ هذا الحبَّ العظيم لم نلمَسْه في صورة الثياب الراقية وأدوات الزينة والمجوهرات الثمينة الغالية)[2].

لقد كانــت الزهراء تتحلَّــى بقِلادة من ذهــب كما تفعل مثيلاتها من عامة نســاء المســلمين وبناتهم، وهو شيء أباحه الإســلام للمرأة، ولم يكن يَخطر ببال فاطمة أن ذلك يُغضِب أباها، فيلقاها ﷺ ويَهشُّ لهــا وتهش له على عادتهما، لكنْ ما

---

(١) أخرجه أبــو داود (٣٧٥٥)؛ وابن ماجــه (٣٣٦٠)؛ وأحمد (٢١٩٢٢) وغيرهم، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط. القرام: الستر الرقيق.

(٢) الرسالة المحمدية، ص ١٨٤.

إنْ تقع عينُه على سلسلة الذهب حتى ترى الغضب في وجهه، وخَيَّم السكون والوجومُ على الموقف! وسرعان ما عرفتْ فاطمة السببَ وسمعت التوجيه النبوي، فكانت استجابتها أسرعَ من سماعها، ولَبَّت رغبةَ أبيها ﷺ راضية محبورة، وزاد من سرورها ما رأته على وجهه ﷺ وما سمعَتْه من كلام جميل.

عن ثَوْبانَ مولى رسول الله ﷺ: (أنَّ ابنة هُبيرة دخلَتْ على رسول الله ﷺ وفي يدِها خواتيمُ من ذهب يُقال لها: الفَتَخُ، فجعلَ رسول الله ﷺ يَقرعُ يدَه بعُصَيَّة معه يقول لها: «**أَيَسُرُّكِ أن يجعلَ الله في يدِك خواتيمَ من نارٍ؟!**» فأتت فاطمةَ فشكَتْ إليها ما صَنَع بها رسول الله ﷺ. قال: وانطلقتُ أنا مع رسول الله ﷺ، فقام خَلْفَ الباب، وكان إذا استأذَنَ قام خَلْفَ الباب. قال: فقالت لها فاطمة: انظُري إلى هذه السلسلة التي أهداها إليّ أبو حَسن. قال: وفي يدها سلسلةٌ من ذهب. فدخل النبي ﷺ فقال: «**يا فاطمةُ، بالعَدْل أن يقول الناس: فاطمة بنت محمد، وفي يدكِ سلسلة من نار؟!**» ثم عَذَمَها عَذْماً شديداً، ثم خرج ولم يقعد. فأَمرَتْ بالسِّلْسلة فبِيعَتْ، فاشترت بثَمنِها عبداً فأَعتقَتْه. فلما سمع بذلك رسول الله ﷺ كَبَّر وقال: «**الحمدُ لله الذي نَجَّى فاطمةَ من النار**»)[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٨) واللفظ له؛ والنسائي في «الكبرى» (٩٣٧٨)، وفي «الصغرى»: ١٥٨/٨؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٨١٢) وغيرهم، وصححه الألباني.

قال العلّامة شعيب الأرنؤوط: (ويُحمل النهيُ في هذا الحديث على أن ذلك كان قبل نزول فرائض الزكاة، أو على أن المنع من لبسه للتباهي والتفاخر، أو على أنه فيما لم تُؤدَّ زكاتُه، أو على خوف الافتتان به والانشغال عن أمور الدين. وما يخص فاطمة ﵂ فلأنه ﷺ كان يأخذ أهل بيته بالعزيمة وبما هو خير وأفضل)[1].

نقول: ودليلُ جوازِ لبسِ النساء للذهب وأنه ﷺ كان يأخذ أهل بيته بالعزيمة؛ ما رواه عُقبة بن عامر: (أن رسول الله ﷺ كان يمنعُ أهلَه الحليةَ والحريرَ، ويقول: «**إنْ كنتم تحبُّون حِلْيَةَ الجنة وحريرَها، فلا تَلْبَسُوها في الدنيا**»)[2].

ويؤكد رسول الله ﷺ ذلك في موقف آخر، حيث يرى على ريحانتَيْه الحسن والحسين حِليةً من فضة، فيتمعَّر وجهُه من ذلك وينزعها عنهما ويُرسل بها إلى أهل بيت من فقراء المدينة، ويدَّخر لأهل بيته ما عند الله في الآخرة فهو خير وأبقى.

---

(١) شرح مشكل الآثار: ٣٠٢/١٢، هامش.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٣٧٤)، وفي «الصغرى»: ١٥٦/٨؛ وأحمد (١٧٣١٠)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٨٣٧)؛ وابن حبان (٥٤٨٦) وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

روى ثوبان مولى النبي ﷺ قال: (كان رسـول الله ﷺ إذا سافر كان آخرَ عهده بإنسان من أهله فاطمةُ، وأولَ ما ـ أو: من ـ يَدخـل عليها إذا قدِم فاطمةُ، فقَدِمَ من غـزاةٍ له، وقد علَّقَتْ مِسْحاً ـ أو: سِتْراً ـ على بابها، وحلَّتِ الحسنَ والحسينَ قُلْبَيْن من فضَّة، فقدم فلم يَدخل! فظنَّتْ أنه إنما مَنَعَه أن يدخل ما رأى، فهتكتِ السِّـترَ، وفَكَّكتِ القُلْبين عـن الصَّبِيين وقطَعَتْه منهما، فانطلقا إلى رسـول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه منهما، وقال: «**يا ثوبان، اذهـب بهذا إلى آل فلان** ـ قـال: أهلِ بيت بالمدينة ـ **إنَّ هؤلاء أهـلُ بيتي أكرَهُ أن يأكلـوا طيِّباتِهم في حياتهم الدنيـا. يا ثوبـانُ، اشـترِ لفاطمة قِلادة مـن عَصَبٍ وسِوارين من عاج**»)(١).

رابعاً: رعاية دائمة وحب غامر موصول من النبيِّ ﷺ لابنته وأولادها:

•• ورسـول الله ﷺ مع أعماله العظيمة وواجباته الكثيرة ومشـاغله بأمور الدولة والدعوة والأمة، فإن فاطمة وأولادها لا يغيبون عن فكره وقلبه، فلا يمرُّ نهـار ولا ليل إلا ويأتيهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢١٣)؛ وأحمد (٢٢٣٦٣) وغيرهما، وضعفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **المِسْـح**: كسـاء معروف. **العَصَب**: سِنّ دابة بحرية يُتخذ منها الخَرَز وغيره. **العاج**: عظم سن الفيل.

ويرعاهم ويتعاهدهم ويتفقد شـؤونهم وينفحهـم من رحمته ونُبله وكريم أخلاقه وتوجيهاته، ويشـمُّهم ويُقبِّلُهم ويُداعبهم ويعلِّمهـم. وكانوا هم كذلك على جانـب عظيم من التواصل معه والارتباط به والإكبار لجنابه الشريف، مما لم ترَ البشرية له مثيلاً في سلوك إنسان.

وهو ﷺ رسـولُ الأمـة وحاكـمُ الدولة وقائـدُ الجيوش وخطيبُ الجمعة وإمـام الناس في الصـلاة والداعية إلى الله ومعلم أمور الإسلام ومستقبِلُ الوفود وأمينُ بيت المال... ومع كل هذا لا ينسى يوماً واحداً أو ليلة واحدة فاطمة والحسنين، بل قد جعل لهم ركناً من قلبـه واهتماماته ورعايته وأولوياته! وهو ركن مقدَّم يبدأ منه وينتهي به في سـفره وإقامته وذهابه وإيابه.

ـ عن أنس بن مالـك ﷺ: (أن رسـولَ الله ﷺ كان يمرُّ بباب فاطمة سـتة أشـهر إذا خرج إلى صلاة الفجـر، يقول: «**الصلاةَ يا أهلَ البيت؛ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾** [الأحزاب: ٣٣]»)(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٤)؛ وأحمد (١٣٧٢٨)؛ والطحاوي في «شـرح المشـكل» (٧٧٤)؛ والحاكم: ١٥٨/٣ وصححه، وسكت عليه الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب.

ـ وعن إبراهيم بن قيس، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخرَ الناس عهداً به فاطمةُ، وإذا قدِم من سفر كان أولَ الناس به عهداً فاطمةُ رضي الله عنها)[١].

ـ ولما أنجبت فاطمة أولادها الثلاثة واحداً بعد الآخر، وكان علي يسمِّي كل واحد منهم: (حَرْباً)، فغيَّر النبي ﷺ أسماءهم، وسمَّاهم: الحسن والحسين ومحسِّن[٢].

وكان يؤذِّن في أُذن كل واحد منهم عند ولادته؛ فعن أبي رافع قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحسن بن علي حين وَلَدَتْه فاطمةُ بالصلاة)[٣].

ـ ويروي أسامة بن زيد فيقول: (طَرقتُ النبيَّ ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مُشْتَملٌ على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغتُ من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتملٌ عليه؟ فكشَفَه، فإذا هو حسن وحسين على وركَيْه،

---

(١) أخرجه الحاكم: ١٥٦/٣، وإبراهيم بن قيس: ضعفه أبو حاتم، وذكره البخاري فلم يجرحه، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ويعتضد الحديث برواية سابقة: ص ١٣٩ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٤٤ ـ ٤٥ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)؛ والترمذي (١٥٩٤) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني.

فقال: «**هذان ابنايَ وابنَا ابنتي، اللَّهمَّ إني أُحِبُّهما فأَحِبَّهُما وأَحِبَّ مَن يُحِبُّهما**»(١).

ـ وقال بُرَيْدة بن الحُصَيب: (كان رسول الله ﷺ يَخْطُبنا، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصانِ أحمران يمشيان ويَعْثُران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملَهُما ووضَعَهُما بين يدَيْه، ثم قال: «**صَدَق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥]، **نظرتُ إلى هذين الصَّبِيين يمشيان ويَعْثُران، فلم أصبِرْ حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهما**»(٢).

ـ وعن أنس بن مالك قال: (دخلنا ـ وربما قال: دخلتُ ـ على رسول الله ﷺ والحسنُ والحسينُ يتقلّبانِ على بَطْنِه، قال: ويقول: «**رَيْحَانتيَّ من هذه الأمة**»)(٣).

•• وتأمَّلْ هذه المواقفَ الجليلة من نبيِّ الرحمة ﷺ، والتي لا يَبْلُغها أرحمُ الآباء بأبنائهم في بيوتهم فضلاً عن أن تكون في ملأ من الناس، بل وفي المسجد النبوي وبين يدي أنبلِ جيلٍ عرفَتْه البشرية وهو جيل الصحابة ﵃!:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤١٠٣)؛ وابن حبان (٦٩٦٧)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١١٠٩)؛ والترمذي (٤١٠٨)؛ والنسائي في «الكبرى» (١٧٤٣)، وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨١١١) و(٨٤٧٦)، وسنده صحيح.

ـ عن عبد الله بن شدَّاد، عن أبيه شداد بن الهادِ اللَّيْثي ﵁ قال: (خَرج علينا رسولُ الله ﷺ في إحدى صلاتَي العَشِيِّ، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدم النبي ﷺ فوضَعَه، ثم كبَّر للصلاة فصلَّى، فسَجَد بين ظَهْرَي صلاتِه سجدةً أَطالَها. قال أبي: فرفعتُ رأسي فإذا الصبيُّ على ظهرِ النبي ﷺ وهو ساجدٌ، فرَجَعْتُ إلى سُجودي. فلما قضَى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسولَ الله، إنك سَجدْتَ بين ظَهْرَي صلاتِك سجدةً أَطلْتَها، حتى ظَنَنَّا أنه قد حَدَث أمرٌ، أو أنه يُوحى إليكَ! قال: **«كلُّ ذلكَ لم يكن، ولكنَّ ابني ارْتَحَلَني، فكَرِهْتُ أن أُعْجِلَه حتى يَقضِيَ حاجَتَه!»**)[1].

ـ عن معاوية بن أبي سفيان ﵄ قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ يَمُصُّ لسانَه، أو قال: شفَتَه ـ يعني الحسنَ بن علي صلوات الله عليه ـ وإنَّه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شَفتانِ مَصَّهُما رسولُ الله ﷺ!)[2].

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٣١)، وفي «الصغرى»: ٢/٢٢٩؛ وأحمد (١٦٠٣٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٥٨٠)؛ والحاكم: ٣/١٦٥ ـ ١٦٦ وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٤٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

- وروى سَلَمة بن الأَكْوَع ﵁ قال: (لقد قُدْتُ بنبيِّ الله ﷺ والحسن والحسينِ بغلَتَه الشهباءَ، حتى أَدْخَلْتُهم حجرةَ النبي ﷺ، هذا قُدَّامَه وهذا خَلْفَه)(١).

وأخبار النبي ﷺ مع أحبابه أولاد فاطمة كثيرة جليلة، قد ذكرنا هنا ما يفي بالغرض، وسنفصل ذلك بإسهاب في ترجمتي الحسن والحسين إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٣)؛ والترمذي (٢٩٨٠)؛ وابن حبان (٥٦١٨).

الفصل الخامس

العلاقة بين الزوجين الكريمين

أولاً: أحداث عارضة في حياة الزوجين، وعلاج نبوي كريم:

•• الحياة الزوجيــة تجمع بين رجل وامــرأة لكل منهما شــخصيته ونمط تفكيره وطبائعه وأشــواقه ومَلَكاته وتطلعاته وخياله وأساليبه في التعامل داخل البيت وخارجه... وللقلوب عالمها وأشواقها وطموحاتها وأمنياتها، وعندما يجتمع القلبان على دين واحد وغاية واحــدة، ويجمع بينهما حبُّ الله تعالى، وتحوطهمــا رعاية النبــي ﷺ واهتمامه ومحبتــه؛ يكون لهذا (البيت الملكــي) طابعُه المميز وتعامله الفــذ وحياته العامرة بالحب والتبجيل.

بَيْدَ أن الدهور تتقلب والأيام تتغير، فلا شــيء في الحياة يبقى على وتيــرة رتيبة وسَــنَن واحــدة... وهكــذا النفوس والعواطف والطبائع والأماني يعتورها الانبســاط والانقباض، وتجيش وتخبــو، ويُصيبها الشــدّ والجذب، والأخــذ والردّ؛ فيحدث الاختلاف وتقــع المنافرة! وبمقدار ما يكون الزوجان

كبيريـــن جليلين، تكون الهفوة بينهما كبيـــرة لا تُطاق لأن كلّاً منهما ينظـــر إلى الآخر بعيـــنِ الإجلال والإكبـــار، لدرجة أنه لا يتوقع منه كبـــوةً ولا يَخطر بباله منه هفـــوة... ولكن أيضاً لأنهما جليلان كريمان شريفان؛ سرعانَ ما تذوبُ تلك الشائبة التي عكّرت صفوَ عيشـــهما، وتتلاشـــى تلك الغشـــاوة التي اعترضَتْ نورَ حياتهما.

هكذا كانت حياة البَضْعة النبوية الطاهـــرة البَتول مع ابن عمِّها السبّاق إلى الإســـلام البطل الكريم الشهم النبيل، الذي اشتملَتْ أخلاقُه على الحياء والســـماحة والعفو مع الأغراب؛ فكيف تكون مع الأحباب؟!.

والأجملُ من ذلـــك كله أن هذا البيت الســـعيد كان يجدُ دوماً عينَ النبوة تحرسُه، وقلْبَه ﷺ معلَّقاً به أبداً، ويدَه الحانية تلمس حيـــاة الزوجين وتزيل مـــا يعلَق بها من غبـــار الحياة، ورعايتَـــه ورحمتَه وعطفَه ولُطفه وأُنسَـــه وعدالتـــه تحيط ذاك البيت وتتخلله فـــي كل صغيرة وكبيرة، فتراه بيتـــاً مثاليّاً، مع ما يعتوره من منغِّصات لا تخلو منها هذه الحياة!.

والأمثلة ووقائـــع الحياة تضيء هـــذا الجانب الخطير من حياة الزهراء مع زوجها عليٍّ رضي الله عنهما وأرضاهما.

ـ تأمل هذا الموقف النبيل والتربيـــة الرفيعة، حيث يعلم

رســول الله ﷺ بأن خلافاً ما وقع في بيت فاطمة، وقد غاضَبَها علــيٌّ وتــركَ البيــت وأوى إلى المســجد، فيجــيء المربي الأعظم ﷺ إلــى صِهْره يؤانســه ويداعبه ويســكِّن من غضبه ويدلّله ويناديه بكُنية لطيفة التصقتْ بعليٍّ وأحبَّها ما لم يحبَّ غيرَها من اسمه وكُنَاه.

عن سَــهْل بن سعد قال: (جاء رســول الله ﷺ بيتَ فاطمة فلم يجدْ عليّاً في البيت، فقــال: «**أينَ ابنُ عمِّكِ؟**» قالت: كان بيني وبينــه شــيء فغاضَبَني فخرج فلــم يَقِلْ عنــدي! فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظرْ أين هو؟**» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المســجد راقدٌ. فجاء رســول الله ﷺ وهو مُضْطَجِع قد سَــقَط رداؤه عن شِــقِّه وأصابه ترابٌ، فجعل رســول الله ﷺ يَمسحُه عنه ويقول: «**قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تُرابٍ**»!)[١].

يقول الحافظ في فوائد هذا الحديث: (قال ابن بطَّال: فيه أن أهل الفضل قد يقع بين الكبيــر منهم وبين زوجته ما طُبع عليه البشَــرُ من الغضب، وقد يَدْعوه ذلك إلــى الخروج من بيته، ولا يُعاب عليه. **قلت**[٢]: ويَحْتَمِل أن يكون ســببُ خروج

(١) أخرجه البخاري (٤٤١)؛ ومســلم (٢٤٠٩)، وغيرهمــا. فلم يَقِل: من القيلولة، وهو نوم نصف النهار.

(٢) القائل هو الحافظ ابن حجر.

عليٍّ خشـــيةَ أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يَليق بجناب فاطمة ﵂، فحَسَـــم مادة الـكلام بذلك إلى أن تَسْـــكُن فورةُ الغضب من كلٍّ منهمــا. وفيه كرمُ خُلُق النبـــي ﷺ لأنه توجَّه نحوَ عليٍّ ليترضَّاه، ومســـح الترابَ عن ظهره ليبسطه، وداعَبَه بالكُنية المذكورة المأخوذة من حالته، ولم يُعاتِبْه على مغاضبته لابنته مـــع رفيع منزلتها عنـــده؛ فيؤخذ منه اســـتحبابُ الرفق بالأصهـــار وتَرْكُ معاتبتهم إبقـــاءً لمودَّتهـــم، لأن العتاب إنما يُخشى ممن يخشى منه الحقد لا ممن هو مُنزّه عن ذلك)[1].

ونذكر هنا ما يســـلِّي القارئ ويُضحكه من السخف الذي يذكره الرافضة في ســـبب تكنيـــة النبي ﷺ صهـــرَه عليّاً بأبي تُراب:

روى أبو جعفر محمد بن علي ابن بابوَيْه القُمّي المعروف بالصَّدوق، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم بسنده، عن عَباية بن رِبْعي قال: (قلتُ لعبدالله بن العباس: لِمَ كَنَّى رســـولُ الله ﷺ عليّاً أبا تُراب؟ قـــال: لأنه صاحـــبُ الأرض، وحجةُ الله على أهلها بعـــده، وبـــه بقاؤهـــا، وإليه ســـكونها! ولقد ســـمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدَّ الله تبارك وتعالى لشيعةِ عليٍّ من الثواب والزُّلفى والكرامة؛ قال:

(١) الفتح: ١٣/٧٥٠ ـ ٧٥١، شرح الحديث (٦٢٠٤).

يا ليتني كنت تراباً [قال في الهامش: في أكثر النسخ: ترابيّاً] أي: يا ليتني كنتُ من شيعة عليٍّ، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠])(١).

•• وعليٌّ رضي الله عنه كان فارساً مغواراً من أفذاذ المجاهدين الأشداء في ميادين الوغى، ومَن هذه صفاتُه يكون فيه شدَّة ـ وقد لا تعني الغِلظة والجفاء ـ وربما تبدُر منه بعضُ مظاهرها في بيته مع زوجته، فكان سَرْعانَ ما يفيء ويرجع إلى لطفه ووداعته معها، ويعتذر إليها ويُقسِم ألا يفعل شيئاً تَكرهُه، تكرمةً لها ولعشرتها، وإعظاماً لمقام أبيها ﷺ، الذي كان سَرْعَ ما يتدخل بينهما فيزيل ما عَلِق بماء القلوب لتعودَ صافية متلألئة.

ـ يقول عَمرو بن سعيد: (كان في عليٍّ على فاطمة شدَّة، فقالت: والله لأشكونَّكَ إلى رسول الله! فانطلَقَتْ، وانطلَقَ عليٌّ بأثَرِها، فقام حيث يَسمع كلامهما، فشكَتْ إلى رسول الله غِلَظَ عليٍّ وشدّتَه عليها).

فتلطَّف النبي ﷺ في إرضاء ابنته ورعايةِ خاطرها، وهَمَس في فؤادها بأن تَرفُق بزوجها وتصبرَ على ما قد يبدر منه؛ فيقول لها: (يا بنيَّة، اسمعي واستمعي واعقلي: إنه لا إِمْرة بامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت).

---

(١) معاني الأخبار، لابن بابويه القمي، ص ١٢٠.

ويسمع عليٌّ هذا الكلام، ويرى إكبارَ النبي ﷺ له؛ فتتوارى الشدة وتَنطِق الرجولة والشهامة والوفاء، فيقول عليّ: (فكَففتُ عما كنت أصنَعُ، وقلت: والله لا آتي شيئاً تكرهينَه أبداً!)[١].

ـ ومرة أخرى ينشَب بين الزوجين سوءُ تفاهم، ويجري بينهما كلام يعكِّر صفوَ حياتهما، فيُسرع النبي (الأبُ) ﷺ لإطفاء شرر الخلاف، ويُصلح ما بينهما بحكمته ولُطْفه بأسلوب تربوي عملي ينبض بالحياة الشاخصة، ويبقى درساً رائعاً للأمة... يروي حبيب بن أبي ثابت فيقول: (كان بين عليٍّ وفاطمة كلامٌ، فدخل رسول الله ﷺ، فألقى له مِثالاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، وجاء عليٌّ فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليٍّ فوضعها على سُرَّته وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرَّته، ولم يَزَل حتى أصلح بينهما، ثم خرج! قال: فقيل له: دخلتَ وأنت على حال وخرجتَ ونحن نرى البِشْرَ في وجهك! فقال: وما يَمنعُني وقد أصلحتُ بين أحَبِّ اثنين إليَّ؟!)[٢].

ـ وكان علي ﵁ يريد من زوجه وأهل بيته أن يكونوا دائماً على سبيل الجدّ والاجتهاد والصرامة والزهد في السرَّاء

(١) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٦/٨؛ الإصابة: ٣٦٨/٤. المِثال: الفِراش الخَلَق.

والضـرَّاء، حتى إنه ليُنكـر على زوجته أن رآها قد تبسَّطت باليسير من زينة الدنيا في لباسها:

جاء في (حديث جابر الطويل) الذي يصف فيه (حَجَّة النبي ﷺ)؛ قال جابر: (وقدِمَ عليٌّ رضي الله عنه من اليمن بِبُدْن النبي ﷺ، فوَجَد فاطمةَ رضي الله عنها ممن حَلَّ ولبسَتْ ثياباً صَبِيغاً واكتحلَتْ، فأنكر عليٌّ ذلك عليها، وقال: مَن أمركِ بهذا؟ فقالت: أبي. فكان علي يقول بالعراق: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ محرِّشاً على فاطمة في الأمر الذي صنَعَتْه، مُستفتياً لرسول الله ﷺ في الأمر الذي ذَكَرتْ عنه، فأخبرتُه أني أنكرتُ ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا، فقال: «صَدَقتْ، صَدقتْ!»)[1].

•• ومن جميل الأحداث ولطيفِ المشاعر والتنافس على الخير؛ أن نجدَ الزوجين الكريمين يتسابقان في تحقيق محبة النبي ﷺ لهما، وكل منهما يسعى ليكون أثيراً عنده أكثر من الآخر لِما يعلمُ من سعادته ﷺ بذلك، ولأنه أيضاً يوثِّق وشائج الزوجية ويُغْلي القدوة الصالحة للأبناء الصغار الذين يدرجون في بيت فاطمة وتحت عين جدِّهما ﷺ... فترى فاطمة وعليّاً كلّاً منهما يرى أنه أحَبُّ إلى النبي ﷺ، فما إن يدخل عليهما حتى يستبقا إليه بالسؤال أيهما أحبّ إلى قلبه!.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤).

يقول ابن عباس: (دخل رســـول الله ﷺ على عليٍّ وفاطمةَ وهما يضحكان، فلما رأيَا النبي ﷺ سَكَتا، فقال لهما النبي ﷺ: **«ما لَكُما كنتما تضحكان، فلما رأيتُماني ســكتُّما؟!»** فبادرتْ فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رســـول الله، قال هذا: أنا أحَبُّ إلى رســـول الله ﷺ منكِ، فقلتُ: بل أنا أحبُّ إلى رســـول الله ﷺ منكَ! فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«يا بُنيَّةُ لكِ رِقّة الولد، وعليٌّ أعزُّ علَيَّ منك»**)(١).

وفي رواية: عن أبي هريـــرة: (أن علي بن أبي طالب قال: يا رسول الله، أَيُّنا أحَبُّ إليكَ أنا أم فاطمة؟ قال: **«فاطمةُ أحَبُّ إليَّ منكَ، وأنت أعزُّ عليَّ منها»**)(٢).

وبهذا الجواب النبـــوي الحكيم الرقيق يكون قد أســـعدَ صهرَه بحبِّه ولطفه وإكرامه وإعزازه، وغمر ابنته الزهراء بفيضِ الحب الأبوي الذي لا يُدانيه حبٌّ، فضلاً عن أنها بقيتُه ﷺ من بعده هي وذريتها الطاهرة.

---

(١) أخرجــه الطبراني في «الكبيــر»: ١١/٦٦ (١١٠٦٣)؛ وقال الهيثمي في (المجمع: ٩/٢٠٢): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوســط»؛ وذكره الهيثمي في المجمع: ٩/١٧٣، ٢٠٢ وقال: فيه سُلمى بن عقبة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

ثانياً: حادثة قاسية تهزُّ بيت الزوجية، وموقفٌ نبوي صارم تكرمةً لابنته (علي يريد الزواج على فاطمة!):

وقعت بين الزوجين الحبيبين أحداث وثارَتْ خلافات وتسلَّلتْ مشكِلات، هي شيء طبيعي يحدث في جميع بيوت بني آدم، وكانت جميعها تتلاشى وتذوب بفضل الرعاية النبوية الحكيمة، وما تحلَّى به علي وفاطمة من كريم الشمائل التي دفعت بالزوج الجليل أن يقول للسيدة الزهراء: (والله لا آتي شيئاً تكرهينَه أبداً)!

لكن عليّاً رضي الله عنه عزم على أن يفعل أمراً تكرهه كل زوجة، فضلاً عن فاطمة التي تكرهُه أعظمَ الكُره وتألَمُ منه أعمقَ الألم؛ لِما احتفَّ بذلك الأمر من أحداث ومواقف مغيظة لقلبها من جهة، وبسبب الآلام والأحزان والمعاناة والابتلاءات التي مرت بها في سِني حياتها من جهة أخرى... ذلكم الأمر هو أن عليّاً زوجها الحبيب أراد أن يتزوج عليها ويأتي إلى بيتها بضَرَّة لها! وليس هذا فحسب، فإن تلك الضَّرَّة ليست كغيرها من الضرائر، فهي بنتُ أبي جهل الذي هو من أبغضِ البشر إلى قلبها وقلب أبيها ﷺ، وهو عدو الله وعدو رسوله والمؤمنين!.

هذا من أعجبِ العجب وأكرهِ المَكاره: بنتُ رسول الله ﷺ تجتمع مع بنت عدوِّ الله في عصمة رجل واحد، وتعيشُ معها

في بيت واحد وتحت سقف واحد، هذا ما لا يكون أبداً ولا يتصوَّره خيالٌ ولا يَحتمِله عقل ولا قلب!.

•• أبو جهل أحدُ جبابرة قريش الذين ناصبوا رسولَ الله ﷺ العداءَ منذ فجر الدعوة وإلى أن قُتل كافراً ببدر، وهو من الذين سَعَوا في إلقاء سَلَى الجَزُور على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد في صلاته.

وهو من أكابر المجرمين الذين ضَربوا الحصار على رسول الله ﷺ في عشيرته بني هاشم ثلاث سنين في الشِّعْب، ولمَّا لقِي حَكيمَ بنَ حزام يحمل الطعام إلى عمته خديجة بنت خويلد تعلَّق الخبيثُ به ومنَعَه من إيصال الطعام وقال له: (لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضَحَكَ بمكة!).

وهو من المستهزئين بالقرآن، فإنه لمَّا ذَكر الله ﷻ شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم، قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرةُ الزقومِ التي يخوِّفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوةُ يثرب بالزُّبْد، والله لئن استمكنَّا منها لنتزقَّمَنَّها تزقُّماً! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۞ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦].

ولمَّا نزل قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]، قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتكم أمهاتُكم! أسمعُ ابنَ أبي كَبْشَة[1]

(١) يعني النبي ﷺ، كانت قريش تنسب النبي ﷺ إلى أبي كبشة السعدي حاضن النبي ﷺ وزوجِ حليمة السعدية.

يخبركم أن خَزَنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدَّهْم - أي العَدد - والشجعان، أَفيعجز كل عشرة منكم أن يَبطِشوا بواحدٍ منهم؟!.

- وأبو جهل هو الذي جاء في نفر غداةَ الهجرة النبوية إلى بيت أبي بكر الصديق يسأل عنه وعن رسول الله ﷺ، فخرجَتْ إليهم أسماءُ ذات النطاقين، فقالوا لها: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: لا أدري والله أين أبي! فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلَطَم خدَّها لطمة طرح منها قُرْطَها!.

- وهو الذي جيَّشَ قريشاً لحرب الإسلام بالمدينة، وكان من عتاة المشركين الذين خاضوا القتال ببدر، حتى قتله الله وذهب إلى لعنة الله وغضبه، وجيء برأسه فأُلقي بين يدي رسول الله ﷺ.

أفتكون بنت هذا المجرم الأَشِر العدو اللَّدود للإسلام ونبيه ﷺ والمؤمنين؛ زوجةً لعليٍّ رضي الله عنه ربيبِ النبوة، وضَرَّةً لبَضْعَةِ النبي ﷺ وأحبِّ بناته إليه؟!.

يأبى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون ذلك، وما كان النبي ﷺ لِيَقبلَ هذا، ولا كانت فاطمة تُطيقه أو تحتمِله أو تصبر عليه، ولا كان المؤمنون يخطر لهم على بال!.

ونَمَى الخبر إلى الزهراء فاستَعَر الحزن في فؤادها، وغطَّى على جميع آلامها التي مرَّت بها في رحلة الحياة الشاقة

ومِحَنِها القاسية وابتلاءاتها الكبار... وذهبتْ بنفس مهمومة ورجلَيْن مُثقلتَيْن، ومشَتْ خطوات قليلة لكنها شديدةُ البُطْء مديدةُ الزمن المُثْقَل بالأسى؛ حتى وصلَتْ إلى حجرة الأب الرحيم وألقتْ على سمعه كلمات معدودات قد صدعت فؤادَها، وتمتمت شفتاها بآهات حرَّى وعيناها قد اغرورقتا بالدموع: (**يزعمُ قومُك أنك لا تغضَبُ لبناتِك!**)، وقصَّتْ عليه الخبر!.

فما لبث رسول الله ﷺ أن قام مغضَباً وخرج إلى المسجد، وخطب الناسَ فبيَّن منزلة فاطمة من قلبه، وأثنى على صِهره أبي العاص بن الربيع في وفائه بمعاملته لابنته زينب وامتدحه في مصاهرته، وأعلَن أنه لا يحرِّم حلالاً لكنه يرفض هذا النكاح مبيِّناً مبرِّراته على الأشهاد، وخيَّر عليّاً: إما أن يترك الجمعَ بين الزهراء وبنت أبي جهل، أو يطلِّق فاطمةَ ويَنكح تلك!.

عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: (إنَّ عليّاً خَطَب بنتَ أبي جهل، فسَمِعتْ بذلك فاطمةُ، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: يزعمُ قومُكَ أنك لا تَغْضَبُ لِبناتِكَ، وهذا عليٌّ ناكحٌ بنتَ أبي جهل! فقام رسول الله ﷺ، فسمعتُه حين تشهَّد يقول: «**أما بعدُ؛ أنكحتُ أبا العاص بنَ الربيع فحدَّثَني وصَدَقني، وإنَّ فاطمةَ بَضْعَةٌ منِّي، وإني أكره أن يَسُوءَها، واللهِ لا تجتمعُ بنتُ**

رسول الله وبنتُ عدوِّ الله عند رجلٍ واحدٍ». فتَرَكَ عليٌّ الخِطْبَةَ).

وفي رواية: عن المِسْوَر قال: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطب الناسَ في ذلك على مِنبره هذا ـ وأنا يومئذٍ مُحْتَلِمٌ ـ فقال: «**إنّ فاطمةَ منِّي، وأنا أتخوَّفُ أن تُفتنَ في دِينها**». ثم ذَكَر صِهْراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مُصاهرته إياه، قال: «**حدَّثني فَصَدَقني، ووَعَدَني فَوَفَى لي، وإنِّي لستُ أُحرِّمُ حلالاً ولا أُحِلُّ حراماً، ولكنْ واللهِ لا تجتمعُ بنتُ رسول الله ﷺ وبنتُ عدوِّ الله أبداً**»).

وفي رواية أخرى: قال ﷺ: «**إنَّ بني هشام بن المُغيرة استأذنوني في أن يُنْكِحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب؛ فلا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ؛ إلا أن يريدَ ابنُ أبي طالب أن يُطلِّق ابنتي ويَنكِحَ ابنتَهُم، فإنما هي بَضْعَةٌ منِّي يُريبني ما أَرَابها، ويُؤْذِيني ما آذاها**»[1].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ للناس سببَ رفضه هذا الزواج، فهذه الضَّرّة هي بنت أبي جهل عدو الله ورسوله، وكلُّ المسلمين يعلمون جرائمه، وآثامه. ثم إن السيدة البتول بَضْعةُ

(١) أخرجه البخاري (٣١١٠، ٣٧٢٩، ٥٢٣٠) والروايات الثلاث له؛ ومسلم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود (٢٠٦٩، ٢٠٧١)؛ وابن ماجه (١٩٩٩)، وغيرهم.

رسـول الله ﷺ ومُضغةٌ منـه، فلا يريـد أن يزيد مـن آلامها ومصائبهـا وأحزانها، وقد عانت ما عانت بمكـة وفَقدتْ أمَّها الحبيبة، ثم أُصيبت بأخواتها الثلاث واحدة بعد الأخرى، فلم يبقَ لها من تسـتأنس به ممَّن يخفِّف عليها الأمر ممن تُفضِي إليه بسرِّها إذا حصلت لها الغَيْرة.

كما أنه ﷺ يسوءُه ما يسوءُها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويُريبه ما يُريبهـا؛ فيريد أن يدفع عنها كل ما يعكِّر صفـوَ حياتها ويُقلق نفسها ويؤرِّق فؤادها!.

كذلك فإنه ﷺ يتخوف عليها أن تُفتن في دينها فلا تصبر على الغَيـرة فيقع منهـا في حـق زوجها في حـال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين[1].

وأكَّد النبي ﷺ أنه لا يُحرِّم حلالاً ولا يُحِلُّ حراماً، ولكنه إنما نهى عنه لمصلحة، وقـال: «**فلا آذَنُ ثم لا آذَنُ ثم لا آذَنُ**»، وكرَّر ذلك تأكيداً، وفيه إشارة إلى تأبيد مدة مَنْع الإذْن، وكأنه أراد رفْـعَ المجاز لاحتمال أن يُحمل النفـيُ على مدة بعينها، فقال: **ثم لا آذَنُ**، أي: ولو مضت المدة المفروضة تقديراً لا آذَنُ بعدها، ثم كذلك أبداً[2].

---

(١) انظر: الفتح: ١١/٦٨٥، شرح الحديث (٥٢٣٠).

(٢) الفتح: ١١/٦٨٤؛ تكملة فتح الملهم: ٥/٩١.

وهو ﷺ كان لا يواجه أحداً بما يُعاب به أو يصرّح باسمه على الملأ، لكنه ـ والله أعلم ـ إنما جَهر بمعاتبة عليٍّ مبالغةً في رضا فاطمة عليها السلام[1].

•• أما علـيٌّ رضي الله عنه فما الذي جعله يُقدِم على هذا الأمر؟ وماذا فعل بعد ذلك الموقف الصلب الصريح من رسول الله ﷺ؟.

كيف هانَ عليه مع قربه القريب من رسول الله ﷺ نسباً ومنزلة وتربية وإسلاماً وقد نشأ وترعرع في حَجْره، ومع تضحياته الجسام وجهاده البطولي في نصرة النبي ﷺ وفي سبيل الدعوة؟! كيف سَهُل عليه أن يروِّع قلبَ الحبيبة بنت الحبيب وأم الحسنين ريحانتي النبي ﷺ وقرّة عينه من الدنيا؟! وكيف يَكسِر قلبها بزواجٍ مثلِ هذا هو مَظِنَّة أن يحوِّل القلوبَ عن مجراها ويعكّر صفوَ الحياة بين الزوجين الحبيبين؟!.

لم يكن يخطُر على بال عليٍّ شيء مما أشار إليه رسول الله ﷺ بحقِّ فاطمة، فهو رضي الله عنه يعلم أن تعدُّدَ الزوجات حلال ولا حرج عليه في أن يتزوج على فاطمة؛ فبناتُ النبي ﷺ يجوز عليهن ما يجوز على بنات المسلمين، وهو

---

(١) الفتح: ٨/٦٨٦ (٣٧٢٩).

لا يُلام على ابتلاء الزهراء بضَرّةٍ، فلها أسـوة بعائشة وحفصة وغيرهما، ولا يَضُرُّ بنتَ أبي جهل عمـلُ أبيها، فهي صحابية قد أسلمت، ولا تزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى.

هذا كله قد يكون دار في فكر عليٍّ وقلْبه فأَقْدَم على ذلك الأمر، لكنه ما إن نَمَى إلـى علم فاطمة حتى غَضبتْ وغضبَ لها أبوها ﷺ، وكان ذلك الموقف العصيب والخطبة الصادمة والرأي القاطع بأنه لا تجتمع بنت رسـول الله وبنت عدوّ الله في بيت واحد عند زوج واحد أبداً.

فماذا فعـل عليٌّ الـزوجُ الكريم والمجاهدُ النبيـل ابنُ عمِّ النبي ﷺ وزوج الطاهرة البتول وأبو السِّبطين الحسن والحسين؟.

ألا يقتـدي بالنبي الأعظـم ﷺ الذي عاش مع السـيدة الجليلة خديجة بنت خويلد خمسـاً وعشرين سنة، ولم يَجمعْ إليها ضَرَّة تعكِّر عليها صفوَ خاطرها؟!.

ولن يرضى عليٌّ بـأن يكون أبو العاص بـن الربيع قبل إسلامه أَبَرَّ منه ببنت رسـول الله ﷺ، ولا أَرْعَى في مصاهرته للنبي ﷺ ذِماماً ولا أكثَرَ وفاءً؛ وهو ربيبُ النبوة والسـبّاق إلى الإسلام...

وحاشاه أن يؤذي فاطمةَ فيؤذي رسول الله ﷺ والعياذ بالله!.

كل هذا شَغَل عقلَ عليٍّ وقلْبَه مذ سمع النبي ﷺ يقول: «**لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، ثم لا آذَنُ، إلا أن يريدَ ابنُ أبي طالب أن يطلِّق ابنتي!**».

فهذا مما لا يَخْطُر له ببـال، ولا يرضاه بحال، ولا يبتغي ببَضْعَة رسول الله ﷺ بديلاً، ولا يَقبل عن الإصهار إليه تحويلاً ـ لذا ما إنْ سـمع قول النبي ﷺ ذاك وشهد موقفَه (حتى تَرَك عليٌّ الخِطْبة)، فما تزوَّج عليها ولا تسـرَّى حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها.

وأقبل على زوجته الأثيرة يعتـذر إليها ويترضاها، ويروي لها ما حَدَث في المسـجد وموقف أبيهـا ﷺ وغضبه لغضبها، واهتمامه الشديد بالحدث، وضيقه مما قد يلحق بابنته من أذى وحزن وهمٍّ وغمٍّ، ثم إنكاره علـى عليٍّ أن يجمع في بيته بين بنت رسـول الله وبنت عدو الله... فتنفرج أسـارير الزهراء وقد اغرورقـت عيناها بدموع الفـرح، وهَيْمنَ على قلبها ولسـانها الطهـرُ الذي تأصَّـل في بيت النبـوة؛ اغتباطـاً بموقف الأب الرحيم، وعفواً وصفحاً عن الزوج الكريم.

وانقشـعت سـحابة سـوداء ظللت بيت فاطمة وقتاً ليس بالطويـل، وتجدَّد الودّ والحـب والوئام، وتجـدَّد معه فرحٌ عمَّ المجتمع المسلم، وزاد آلَ بيت النبي ﷺ رفعةً وإجلالاً وتكريماً، وحرصاً على أن لا يتسبب أحد بإيذائهم من قريب أو بعيد.

•• والمرأة التي خطبها علي ﷺ هـي جُويرية بنت أبي جهل، وهـي صحابية قد أسـلمت وبايعتْ، وقـد ترجم لها الحافظ في «الإصابة».

وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة كما جزم به الحافظ في «فتح الباري»[١]، وزعمت بنت الشـاطئ أن المؤرخين صَمَتوا عن تاريخ الحادثة، ورجَّحتُ أن يكون ذلك سنة (٢هـ)[٢].

وزعم الشـريف المرتضى أن الحديث موضوع!. وكلامه مردود لا قيمة له[٣].

وأطال بعض الرافضة المعاصرين في رد حديث «الصحيحين»، وادعى التناقض بين الروايات، وطعن على الصحابة ﷺ[٤].

❁ ❁ ❁

(١) الفتح: ٦٨٦/٨ (٣٧٢٩).
(٢) سيدات بيت النبوة، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٣) الفتح: ٦٨٦/٨.
(٤) انظر مثلاً: فاطمة بنت محمد قدوة للنسـاء، للسـيد علي عاشور، ص ١٤٠ ـ ١٤٩.

الفصل السادس

أحاديث واهية وموضوعة ومزاعم ومجازفات باطلة

أولاً: أحاديث واهية وموضوعة وردت في موضوع زواج فاطمة:

كَثُرت الأحاديث الواهية والموضوعة في مناقب أكابر الصحابة وبخاصة أهل البيت، ولا تكاد تجد فصلاً من فصول حياة علي وفاطمة والحسنين إلا ويصادفك ركامٌ من الأخبار الباطلة والموضوعات، هذا في كتب أهل السُّنَّة، أما في مصادر الشيعة فالأمر يفوق الوصف ويتفوق على الخرافة!.

ونشير في هذا المبحث إلى طَرَف من الأحاديث الباطلة التي رويت في تضاعيف أخبار زواج فاطمة، وألَتقطُ بعضها من كتب التراجم والرجال:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: إنَّ الله أَمَرني أن أزوِّج فاطمةَ من عليٍّ، ففعلتُ. وسَرَد حديثاً طويلاً.

حديث موضوع[١].

٢ ـ عن يعقوب بن إسحاق، عن جعفر بن هارون، عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: (لمَّا خطب عليٌّ فاطمةَ من رسول الله ﷺ، دخل عليها فقال لها: أيْ بُنَيَّة، إن ابنَ عمِّكِ عليّاً قد خطبك، فماذا تقولين؟ فبكت، ثم قالت: كأنك يا أَبَهْ إنما ادَّخَرْتَني لفقير قريش! فقال: والذي بعثني بالحق ما تكلَّمتُ في هذا حتى أَذِنَ الله فيه من السماء، فقالت فاطمة: رضيتُ بِمَا رضي الله لي ورسوله)[٢].

حديث باطل، فيه يعقوب: كذَّاب، وجعفر: متَّهم، وقال ابن كثير: مُنكَر.

٣ ـ عن عبدالرحمٰن بن محمد ابن أخت عبدالرزاق، حدثنا توبة بن علوان، حدثنا شعبة عن أبي حمزة، عن ابن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»: ١/٤١٥ ـ ٤١٦؛ والسيوطي في «اللآلئ المصنوعة»: ١/٣٩٦؛ وابن عَرَّاق في «تنزيه الشريعة»: ١/٤١٠؛ والألباني في «الضعيفة» (١٨٤٥)، وغيرهم. وأخطأ الهيثمي في «المجمع»: ٩/٢٠٤؛ والصالحي في «سبل الهدى والرشاد»: ١١/٤٧٧ فقالا: رجاله ثقات!.

(٢) تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ١/٢٣٠ ـ ٢٣١؛ البداية والنهاية: ٧/٣٤٣.

عباس قال: (لمَّا زُفَّتْ فاطمةُ إلى عليٍّ كان النبي ﷺ أمامها، وجبريل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف مَلَك خَلْفها يسبِّحون الله ويقدِّسونه حتى طلَع الفجر!)[١].

كذب موضوع. قال الذهبي في ترجمة «توبة بن علوان» من «الميزان»: هذا كذبٌ صُراح. وقال ابن عَرَّاق: فيه توبة بن علوان وعنه عبدالرحمٰن بن محمد ابن أخت عبدالرزاق، وأحدُهما وضَعَه.

٤ ـ عن أبي هريرة قال: (قالت فاطمة رضي الله عنها: يا رسولَ الله، زوَّجْتَني من علي بن أبي طالب وهو فقيرٌ لا مالَ له؟! فقال: يا فاطمةُ، أمَا ترضينَ أن الله عز وجل اطَّلَعَ إلى أهل الأرض فاختار رجلين؛ أحدُهما أبوكِ والآخرُ بَعْلُكِ؟!)[٢].

قال الذهبي: موضوع.

٥ ـ وإليك هذا الخبر من أهم مصادر الشيعة وهو (الكافي) للكُليني، والذي هو عندهم بمنزلة (صحيح البخاري) عند أهل السُّنَّة، وأستغفر الله تعالى من المقابلة بين ضياء النبوة المتلألئ في (أحاديث البخاري) وظلمات الاختلاق والافتراء في (أحاديث الكافي).

---

(١) ميزان الاعتدال: ١/٣٦١؛ تنزيه الشريعة: ١/٤١٢.

(٢) المستدرك: ٣/١٢٩؛ تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي»: ١/٢٤٨ ـ ٢٥٠.

روى الكُلِيني بسنده: عن علي بن جعفر قال: (سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: بينا رسول الله ﷺ جالسٌ إذ دخل عليه مَلَكٌ له أربعةٌ وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله ﷺ: حبيبي جبرائيل لم أَرَك في مثل هذه الصورة! قال المَلَك: لستُ بجبرئيل يا محمد! بعثني الله عز وجل أن أزوِّجَ النور من النور، قال: مَن ممَّن؟ قال: فاطمة من عليٍّ. قال: فلما ولَّى المَلَك إذا بين كتفَيْه: محمدٌ رسول الله، عليٌّ وصيُّه! فقال رسول الله ﷺ: منذُ كَمْ كُتب هذا بين كتفَيْك؟ فقال: من قبل أن يَخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام)[1].

ثانياً: مزاعم وتقولات ومجازفات:

ومثل ما شوَّهتِ الأحاديث الباطلة والأخبار الموضوعة سيرةَ الزهراء الناصعة، كذلك أَسْهَم في الإساءة إلى تلك السيرة العطرة كثرةُ الآراء الباطلة والمجازفات الساقطة من طائفة كبيرة ـ على مرّ التاريخ ـ من المصنِّفين والمؤلفين والكتاب ومن يُسمَّى بالباحثين؛ الذين جمعوا الغَثّ والسمين وأبدَوا (اجتهادات واستنتاجات) هي أحرى بأن توصف بالمزاعم والمجازفات... وأُلمح هنا إلى أمثلة من ذلك:

---

(١) أصول الكافي: ٢٧٦/١، باب مولد الزهراء، حديث (٨).

•• تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمٰن في وصف العلاقة بين علي وفاطمة ـ وكان عليٌّ في حَجْر النبي ﷺ منذ صغره ـ: (وكانت ـ فاطمة ـ تحسُّ ابنَ العم عليَّ بن أبي طالب قريباً منها في المنزل الجديد، وتلمَحُه يحوم حول أبيها ﷺ وفي نفسه أمرٌ يَكتمه لا يريد أن يُفصح عنه، وعلى لسانه كلمات يُمسكها قبل أن تمس شفتيه. على أن فاطمة لم تكن بالتي يخفى عليها سرُّ ابن العم، فمنذ بلغتْ سنَّ الزواج وهي تحس بإلهام فطرتها ووحي قلبها أن عليّاً متعلِّق بها غير منصرف عنها ولا راغب في سواها من بنات المسلمين!)[1].

وهو كلام مرسَل وإنشاءُ أديب لا أساسَ له من النقل، ولا يقبله عقل يعرف ـ والمؤلفة تعرف ـ حق المعرفة طُهر المجتمع الذي عاش فيه أولئك السادة فضلاً عن بيت النبوة! فكيف يصح تصور تلك (العلاقات القلبية) بين علي وفاطمة، ولا يعلم ما في القلوب إلّا علام الغيوب.

ومثل هذا الكلام قد شاهدناه في عصرنا في البيئات المتفسخة من (علاقات الإعجاب المتبادل) بين الشاب والفتاة، والتعبير عن ذلك بالإشارة والكلمة وغير ذلك، وهذا لا يُقبل البتَّة ولا يُتصوّر حدوث مثله في مجتمع (جيل النبوة)!.

---

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٣.

ـ وتحدثت الدكتـورة عن أن فاطمة قد أغلقَـتْ قلبَها عن فكرة الزواج، ثـم تغير مزاجُهـا عند زواج أبيها ﷺ بالسـيدة عائشة، وكان علي ينتظر تلك الفرصة السانحة منذ سنين، تقول:

(والواقع أن عليّـاً كان يتلبَّث حتى تحيـن فرصة مواتية مُسعِفة، يسـتطيع فيها أن يطمع في قبول الزهراء الانتقال من بيت أبيها إلى بيت الزوجية. وطال انتظاره بضع سنين، حتى إذا دخل ﷺ بعائشـة الحبيبـة، خامرَ عليّاً الرجـاءُ في تحقيق رغبته، لكن ظل مُحجماً فترة، لا يدري بمَ يُمهرِها، وليس في يده مال، ثم زاد إحجامه حين بلغـه أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد طلبا يدَ الزهراء، فردَّهما أبوها ﷺ في رفق بالغ)[1].

وهذا الانتظارُ المزعوم (بضْعَ سنين)، وربطُ خِطبة فاطمة بزواج عائشـة، إنما هو مجـرّد تخرُّصات لا أسـاسَ لها من الحقيقة، بل تردُّها الأخبار الصحيحـة التي أوردناها في قصة زواج علي بفاطمة.

ـ والأعجب من ذلـك زعمُها بأن الصحابـة في رغبتهم الـزواجَ ببنات رسـول الله ﷺ كانـوا لا يرون أنفسـهم أكفاء لمصاهرتـه، فتذكر تهيُّبَ النـاس عن التقدم مـن بيت النبوة للتشـرف بالإصهار إليه ﷺ، والنـاس بعد البعثـة: إما كافر

---

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٥، و٤٦٣ ـ ٤٦٤.

لا يفكر في مصاهرته، وإما مسلم؛ تقول: (وقد عرفنا موقفَ المسلمين من نبيهم وإلى أي مدى كانوا يُجِلُّونه ويعظِّمونه ويفتدونه بالمُهَج والأرواح، فغيرُ مستغرب ألَّا يروا أنفسَهم كُفئاً لمصاهرته، وأن يَغضُّوا الطَّرْف عن «أم أبيها» الزهراء إجلالاً وتهيباً. ولا يرد على هذا بأن عثمان رأى في نفسه كفئاً لرقية، فهو على موضعه في قريش بعامة، ثراءً وشرفاً وجاهاً، إنما طمع في الزواج من بنت النبي ﷺ، بعد أن طلَّقها ابنُ أبي لهب كيداً وحقداً، وليس الأمر كذلك مع الزهراء)[1].

وهو كلام باطل ما كنَّا نحبّ أن تسقط المؤلفة الفاضلة فيه، فإن مثل هذا الكلام هو من التقوُّلِ على رسول الله ﷺ، وحاشاه أن ينظر إلى أصحابه الكرام بمثل هذه المقاييس، وهو الذي تمنى أن تكون له بنت ثالثة حتى يزوِّجها من ذي النورين بعد وفاة زوجه أم كلثوم! كما أن هذا التوصيف غريب على الصحابة ولم يخطر لهم على بال، ولا قاله أحد منهم ولا أحد من علمائنا من بعدهم، ولا علاقة له البتة بإجلال النبي ﷺ وإعظامه وافتدائه بالأرواح... فلا ندري ما الذي أوحى به إلى المؤلفة غفر الله لها!.

●● ومثل هذا الكلام الأخير يشبه ما تزعمه الرافضة،

---

(١) سيدات بيت النبوة، ص ٤٦٩.

وإن كان هؤلاء ذهبوا به بعيداً جدّاً؛ فروى الكُلِيني بسنده: عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: (لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أميرَ المؤمنين عليه السلام(١) لفاطمة، ما كان لها كفءٌ على ظهر الأرض من آدمَ ومن دونه)(٢).

ورواه ابن بابوَيْه القُمِّي، عن علي عليه السلام: (أن جبريل هبط على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله ﷻ يقول: لو لم أخلُق عليّاً عليه السلام؛ لَمَا كان لفاطمة ابنتِك كفءٌ على وجه الأرض آدم فمن دونه)(٣)!.

وهو إفك مفترًى على الله ورسوله وآلِ بيته، قاتل الله من افتراه ووضعه، فهذا يعني أن عليّاً ﵁ أفضل من الأنبياء والمرسلين، والعياذ بالله تعالى!.

وللرافضة أقوال وروايات أخطر من هذا بكثير، سنذكر بعضاً منها في هذا الكتاب في المواضع المناسبة، وإنما نوردها لنبيِّن حقيقة مذهب القوم في حقائق الإسلام وعقائده وآل البيت الأطهار، ونحمد الله تعالى على ملازمة السُّنَّة.

❁ ❁ ❁

(١) أي: علي بن أبي طالب.
(٢) أصول الكافي: ٢٧٦/١، باب مولد الزهراء، حديث (١٠).
(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٢٥/١؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٣٣.

الباب الرابع

شمائلُ الزَّهراءِ وأخلاقُها وعبادتُها

- شمائلها وأخلاقها.
- عبادتها وأذكارها ورغبتها بالآخرة.

• • •

تمهيد

جـاء في وصف السـيدة فاطمـة رضي الله عنها: أنها أشـبهُ الناس برسول الله ﷺ في كلامه وحديثه وهَدْيه ودَلِّه وسَمْتِه[1]، والدَّلُّ والهَدْي والسَّـمْت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السـكينة والوقار وحُسـن السـيرة والطريقة والاسـتقامة والشمائل الكريمة، وحسبك بهذا جلالة ورفعة وسموّاً!.

فالزهراء وُلِدت لأكرم إنسان وأعظمِ نبي في كل ما جمَّلَه الله بـه من الأخـلاق الرفيعة والصفـات الحميدة والشـمائل البديعة والأعمال المجيدة. وأمُّها السيدة الطاهرة خديجة أفضل نساء الأمة وإحدى أفضل نسـاء أهل الجنة وإحدى الكاملات من نساء العالمين.

فورثت فاطمة من أبويها خصالَ الخيـر والفضيلة والنُّبل والطهارة والاستقامة والزهد والكرم ومثيلاتِها من أزكى شمائل عباد الله وأتقاهم وأنقاهم.

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٤١ من هذا الكتاب.

وإذا كان الوصف الرفيع الذي ثبت بالنقل الصحيح من أناس شهود مقرَّبين وفي أعلى درجات المصداقية والشهادة بالحق ـ مثل: عائشة أم المؤمنين وأنس بن مالك ـ قد وصفوا السيدة البتول بأن هَدْيها ودَلَّها وسَمْتَها مثلُ رسول الله ﷺ؛ فإن هذا يكفي لتكوين صورة متكاملة عن شمائلها وأخلاقها وعبادتها، ولو كانت النصوص في هذا الباب قليلة؛ فالزهراء قبسٌ من ذاكم الضياء النبوي المتلألئ والنور العميم والخُلق الرفيع والشمائل المحمدية التي هي مضرِبُ المثل في العالمين وتاج أخلاق النبيين عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وَرِثت فاطمة تلكم الشمائل الجليلة والأخلاق الرفيعة والعبادة المتبتلة، ورضَعتْ من ثديي الطاهرة خديجة وغُذيت بهدي النبوة واستظلَّت بظلال القرآن، وعاشت غدوات جبريل وروحاته ونزوله في بيت أبيها ﷺ، وترعرعت في كل ساعات حياتها تحت عين النبوة الممتزجة بالأبوة، وسارت مع الدعوة منذ مشرقِ شمسها، وكَبِرت معها في سنِّها ووعيها وتديُّنها، ساعةً فساعة ويوماً فيوماً وحَدَثاً فحَدَثاً في الفترة المكية ثم المدنية، فنبتت كشجرة طيبة أصلُها في محضن النبوة وفرعُها في سماء الأخلاق والعبادة، واستحقت بذلك كلِّه تلك البشرى

الربانية التي نزل بها الوحي الأمين ورَدَّدتْها شفتا الصادق المصدوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وللعقل والقلب والخيال الصادق أن يتصور شمائل فاطمة وأخلاقها وعبادتها وهي بنت رسول الله ﷺ؛ وخُلقها مثل خلقه وهَدْيها مثلُ هديه ودَلُّها مثل دَلّه وسَمْتُها مثلُ سَمْته! فرسول الله ﷺ خلاصة الاصطفاء من البشر، ومُصَاصة الخير في أنبل الناس، ومنبعُ الكمال الأعظم في دوحة الإنسانية، وابنتُه الزهراء قبس من ذاكم الهدي الفريد الرفيع.

كانت رضي الله عنها وأرضاها صابرة ديِّنة خيِّرةً صَيِّنةً قانعةً شاكرة لله، زاهدة عابدة صادقة تلَّاءة لكتاب الله، جريئة النفس جليلة القدر، نبيلةَ الخصال كريمة الفِعال، مضربَ الأمثال للبنت البارة والأم الرؤوم والزوجة الوفية والمربية العظيمة والسيدة الجليلة التي جمعت خصال الخير ومكارم الأخلاق وجلائل الأعمال.

وصَدَق شاعرُ الإسلام محمد إقبال حيث يقول في شمائل الزهراء وأخلاقها وعبادتها:

هي أسوةٌ للأمهات وقدوةٌ — يترسَّم القمرُ المنيرُ خُطاها
لمَّا شكا المحتاجُ خَلْفَ رحابها — رقَّتْ لتلك النفس في شكواها

أعطَتْه ما ادَّخَروا لِفِطْرِ صيامهم[١] يا سُحْبُ أين نَدَاكِ من جَدْواها
نورٌ تَهابُ النــارُ قُدْسَ جلالِه ومُنَى الكواكبِ أن تنالَ ضِياها
جَعلَتْ من الصبرِ الجميل غذاءَها ورأَتْ رِضا الزوجِ الكريمِ رضاها

❁ ❁ ❁

فَمُهــا يرتِّل آيَ ربِّــكَ بينما يدُها تُدير على الشَّعير رَحاهَا
بلَّتْ وســادَتَها لآلــي دمعِها من طولِ خشيتِها ومن تقواها
جبريلُ نحوَ العرش يرفَعُ دمعَها كالطَّلِّ يروي في الجِنان رُباها
لولا وقوفي عند شرعِ المصطفى وحدودِ شِــرْعتِه ونحنُ فِداها
لمَضَيتُ للتطوافِ حول ضَريحها وغمرتُ بالقُبلاتِ طِيبَ ثَراها[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) ورد هذا الشطر في القصيدة: (جادت لتنقذه برهن خمارها)، وغيَّره كما أثبتنــاه الدكتور الفاضل فاروق حمــادة، ليكون متفقاً مــع ما ورد في الخبر. انظر كتابه: الدوحة النبوية، ص ٦٣.

(٢) ديوان محمد إقبــال الأعمــال الكاملة، لســيد عبدالماجــد الغوري: ١/٢٣٥؛ وإقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان، بقلم حميد مجيد هدّو، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

الفصل الأول

شمائلها وأخلاقها

أولاً: حياؤها وعفتها وصيانتها نفسَها:

من أجمل ما تتحلى به المرأة المسلمة الحياءُ والعفافُ وصيانةُ النفسِ والسمعةِ عن الدنايا والشبهات وسفاسف الأمور وما يَخدِش السيرة ويستجلِب كلام الناس ويَلفت عيون المجتمع على ما لا يليق... وقد حققت النساء المسلمات في عصر الرسالة وعهد الخلافة الراشدة أرفَعَ وأنبلَ ما تصبو إليه الإنسانية في الطهر والعفاف والحياء، وفي أعلى تاج هؤلاء بناتُ سيدنا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين اللائي زكاهن الله سبحانه في محكم آيات الكتاب العزيز.

جاء في قصة زواج فاطمة من حديث أسماء بنت عُمَيْس: أن النبي ﷺ دخل بيت صهره عليٍّ ونَضَح عليه الماء ودعا له، (ثم دعا فاطمةَ، فقامت إليه تعثَر في مِرْطها من الحياء)[1].

وعندما أَجْهَدَتْها الأعمالُ الكثيرة، وجاء سَبْيٌ إلى رسول الله ﷺ، رَجَّاها عليٌّ أن تنال من ذلك خادماً تُعينها،

---

(١) تقدم مطولاً: ص ١٠٤ ـ ١٠٥، حاشية (١)، في هذا الكتاب.

وحَضَّها على أن تذهب إلى أبيها ﷺ لعلهـا تظفر بما يُخفِّف عنها من أعبائها... فتشـجَّعَتْ للأمر، لكنها ما إنْ دخلت بيت النبوة حتى عَقد الحياءُ لسانَها وأَحجمَتْ عن مرادها مع جرأة نفسـها ودالَّتِها عند النبي الأب الرحيم ﷺ، وعادت إلى بيتها دون أن تُفصح عما تعاني منه!.

جاء في حديث طويل أوردناه بتمامـه: (قال عليٌّ لفاطمةَ ذات يوم: واللهِ لقد سَـنَوْتُ حتى لقد اشـتكيتُ صدري، وقد جاء الله أباكِ بسَبْيٍ، فاذهبي فاسـتخدميه. فقالت: وأنا والله قد طحنتُ حتى مَجَلـتْ يدايَ! فأتت النبـي ﷺ، فقال: «**ما جاء بكِ أي بُنَيَّةُ؟**» قالت: جئتُ لأسلِّم عليك، واستحيَتْ أن تسأله ورجَعَتْ. فقال: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أن أسألَه!)[1].

وبَلَغ من حيائها وصيانة نفسـها أنهـا أرادت المبالغة في السَّتر وهي (ميتة موسَّدة في نعشـها)، وأن تُميَّز عن الرجال، فكلَّمت السـيدةَ الجليلة أسـماء بنت عُميـس، فوصفت لها ما رأته بالحبشـة، فأعجب فاطمة ذلك، وأَوصَتْ أسـماء بأن تفعله بها، فحُملت فاطمة إلى قبرها وقد غُطي النعش بسـترٍ؛ فكانت أولَ من غُطِّي نعشها في الإسلام[2].

(١) مسند أحمد (٨٣٨)، وانظر ما تقدم: ص ١٢٤ ـ ١٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) الاستيعاب: ٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧؛ وسـيأتي الخبر بتمامه: ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ في هذا الكتاب.

ثانياً: زهدها وتقشفها:

وكان زهد فاطمة وخشونة عيشها على سَنَن أبيها ﷺ؛ زهدَ الأشراف النبلاء الذين لا يأبهون بزخارف الدنيا مع اقتدارهم عليها.

وقد ذكرنا أمثلة كثيرة وكلاماً طويلاً عن ذلك في الفصل السابق، وأجملُ ما يلخِّص هذا الجانب المشرق من كريم شمائل الزهراء هو يُسْرُ مهرِها الذي بلغ نحو (٥٠٠ درهم)، ووليمةُ عرسها التي شارك في إعدادها الأنصار وغيرهم، وجَهاز بيتها وأثاثه الذي احتوى على: فراش حشوه ليف الإِذْخِر، ووسادة من جلد حشوها ليف أيضاً، وقَطِيفة ذات خَمْل، وجلد كبش وحصير ومنشفة ومنخل ورحيَيْن وسِقاء وجرَّتين وقدح وعطر وطيب، وكانت فاطمة مع زوجها يفترشان نصف تلك القطيفة ويلتحفان بالنصف الآخر، في بيت مكوَّن من حجرة واحدة مساحتها ثلاثة أمتار في مثلها، وفُرشت أرضها بالرمل الناعم!.

وكانت مع زوجها وأولادها يأكلون الطعام الجَشْب، وربما عاشوا على قليل من التمر، وأحياناً لا يجدونه فيسعى عليٌّ ليعمل ويوفر للأسرة الكريمة ما يسدُّ الرَّمَق، حتى إنه وجد يوماً (ديناراً لُقَطَة) ففرح واشترى به دقيقاً ودخل على

الزهــراء، فعجنــت وخبــزت وأكلــوا جميعــاً وأكل معهــم رسول الله ﷺ.

ولمَّا تزيَّنت فاطمة بسلسلة ذهبية أهداها لها زوجها، ورآها النبي ﷺ، فغضب لذلــك وأمرها أن تبيعها وتُنفِــق ثَمَنها على بعض محاويج المدينة.

وتراها تفعل كل مــا يرغب به النبي ﷺ مــن أعمال الخير ولزوم مســالك الزاهدين، فعندما رأى سِتْراً على بابها لم يدخل بيتها، فارتاعَتْ لذلك وأخبرت زوجهــا، فذهب إلى النبي ﷺ، فأمرها أن ترسل به إلى أهل بيت محتاجين.

ثالثاً: صدق حديثها وتواضعها:

تــروي إحدى أمهــات المؤمنين الطاهــرات، وكانت من أقربهن إلــى فاطمة في سِــنِّها وبيتهــا ومعاشــها، تلكم هي الصدِّيقة عائشــة ﵂، فتقول: (ما رأيتُ أحــداً قَطُّ أصدقَ من فاطمةَ إلا أن يكون الذي وَلَدَها ﷺ)[1].

وحسبك بهذا الوصف جلالة.

ومن أصدق آيات تواضعهــا ﵂ ما كانت تقوم به من أعمال في بيتها؛ حيث تَكْنُسه حتى تغبّر ثيابَها، وتستقي الماء لأسرتها،

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٧٠٠)؛ والحاكم: ١٦٠/٣ ـ ١٦١ وصححه، ووافقه الذهبي.

وتطحن بالرحى، وليس لها خادم؛ وهي بنت رسول الله ﷺ وسَليلة الشرف وأم الأشراف النبلاء، ولقد أثنى عليها في ذلك زوجها فقال: (إنها جَرَّتْ بالرحى حتى أثَّر في يدها، واستَقَتْ بالقِربة حتى أثَّر في نحرها، وكَنَست البيت حتى اغبَرَّت ثيابُها)[١].

إنها أخلاق النبوة كما قالت عائشة وغيرها: (ما رأيتُ أحداً كان أشْبَهَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلّاً برسول الله ﷺ من فاطمة)[٢].

رابعاً: حفظها السر:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كُنَّ أزواجُ النبي ﷺ عندَه، لم يُغادر منهنَّ واحدةٌ، فأَقبلَتْ فاطمةُ تمشي ما تُخْطِئ مِشيَتُها من مِشْيةِ رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رَحَّبَ بها فقال: «مَرْحباً بابنتي»، ثم أَجْلَسها عن يمينه ـ أو: عن شماله ـ ثم سارَّهَا فبَكَتْ بكاءً شديداً، فلما رأى جَزَعَها سارَّها الثانيةَ فضَحِكَتْ! فقلتُ لها: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ من بينِ نسائه بالسِّرَارِ ثم أنتِ تبكينَ؟! فلما قام رسول الله ﷺ سألتُها: ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: ما كنتُ أُفْشِي على رسول الله ﷺ

---

(١) سنن أبي داود (٢٩٨٨)؛ وقد مرَّ مطولاً بتمامه: ص ١٢٤ ـ ١٢٥ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١٧)؛ وانظر ما تقدم: ص ٤١، حاشية (٢)، في هذا الكتاب.

سِرَّه! قالت: فلما توفِّي رسولُ الله ﷺ قلتُ: عَزَمتُ عليكِ بما لي عليكِ من الحق لَمَا حدَّثْتِنِي ما قال لكِ رسول الله ﷺ؟ فقالت: أمّا الآن فنعم؛ أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني «**أنَّ جبريلَ كان يُعارِضُه القرآنَ في كل سنة مرةً، وإنه عارَضَهُ الآن مرتين، وإني لا أُرَى الأَجَلَ إلا قد اقترب فاتقي الله واصْبِرِي، فإنه نعمَ السَّلَفُ أنا لكِ**»، قالت: فبَكَيْتُ بكائي الذي رأيتِ. فلما رأى جَزَعي سارَّني الثانيةَ فقال: «**يا فاطمةُ، أمَا ترضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين، أو: سيدةَ نساءِ هذه الأمة؟**» قالت: فضَحِكْتُ ضَحِكي الذي رأيتِ)[1].

وحفظُ السرِّ خَصْلَة جليلة جميلة وبخاصة في المرأة؛ لِتصونَ خصوصيات بيتها وأسرار زوجها، والزهراءُ تطوي جوانحها في هذا الموقف على سرِّ النبي ﷺ عن أقرب الناس إليه وهن زوجاته الطاهرات، وقد تعلَّمتْ هذه الصفة في بيت النبوة وخاصة في أيام الفترة المكية حيث الاستسرار بالدعوة. ونراها تُفصح عن ذاك السرِّ بعد وفاة النبي ﷺ لزوال ما قد يُحذر منه، ولأنه من باب نشر العلم وعدم كتمانه.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)؛ ومسلم (٢٤٥٠)؛ والترمذي (٤٢١٠)؛ والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٣٩٦٠)؛ وأحمد (٢٤٤٨٣) و(٢٦٤١٣)، وغيرهم.

خامساً: صبرها الجميل:

ومن أنبل الأخـلاق وأكرم الشـمائل التـي تربَّت عليها السيدة فاطمة: الصبرُ الجميل بكل أصنافه ودرجاته، فقد رأَتْ فـي أبيها ﷺ أصـدقَ أنموذج يخطـر ببال بشـرٍ يتمثل أرفع درجات الصبـر والمصابرة وتحمُّلِ المشـاق ولأواء الحياة... فسمعتِ القرآن يشـيد بالصبر ويثني على الصابرين ويبشرهم بثواب عظيـم بغير حسـاب! ورَطبَتْ سـمعَها كلماتُ الأب الرحيم الصبور وهو يقول: «**أَشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأَمثَلُ فالأمثل، يُبتلى الناسُ على قَدْر دِينهم؛ فمن ثَخُنَ دينُه اشـتدَّ بلاؤه، ومن ضَعُفَ دينُه ضَعُف بلاؤه، وإنَّ الرجلَ لَيُصيبُه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**»[1]!.

فاقتفت أَثره ﷺ فكانـت من أطيب ثمار النبـوة والتربية الصالحـة المتفردة في الصبـر وكلِّ خصال الخيـر والفضل، وتحمُّل فَدَائح الابتلاء وثِقْل المصائب التي نزلت بها وبأبويها وأهلها والمقربيـن إليها؛ فلم تَنَل الملمـات من صبرها، ولا خَدَشـت المشـقات عزيمتها، ولا نالت الأحداث الجسام من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٦١)؛ وابن ماجه (٤٠٢٣)؛ والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)؛ وأحمد (١٤٨١)، وغيرهم، وقال الترمذي: حسـن صحيح، وصححه أحمد شاكر والألباني.

إيمانها ويقينها وثباتِها شـيئاً، فكانت الأنموذج الأمثل للبنت والأخت والزوجة والأم رضي الله عنها وأرضاها.

- **لقد صبرت على الأذى العنيف الحقود الكفور الذي وقع على أبيها الرسول الأعظم ﷺ** وهي تراه يدعو الناس للتوحيد ونبذِ الشـرك، فيُقابَل بالعناد والصدِّ والردِّ والسـخرية والهَمْز واللَّمز من دهاقنة الشـرك وسَفِلة القوم! وشـهدتْهم وقد أَلْقَوا على ظهره (سَلَى الجَزُور) وهو في صلاته ساجد صابر يرجو لهم الهداية، فواجَهَتْهم بالتوبيخ والتأنيب والسبِّ والشتم، ثم أزالَتِ الأذى عنه ﷺ.

- **ودخلَـتْ مع أبيها وأمهـا وأهلها في حصـار آثم ظالم ضربَتْه عليهم قريش ثلاث سنين،** فخرجتْ منه مع أبويها أشدَّ مضاءً وأقوى عزيمـة، كالذهب لا تزيده فتنة النـار إلا صفاءً ونقاءً ولمعاناً لطيبِ معدنه.

- **وصبرت على قسـوة الفِـراق وقد هاجـر النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر إلـى المدينة، وتركها مع أخواتها تحت وطأة المجابهة القاسـية من عُتاة قريش،** ومضت في طريقها صابرة محتسبة في هجرتها إلى المدينة، حيث بعث رسول الله ﷺ من يحملهن إليه، في سـفر شـاق طويل يقـارب (٥٠٠ كم)! ولم يكفِ ذلـك بل تعرَّض لهـن بعضُ أنذال المشـركين فنَخَس

بالزهراء وأختها الجمل، فسقطتا على جلامد الأرض، وهو عمل بائس خسيس، ولم يُمهِلْه القدر طويلاً حتى نزل بهذا الوغد ما يستحقه من عقوبة فأهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فقُتل فيها بعد ثماني سنين!.

ـ ومن صنوف الابتلاء التي نزلت بالسيدة البتول: وفاةُ الأحبة، وهو أمرٌ جَلَل يُضني القلب ويشتِّت العقل؛ فلقد فَقدتْ أمَّها ويَا لَها من أمّ رؤوم، ثم فَقدت أخواتها الحبيبات واحدة بعد الأخرى: رقية وأم كلثوم وزينب، كما فَقدت إخوتها الثلاثة: القاسم وعبد الله وإبراهيم! وقد عبَّر النبي ﷺ عن بعض أحزانه فقال عندما مات ابنه إبراهيم: «**إنَّ العينَ تدمعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقول إلا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنّا بفِراقك يا إبراهيمُ لمَحزونون**»[1].

ـ وقد توالت عليها المصائب وتكاثرت الأحزان، فتجلَّدت للأحداث الحازبة وصبرت عليها وصابرتْها، وزادها ألماً ولوعة حزنُ أبيها ﷺ على فلذات كبده وهو يفقدهم ثم يدفنهم واحداً بعد الآخر، فما زادها ذلك إلا تجمُّلاً بالصبر احتساباً للأجر واقتداءً بالمربي الأعظم سيد الصابرين ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)؛ وغيره؛ وقد تقدم بتمامه: ص ٥٢ في هذا الكتاب.

ـ ونزل بها لون آخر من الابتــلاء والمِحَن، فها هي ذِه ترى أباها ﷺ يواجه قريشــاً في «غزوة أُحُــد»، فيتكالب عليه بعض المجرمين يريدون نفسَه الشــريفة، حتى نالوا منه شيئاً من الأذى فسقط في الحفرة وكُسرت رَبَاعِيَتُه ودَمِيت وَجْنَتاه، فما كان أغيظَ لقلبها من موقــف كهذا! وأقبلت عليه تمســح عنه الدم وتداوي جراحه الطاهرة، وقلبُهــا الصبور يعتصر كَمَداً وهي تســمعه ﷺ يقول: «**كيف يُفلِحُ قومٌ فَعلوا هــذا بنبيِّهم ﷺ وهو يَدعُوهم إلى ربِّهم؟!**» فتأتيهــا الطمأنينة وقد نزل على قلبه ﷺ: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٨](١).

ـ ولم تكن حياتها ومعاشها أقلَّ ابتلاءً أو أخفَّ محنةً، **فلقد صبرت طويلاً على شَظَف العيش وخشونة الحياة وقسوة الأعمال وكثرة الأعباء،** حتى أضنى ذلك جسمها، وتقرَّحت يداها وآلَمَها نحرُهــا؛ فما تبرَّمــت ولا تضجَّرت ولا نَدَّ من لســانها ما يزعج زوجها أو يُقلق الأب أو يُغضب الرب، بل كانت في غاية الرضا عن الله ورسوله، وحسن التبعُّل للزوج والحنوِّ على الأولاد.

ـ بَيْــدَ أن المحنة الكبــرى التي أثقلــت كاهلَها وهاضَتْ جناحها وفطَّرت قلبهــا؛ أنها فَقَدت ما تبقى لها من أهلها وأعز

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١)؛ والنســائي في «الكبرى» (١١٠١١)؛ والترمذي (٣٢٤٧، ٣٢٤٨)؛ وأحمــد (١١٩٥٦)، وغيرهــم. وانظــر مــا تقــدم: ص ٧٧ ـ ٧٩ في هذا الكتاب.

أحبابها، حيث استجاب أبوها الحبيب ﷺ لنداء ربه وغادر هذه الحياة الفانية ولَحِق بالرفيق الأعلى، وسمعت الزهراء الكلمة الفاجعة: مات رسول الله ﷺ!.

وقد كان ﷺ أخبرها أن أجَلَه قد اقترب فارتاعت لذلك وبكت بين يديه، لكن عندما جاءت سكرة الموت ووقعت كلمة الحق؛ نزل بقلبها الرقيق ما فوق طاقة البشر، فمن يصبر على فراق رسول الله ﷺ؟! إنهم أولئك الأخيار من خُلَّص عباد الله ومُصَاصة الصابرين، والزهراء واحدة من ذاك الطراز الفذ!.

يروي خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه طرفاً من المشهد المروِّع فيقول: (لمَّا تغشَّى رسولَ الله ﷺ الكَرْبُ، كان رأسُه في حَجْر فاطمة، فقالت فاطمة: وَا كَرْبَاهُ لِكَرْبِكَ اليومَ يا أبتاهُ! فرفع رأسَه ﷺ وقال: «**لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليوم يا فاطمةُ**». فلما توفي، قالت فاطمة: وَا أبَتَاه أجابَ ربّاً دعاهُ، وَا أبتاهُ من ربِّه ما أَدْناهُ، وا أبتاهُ إلى جنة الفِردوس مأواهُ، وا أبتاهُ إلى جبريلَ أَنْعَاهُ. قال أنس: فلما دفنَّاهُ، مررتُ بمنزل فاطمة، فقالت: يا أنسُ! أطابَتْ أنفسُكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ الترابَ؟!)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢)؛ وابن ماجه (١٦٣٠)؛ وأحمد (١٣٠٣١) و(١٣١١٧)؛ وابن حبان (٦٦٢٢) واللفظ له. وسيأتي ذلك مفصلاً: ص ٢٩١ ـ ٢٩٥، في هذا الكتاب.

سادساً: جرأتها وقوة نفسها:

ومن الشمائل الجليلة والخصال الأصيلة التي تأصَّلَتْ في فطرة فاطمة وظَهرَتْ في مواقفها وأعمالها: شجاعتُها وجرأتُها وقوة نفسها أمام الأحداث القاسية والمشــاهد الصعبة، ويعبِّر عن ذلك موقفُها الجريء وهي تجابه عُتــاة قريش الذين آذَوا النبي ﷺ، وهي لا تزال فتاة غضَّة في مقتبل عمرها.

فعندمــا أجمع نفرٌ من رجال قريش علــى أن يُلقوا (فَرْث الجَزور ودمَها وسَلَاها) على ظهر رســول الله ﷺ وهو ساجد في صلاته، وعلمتْ فاطمة بالخبر؛ أسرعت إليه وألَقت الأذى عنه، وأقبلتْ على أولئك العُتاة تسبُّهم وتشتمهم[1].

❁ ❁ ❁

(١) تقدم الخبر مفصلاً: ص ٦٦ ـ ٦٩ في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

عبادتها وأذكارها ورغبتها بالآخرة

من نافلة القول أن نذكر في سيرة السيدة البتول أنها كانت على هَــدْي أبيها رســول الله ﷺ في عبادته وأذكاره وخشــيته وتعلُّقِ قلبه بالآخرة، وهو ﷺ كان يحب لأمته الخير والمسابقة إلى العبــادة الخالصة والإكثار من النوافــل والأذكار على كل حــال، وغنيٌّ عن البيان أنــه أكثَرُ حرصاً علــى أن يكون أهله مبرزين في هذا الجانب، ليرتقوا أعلى درجات الكمال والفوز بالآخرة، وليكونوا قرَّة عينٍ له، وأيضاً أسوة للأمة جميعاً.

ـ لذا تراه ﷺ شــديد الحــرص على أن تنــال فاطمة مع زوجها قســطاً طيباً من النوافل والطاعات وبخاصة قيام الليل والتهجد مع المستغفرين بالأسحار، ويشــهد لذلك ما قدمناه من حديث عليٍّ قال: (دخل علَيَّ رســول الله ﷺ وعلى فاطمةَ من الليل، فأيْقَظَنا للصلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصلَّى هَوِيّاً من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسّــاً، قال: فرجع إلينا فأيقظنا وقال: **قُوما فَصَلّيا**)[1].

---

(١) مسند أحمد (٧٠٥)؛ وانظر ما تقدم: ص ١٣١ حاشية (١) في هذا الكتاب.

ـ ولما جاءته فاطمة تسأله أن يعطيها خادماً تُعينها على أعباء الحياة وشـؤون البيـت والأولاد، ردَّها ردّاً جميلاً وأبدلها ما هـو خير لها، وعلَّمها جملة مـن الأذكار الطيبة والأدعية الجليلـة، فقال لها ولزوجها علـيٍّ: «**أَلَا أُخبركما بخيرٍ مما سألتُماني؟**» قالا: بلى، فقال: «**كلماتٌ علَّمَنِيهنَّ جبريل عليه السلام، فقال: تسـبِّحانِ في دُبـر كل صلاة عشراً، وتَحْمَدان عشـراً، وتُكبِّران عشـراً. وإذا أويتُما إلى فِراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحْمَدَا ثلاثاً وثلاثين، وكَبِّرا أربعـاً وثلاثيـن**». قال: فـوالله ما تركتُهـنَّ منـذ علَّمَنِيهنَّ رسـولُ الله ﷺ، قال: فقال له ابن الكَوَّاء: ولا ليلةَ صِفيِّن؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلةَ صِفِّين!)[(١)].

ولا شك أن الزهراء ﵂ قد لازمت تلك الأذكار حياتَها عمـلاً بوصية أبيهـا ﷺ وطمعـاً فيما عنـد الله من الأجر العظيم.

ـ وعلَّمها ﷺ أيضاً أذكاراً أخـرى، فقال لها: «**قولي: اللَّهمَّ ربَّ السـماوات السـبْعِ وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كل شـيء، مُنزِلَ التوراةِ والإنجيـلِ والقرآنِ العظيـم؛ أنت الأولُ فليس قبلكَ شـيء، وأنـت الآخِرُ فليس بعدك شـيء، وأنت**

---

(١) مسند أحمد (٨٣٨)؛ وتقدم الخبر بتمامه: ص ١٢٤ ـ ١٢٥ في هذا الكتاب.

الظاهِرُ فليس فوقك شـــيء، وأنت الباطِنُ فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدَّيْنَ وأَغْنِنا من الفقر»[١].

ـ وقــد كانت فاطمــة رضي الله عنها مُقبِلة على ربهــا راغبة في الآخرة وبما أعدَّه الله سبحانه لعباده الصالحين، وظهر ذلك منها في مناســبات كثيــرة ومواقف جليلة مــع توجيهات أبيها ﷺ، وتراهــا لمَّاحة الــذكاء حَديدة الفهــم لِما تراه منه ﷺ وهو يُعرِض عن هذا الفعل أو يكره ذاك الأمر...

ومن الأمثلة على هــذا عندما جاء ﷺ بيتَهــا فوجد على الباب سِــتْراً فرجع، فارتاعت لذلك وأرسلت زوجها ليستبطنَ الســبب، وما إنْ علمَتْ به حتى أَرسلت بذاك السِّتر إلى أناس يحتاجونه.

وهكذا فعلت عندما كره ﷺ لها أن تلبس السلسلة الذهبية ـ مع كون ذلــك مباحــاً ـ فخلَعَتْها من جِيدهــا وتصدقــت بثَمَنِها على المحتاجين؛ طاعة للنبي ﷺ ورغبة بالأجر والثواب عند الله تعالى[٢].

❁ ❁ ❁

(١) ســنن ابن ماجه (٣٨٣١)؛ وانظر ما كتبنــاه: ص ١٢٨ ـ ١٢٩ في هذا الكتاب.

(٢) تقدم تفصيل ذلك: ص ١٣٤ ـ ١٣٨ في هذا الكتاب.

الباب الخامس

عِلمُ فاطمةَ، ومصحفُها ولوحُها المزعومانِ

- علمها.
- مصحفُ فاطمة ولوحُها.

• • •

الفصل الأول

علمها

تلقت السـيدة فاطمة القرآن غضّاً طريّاً من فم أبيها ﷺ، وأخذت عنه السـنن الشريفة، ولا شـك أنها حملت من ذلك علماً جمّاً وإنْ لم تروِ لها كتب السُّـنَّة إلا النَّزْر اليسير، بسبب تقدمِ وفاتها وعدمِ تصدرها لنشـر العلم، بخلاف ما جرى لأم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة وغيرهما ممن روي عنه الكثير.

وتجلى فقهها في مواقفها في الفترتيـن المكيّة والمدنيّة، ورعايتهـا لحقِّ أبيهـا ﷺ وقيامها بواجبـات الزوجية ورعاية الأولاد وتربيتهم.

وقـد ذكرها ابن حـزم في رسـالته «أصحـاب الفتيا من الصحابة ومَنْ بعدهم»: فـي طبقة المُقلِّيـن الذين أُخذ عنهم الفقه من الصحابة.

وذكرها أيضاً في رسـالته الأخرى «أسماء الصحابة الرواة وما لكلِّ واحد من العدد»، وجعلها في قسم (أصحاب الثمانية

عشـــر)، أي أنها روت (١٨) حديثـــاً. منها حديـــث واحد في «الصحيحيـــن» هو إخبارهـــا بموت النبي ﷺ وأنهـــا أول أهله لحوقاً به.

روت عن النبي ﷺ.

وروى عنهـــا: زوجها علي بن أبي طالب، وابنها الحُســـين بن علي، وأنس بن مالك، وسَلْمى أم رافع زوج أبي رافع، وعائشة أم المؤمنين، وأم سلمة زوج النبي ﷺ، وحافِدتُها فاطمة الصغرى بنت الحُسين بن علي مرسلاً.

وحديثها في الكتب الستة.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

مصحف فاطمة ولوحها

ما كنت أرغب بكتابة هذا المبحث في كتابي عن البضعة النبوية السيدة المبجَّلة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، لولا أن (الكتب المعتمدة عند الإمامية الاثني عشرية) تنصُّ صراحةً لا مواربةَ فيها عن (وجود هذا المصحف بين أيديهم)، **هذا أمرٌ.**

وأمرٌ آخَرُ هو اغترارُ الدَّهْماء بمثل (هذا المصحف) والزعمُ بأن حجمه ثلاثة أمثال (المصحف الشريف) الذي تواتر بين أيدي مليارات المسلمين مشافهةً وتدويناً (في الصدور وفي السطور) منذ عهد الخليفة الراشدي العظيم عثمان بن عفان وإلى يومنا هذا.

وأمرٌ ثالث لا يَقِلّ عن سابقَيْه أهمية وخطورة وهو قوة شوكة الرفض في هذه السنين العِجَاف!.

هذا وعموم الإمامية ـ والإماميةُ تمثِّل عُظْم الشيعة في هذا العصر، وقد طغى عليها طابع الرفض ـ تَبَعٌ لجمهور علمائهم،

منذ (عصر التأسيس) وإلى عصرنا، الذين يقولون (بتحريف القرآن الكريم)، وضَمَّنوا ذلك في كتبهم المعتمدة، وصنَّف آخرون منهم كتباً مستقلة تجمع أطراف ما تفرّق من (روايات تحريف القرآن)، والتي زادت (حسب علمهم!) على ألفَيْ رواية!.

لمثلِ هذه الأمور، ولتقديم (زاد مختصر) يُضيء جوانبَ هذه (الزَّنْدَقة) ويكشف عُوارَها؛ أكتب هذه الأسطر القليلة في هذا الكتاب.

أولاً: مصحف فاطمة:

يُعتبر الكُلِيني أحدَ أهم أئمة الشيعة الاثني عشرية الذين يرجعون إليه ويعتمدون قوله ومروياته، وكتابه (الكافي) أصح كتاب من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرواية عندهم، ومنزلته عندهم بمنزلة (صحيح البخاري) عند أهل السُّنَّة، ومما قالوا فيه:

(هو أَجلُّ الكتب الأربعة الأصول المعتمد عليها، لم يُكتب مثله في المنقول من آل الرسول، لثقةِ الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلِيني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨هـ)(١).

و(هو أَجَلُّ الكتب الإسلامية وأعظمُ المصنفات الإمامية،

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآغا بزرك الطهراني: ٢٤٥/١٧.

والذي لم يُعمل للإمامية مثلُه، قال المولى محمد أمين الأَسْتَرابَاذي في محكي فوائده: سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنه لم يُصنَّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يُدانيه)[١].

وذكر الخوانساري أن المحدّث النيسابوري قال في (الكافي) بعد أن أثنى على مؤلِّفه الكُلِيني: (وكتابه ـ الكافي ـ مستغنٍ عن الإطراء، لأنه رضي الله كان بمحضرٍ من نوابه عليه السلام[٢]، وقد سأله بعضُ الشيعة من النائية تأليفَ كتاب «الكافي» لكونه بحضرة مَن يُفاوِضه ويُذاكره ممَّن يثق بعلمه، فألَّفَ وصَنَّف وشَنَّف. وحُكي أنه عرض عليه[٣] فقال: كافٍ لشيعتِنا)[٤].

فالكافي عند شيوخ الرافضة في أعلى درجات الصحة، لأن مصنفه الكُلِيني كان معاصراً للسفراء الأربعة الذين يدَّعون الصلةَ بمهديِّهم الغائب المنتظر، ولهذا كان التحقيق من صحة مدوناته أمراً ميسوراً له لأنه يعيش معهم في بلد واحد هو بغداد[٥].

---

(١) الكنى والألقاب، للعباس القمي: ٩٨/٣؛ مستدرك الوسائل، للطبرسي: ٥٣٢/٣.
(٢) يعني: الإمام الثاني عشر الغائب المزعوم!.
(٣) أي: على الإمام.
(٤) روضات الجنات، للخوانساري: ١١٦/٦. وانظر: الشيعة والقرآن، ص ٢٨ ـ ٢٩.
(٥) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني ـ المقدمة السادسة، ص ٥٢؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢٦٢/١.

وقد أَطَلنا التعريفَ بهــذا الكتاب لنعلمَ قيمة الأخبار التي جاءت فيه عند الرافضة واعتمادهم لها.

١ ـ تقول إحدى روايات الكافي عن «مصحف فاطمة»:

(عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: تظهرُ الزَّنادقة في ســنة ثمان وعشرين ومئة، وذلك أنِّي نظــرتُ فــي مُصْحَــف فاطمــة عليها الســلام، قــال: قلتُ: وما مصحفُ فاطمةَ؟ قــال: إن الله تعالى لمَّا قبض نبيَّه ﷺ، دَخل على فاطمةَ من وفاته من الحُزْن ما لا يَعلمُه إلا الله ﷻ، فأَرسَلَ الله إليها مَلَكاً يُســلِّي غمَّها ويحدِّثُها، فشَكَتْ ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام[1] فقال: إذا أحسستِ بذلكِ وسمعتِ الصوت قولي لي، فأَعلَمَتْــه بذلك، فجعلَ أمير المؤمنين عليه السلام يكتُب كلَّ ما سمع، حتى أَثْبَتَ من ذلك مُصحفاً. قال: ثم قال: أمَا إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكنْ فيه علمُ ما يكون)[2].

فتفيــد هذه الرواية بــأن الغرض من هــذا المصحف أمرٌ يخُــصُّ فاطمــة وحدَها؛ وهــو تســليتُها وتعزيتُها بعــد وفاة

(١) هو علي بن أبي طالب.

(٢) أصــول الكافي: ١/١٣٧، الحديــث (٢)؛ وهو في: بصائــر الدرجات، ص ١٩١ ـ ١٩٢؛ وبحار الأنوار: ٤٤/٢٦.

أبيهـا ﷺ، وأن موضوعَه: (علمُ ما يكـون)! وما ندري كيف تكون تعزيتها بإخبارها بما يكون؛ وفيه ـ على ما تنقله الشيعة ـ قتلُ أبنائها وأحفادها، وملاحقة المحن لأهل البيت؟!.

ثم كيف تُعطـى فاطمة (علمَ ما يكـون) و(علمَ الغيب)، وفـي الكتـاب العزيز قولـه تعالـى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فهل هـي أفضل من رسول الله ﷺ؟!(١).

ويقولـون: إن مصحفهم هـذا ثلاثة أضعـاف القرآن؛ ففي (الكافي) و(بصائر الدرجات) حديث طويل في ذِكْر العلم الذي أودعه رسول الله ﷺ عند أئمة الشيعة ـ علي بن أبي طالب فمن بعده ـ كما يزعمـون، عن أبي بَصير، عن جعفـر الصادق أبي عبدالله عليه السـلام قال: (وإنَّ عندنا لَمُصْحَـفَ فاطمة عليها السـلام، وما يُدريهم مـا مصحفُ فاطمة! قـال ـ أبو بصير ـ: قلتُ: وما مصحفُ فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحفٌ فيه مِثْلُ قرآنِكم هذا ثلاثَ مراتٍ، والله مـا فيه من قرآنِكم حرفٌ واحدٌ، إنما هو شيء أَمْلَاهُ الله عليها وأوحى إليها!)(٢).

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) أصول الكافـي: ١/١٣٦ «باب فيه ذكـر الصحيفة والجَفْـر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام»؛ بصائر الدرجات، ص ١٨٦، والجملة الأخيرة من النص زيادة منه.

وقد روى الكليني عن هـذا المصحف (آيات) أو زيادات كثيرة، وروى غيره أيضاً؛ عن أبي بَصير، عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (بينا رسولُ الله ﷺ ذات يوم جالس، إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ...) إلى أن قال جعفر الصادق: (ثم أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلكَافِرِينَ بولاية عليٍّ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللهِ ذي الْمَعَارِجِ». قال: قلتُ: جُعِلْتُ فِداكَ، إنّا لا نقرؤها هكذا! فقال: هكذا والله نزل بها جبرائيل على محمد ﷺ، وهكذا هو والله مُثْبَتٌ في مصحف فاطمة عليها السلام)[1].

٢ ـ وفي كتاب (دلائل الإمامة) لمحمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي[2]، وهو من الكتب المعتمدة عند الإمامية[3]:

ـ روايات تصف (مصحف فاطمة) بأن فيه: (خبر ما كان

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٥١، باب فيه نُكَت ونُتَف من التنزيل في الولاية؛ الوافي، للفيض الكاشاني: ٣/٩٣٢ ـ ٩٣٣، حديث (١٦٢١)؛ دلائل الإمامة، لمحمد بن جرير بن رستم الطبري، ص ٢٩.

(٢) هو غير الإمام المجتهد المفسر المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ).

(٣) قال المجلسي فيه: من الكتب المعتبرة المشهورة، أخذ منه جملة من تأخر عنه كالسيد ابن طاووس وغيره، ومؤلفه من ثقات رواتنا الإمامية. بحار الأنوار: ١/٣٩ ـ ٤٠.

وما يكون إلى يوم القيامة. وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك. وعدد كل مَن خلق الله مرسَلاً وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء من أُرسل إليهم، وأسماء من كذَّب ومن أجاب. وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة مُلكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك كل واحد واحد... وفيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم. وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء. وفيه علم القرآن كما أُنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور. وعدد كل شجرة ومَدَرَة في جميع البلاد!)[1].

وتبيِّن رواية (دلائل الإمامة) صفة نزول هذا المصحف على خلاف ما جاء في الرواية السالفة عن (الكافي) التي تنص على (أن عليَّ بن أبي طالب كَتب ما سمعه من المَلَك حتى أَثبتَ بذلك مصحفاً)، تقول رواية (الدلائل):

إنه نزل جملة واحدة من السماء بواسطة ثلاثة من الملائكة وهم (جبرائيل وإسرافيل وميكائيل... فهبطوا به وهي قائمة تصلّي،

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٧ ـ ٢٨.

فما زالوا قياماً حتى قعَدتْ، ولمّا فرغَتْ من صلاتها سلَّموا عليها وقالوا: السلام يُقرِئك السلام، ووضعوا المصحف في حَجْرها).

فقالت: لله السـلام ومنه السـلام وإليه السـلام، وعليكم يا رسلَ الله السـلام. ثم عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرؤه حتى أتت على آخره.

(ولقد كانت عليها السـلام مفروضةَ الطاعـة على جميع مَن خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة!)[١].

٣ ـ مصير (مصحف فاطمة) بعد وفاتها:

وتوضح الرواية السابقة أن هذا المصحف انتقل إلى أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، ثم إلى ابنه الحَسـن، ثم إلى الحُسـين، وهكذا إلى بقية الأئمة الاثني عشـر، حتـى وصل إلى الإمام المنتظر عندهم:

(قلـتُ: جُعلت فِـداكَ، فلمن صار ذلـك المصحف بعد مضيِّها؟ قال: دفَعَتْه إلى أميـر المؤمنين، فلما مضَى صار إلى الحسـن، ثم إلى الحسـين، ثم عند أهله حتـى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر...)[٢].

---

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) دلائل الإمامـة، ص ٢٧ ـ ٢٨. وانظر: أصول مذهب الشـيعة الإمامية: ٢/١٩٠ ـ ٢٠٣.

وصاحب الأمر، وصاحب الزمـان، وقائم آل محمد: كلها تعني (إمامهم الغائب) المنتظر المزعوم!.

ثانياً: لوح فاطمة:

وفي الكتب المعتمدة عند الشـيعة الإمامية الاثني عشرية شيء آخر هو (لوح فاطمة)، وهو غير (مصحف فاطمة)؛ ذلك أن مصحفها نزل بعد وفاة رسول الله ﷺ بواسطة المَلَك، وكتبه عليٌّ من فمِ المَلَك وسـلَّمه لفاطمةَ، أو أنـه نزل جملةً واحدةً بواسطة ثلاثة من الملائكة كما قدمنا.

أما (لوح فاطمة) فإنه نزل على رسول الله ﷺ فأهداه لابنته فاطمة، وهذا نص ما جاء في كتبهم:

(عن أبي بَصير، عـن أبي عبد الله عليه السـلام قال: قال أبي[1] لجابر بن عبد الله الأنصـاري: إن لي إليك حاجةً، فمتى

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسـين المعـروف بالباقر، والـد أبي عبد الله جعفر الصادق. وقد ذكر في لوح فاطمة أسماء الأئمة الاثني عشر، وهم:
١ ـ علي بن أبي طالب.
٢ ـ الحسن بن علي.
٣ ـ الحسين بن علي.
٤ ـ علي بن الحسين زين العابدين.
٥ ـ محمد بن علي بن الحسين الباقر. =

يَخِفُّ عليك أن أخلُوَ بك فأسـألَكَ عنها؟ فقـال له جابر: أيَّ الأوقات أحببتَـه. فخَلَا به في بعض الأيام فقـال له: يا جابرُ، أخبِرْنـي عن اللـوح الـذي رأيتَهُ في يـد أمِّي فاطمـة بنتِ رسـول الله، وما أخبرَتْكَ به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوبٌ؟ فقال جابر: أشـهدُ بالله أني دخلـتُ على أمـك فاطمةَ عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ فهنَّيْتُها بولادة الحسين، ورأيتُ في يديها لوحـاً أخضَرَ ظننتُ أنه من زُمـرُّد، ورأيتُ فيه كتاباً أبيضَ شِـبْهَ لون الشـمس، فقلت لهـا: بأبي وأمـي يا بنتَ رسـول الله، ما هذا اللوح؟ فقالـت: هذا لوحٌ أهـداه الله إلى رسـوله ﷺ؛ فيه اسمُ أَبي واسـمُ بَعْلي واسـمُ ابنيَّ واسمُ الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أَبي ليبشِّرَني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمُّك فاطمة عليها السلام فقرأتُه واستنسختُه، فقال له أبي: فهل لك يا جابر أن تَعْرِضه علَيَّ؟ قال: نعم. فمشـى معه

= ٦ ـ جعفر بن محمد بن علي الصادق.
٧ ـ موسى بن جعفر الكاظم.
٨ ـ علي بن موسى الرضا.
٩ ـ محمد بن علي بن موسى الجواد.
١٠ ـ علي بن محمد بن علي الرضا.
١١ ـ الحسن بن علي العسكري.
١٢ ـ محمد بن الحسن وهو الغائب المنتظر.

أبي إلى منــزل جابر، فأخرج صحيفةً مــن رَقٍّ فقال: يا جابرُ، انظُرْ في كتابك لأقرأَ عليك، فنَظَر جابرٌ في نسخته، فقرأَه أَبي فما خالَفَ حرفٌ حرفاً، فقال جابر: فأشهدُ بالله أني هكذا رأيتُه في اللوح مكتوباً: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيِّه ونورِهِ وسفيرِهِ وحجابه ودليله، نزل به الروحُ الأمين من عند رب العالمين، عَظِّمْ يا محمدُ أسمائي واشكُرْ نعمائي ولا تجحدْ آلائي، إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا قاصمُ الجبارين، ومُدِيلُ المظلومين، ودَيَّان الدين...)، ثم ذكر اختيار الله تعالى للأئمة الاثني عشــر الذين تعتقد بهم الإمامية الاثنا عشرية(١).

ثالثاً: وقفة تأمل ونقد:

لن نخــوض في نقد أســانيد ومتــون تلــك النصوص، فأســانيدُها مراســيل منقطعات ومُعْضَلات، وكثير من رجالها

---

(١) أصول الكافــي: ٣١٧/١ ـ ٣١٨، باب ما جاء في الاثني عشــر والنص عليهم؛ الوافي، للفيض الكاشاني، المجلد الأول: ٧٢/٢، أبواب العهود بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله عليهم؛ الاحتجاج، للطبرســي: ٨٤/١ ـ ٨٧؛ إكمــال الدين، لابــن بابويه القمــي، ص ٣٠١ ـ ٣٠٤؛ الاستنصار، للكراجكي، ص ١٨. وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٢٠٣/٢ ـ ٢١١.

موضـــع ضَعْف أو جهالـــة أو تُهمـــة، ومتونها تناقِـــض عقائدَ الإسلام وكلياته ومبادئه وأصولَه وفروعه... ولكننا نقف وقفات فاحصة أمام حقائق واضحة:

١ ـ أرســـل الله ســـبحانه محمداً ﷺ رســـولاً للناس كافة، وجعله خاتمَ رســـله، ونزَّل عليه القرآن الكريـــم وجعله خاتمَ الكتب الســـماوية والشـــاهدَ عليها والمبيـــن تحريفها؛ فكيفَ يخصُّ الله تعالى فاطمـــة ـ أو غيرها ـ فينـــزل عليها الملائكة بمصحف هو (ثلاثـــة أضعاف) القـــرآن الكريـــم؟ وأين علم النبي ﷺ بذلك؟ هل أخفى الله ﷻ عن أفضل رسله (كرامةً!) لأحبِّ بناته إليه؟ لماذا لا يُســـعده ربه ويبشِّـــره بإكرام فاطمة بهذا (المصحـــف الكبير المزعوم)، ثم يقـــوم ﷺ بإخبار عامة الأمة لتعرفَ لفاطمة ﵂ مكانتها وتقدرها حق قدرها؟!.

٢ ـ فـــي محكم آيات الكتـــاب العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ومصحف فاطمة المزعوم (ثلاثة أضعـــاف القرآن)، وكل ما فيه هو زيادة علـــى القرآن؛ حيث يصفه أبو عبـــد الله جعفر الصادق بقوله: (ما فيه من قرآنكم حـــرفٌ واحد)؛ ففيه مثلاً كما زعموا: (خبر ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وأســـماء من يدخل الجنة ومن يدخل النـــار، وعلمُ ما أنزل من

القــرآن والتوراة والإنجيــل والزبور...)، وهــذا يناقض الثابتَ المعلومَ من الدين بالضرورة أن الإســلام قــد كَمُل بتمام نزول القرآن العظيم.

٣ ـ أنــزل الله وحيَهُ وكُتُبه على الرجال دون النســاء، كما قــال تعالــى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩، النحل: ٤٣]، والنصوص التي يوردها الرافضة تناقض هذه الآيات المحكمــة، تقول روايتهم عــن مصحف فاطمة: (والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شــيء أملاه الله عليها وأوحى إليها).

٤ ـ إن هذا (المصحف) وذاك (اللوح) قد وُجِدا ـ زعموا ـ في حياة الســيدة فاطمة، أي في أول عهــد أبي بكر الصديق، فلماذا يبقى (هذا العلمُ الجَــمُّ الغزير) مكتوماً عن عامة الأمة، ولا تجهر به فاطمة ولا يجهر به عليٌّ على ملأ من الناس وهو الصحابي التقي النقي الورع الجريء الشــجاع الذي لا يهاب جيشــاً يقف له؟! والســيدة الزهراء قد جاءت إلــى أبي بكر تطالبه بميراثها مــن أبيها ﷺ وهو من أعــراض الدنيا، فلماذا لا تُعلِن ما خُصَّــت به من (المصحف واللــوح) أمام الخليفة والصحابــة وتبيّــن لهم مــا فيهما، وأنهــا وزوجهــا وذريتها والأوصياء هم أهــل الله وخاصته؟! هل كان متــاع زائل عند

السيدة فاطمة أهمَّ من الوحي والمصحف واللوح المزعومين؟!
لا يظن أحدٌ مثلَ هذا بفاطمة إلا أن يكون فقد عقله!.

ثم إن عليّاً ﵁ قد ولي الخلافة؛ فلماذا لم يجهر بذلك في أيام خلافته ودار إمارته (الكوفة)، ولِمَ لَمْ ينشره ويعلِّمه الناسَ كما نشر علمه وفقهه وحديثه عن النبي ﷺ؟! بل لماذا لم يناضل دون الجهر به في عهود أبي بكر وعمر وعثمان وقد كان مقدَّماً عندهم ومستشاراً لهم؟! وهو قد قاتل في حروب الجمل وصِفِّين والنهروان لأمور هي أقل بكثير من (الوحي والمصحف واللوح)!.

هذه أسئلة كبيرة نضعها بين يدي العقلاء، وأمام الذين رووا وروَّجوا تلك الأُخلوقات التي لا يَقبلها مَنْ عنده دين وعقل ومروءة وإنصاف!.

٥ ـ إن القرآن العظيم محفوظ في الصدور ومكتوب في السطور، وتناقله ملايين المسلمين عبر القرون جيلاً بعد جيل، ما تغيَّر منه حرف ولا نقص ولا زاد، وهو ظاهر منشور بين أيدي الناس وفي كل الأزمان والأقطار، فلماذا يبقى (مصحف فاطمة ولوحها) مكتومَيْن عند أناس مخصوصين مزعومين؟!

إن القرآن جاء شِرعةَ حياة، والمفروض أن يكون (المصحف واللوح) هذان من هذا القَبيل، فلماذا لا يُشاعان

ويُنشـــران بين عامة الأمة على مرِّ الأجيـــال ليعملوا بما فيهما ويطيعوا أوامر الوحي المزعوم؟!.

٦ ـ إن القـــرآن الكريـــم زكَّى أهلَ البيت، ورســـول الله ﷺ أوصى بهم وأثنى عليهم، وقد نقلت كتب أهل السُّـــنَّة ذلك كله بالأســـانيد الصحيحة، وأثبتوا حديث الثقليـــن وحديث الغَدير، فلماذا يسكت رســـول الله ﷺ ـ وحاشاه من هذا، ونعوذ بالله من أن نقول ذلك أو نصدِّقه ـ عن نشر (لوح فاطمة) على أصحابه، ولا ينوِّه بمنزلة فاطمة من (الوحي) وأنه نزل عليها أو سينزل؟!.

٧ ـ إن الصحابة ﷺ الأمنـــاء على الوحي قد كتبوا القرآن بين يـــدي رســـول الله ﷺ وحفظـــوه ووعوه، ثـــم جمعوه في مصحف واحد في خلافة أبي بكر، ثم نســـخوه ووزعوه على الأمصار في عهد عثمان، واعتنوا بـــه بما لا نظير لمثله؛ حتى إنهم نقلـــوا للأمة اختلافهم في رســـم بعـــض الكلمات مثل (التابوت)، وحفظوا حديث النبي ﷺ في كل شـــيء حتى في تبسُّمه ﷺ وجلســـته ومشـــيته ونومه ويقظته وآدابه في دخول الخلاء وما دون ذلك، كما حفظوا ونقلوا للأمة حديثه ﷺ في أهـــل البيت عامة وخاصـــة ـ فأين هم عـــن ذاك الأمر الجليل (المصحف واللوح المزعومين) هل علموا بهما؟! هذا محال؛ إذاً لكانـــوا أشـــهروهما! أم إنهم لـــم يعلموا بهمـــا، وقد كَتَم

رسـول الله ﷺ عنهم ذلك، وهو المأمور بالبـلاغ للأمة كافة! والقول بتخصيـص بعض الأمة بمصحف ولـوح ووصية هو طعن بالقرآن الكريم وطعن على الرسـول ﷺ، ولا يقول بهذا إلا زنديق أَشِر!.

٨ ـ و(لوح فاطمة) الذي تزعـم الرواية أن عند محمد بن علي الباقر (نسخة منه) عارضها وضبطها على (نسخة جابر بن عبدالله)، كيف لم يعلم بها سـوى جابر وهو صحابي جليل، لكن هناك جمهرة من الصحابة كانوا أخصَّ منه بالدخول على رسـول الله ﷺ وأَلْصَقَهم به؛ فأين عِلمُهم بذلـك؟! أين علمُ أمهات المؤمنين، وعلي بن أبي طالـب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسـعود، وحذيفة بن اليمان صاحب السر، وأنس خادمه، وأبي هريرة ملازمه؟! بل وأين الشيخان أبو بكر وعمر اللذان كانا السـمع والبصـر له ﷺ وكان يفخـر بهما ويقول: **«أومن بهـذا أنا وأبو بكر وعمر، جئت أنـا وأبو بكر وعمر، دخلت أنا وأبو بكر وعمر، خرجت أنا وأبو بكر وعمر»**؟!.

٩ ـ ثـم إن الرواية تزعم للسـيدة فاطمة أنهـا (مفروضة الطاعة علـى جميع من خلـق الله من الجن والإنـس والطير والوحش والأنبياء والملائكة)! وهـذا لم يكن لأفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، أفكانت أفضلَ من أبيها ﷺ حتى

شَمل حقُّ التكليف بطاعتها كلَّ من ذُكر بما فيهم الملائكة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!.

١٠ ـ وأخيراً: إن مثل هذه الروايات والتقولات فيها هدمٌ للإسلام وهزءٌ بالعقل وزراية على العقلاء: ففيها الطعن على صاحب الرسالة واتهام له بكتمان التبليغ، ومناقضة للقرآن والقول بتحريفه ونقصانه، وتخوين للصحابة ﷺ واتهام لهم وزراية عليهم. وفيه تغييبٌ للعقول وتمسكٌ بالأوهام والخرافات، فما قيمة دين (كتابه لا يُعرف ولا يُنشر ولا يُعمل به) و(حاملُه غائب منتظر)، والأوامر والنواهي والتوجيهات تأتي عن طريق أئمة مفترضين بواسطة نائب الإمام الولي الفقيه؟!.

فالحمد لله على نِعم القرآن المحفوظ والإسلام الصحيح والعقل السليم.

❁ ❁ ❁

الباب السادس

مناقبُ فاطمةَ ومنزلتُها

- مناقبُها.
- منزلتُها ومكانتُها في قلب النبيِّ ﷺ.
- منزلتها عند الأئمة.

• • •

الفصل الأول

مناقبها

السيدة البتول فاطمة الزهراء بنتُ سيد الخلق ﷺ وبَضْعَتُه وأحَبُّ بناته إليه، وإحدى سيدات نساء الأمة ونساء العالمين ونساء أهل الجنة؛ مناقبها غزيرةٌ وفضائلها كثيرةٌ ومنزلتها رفيعةٌ رفيعةٌ، أَوجَبَ النبي ﷺ على المؤمنين محبتها، فكانت عندهم - جيلاً بعد جيل - في سويداء قلوبهم ونبضات أفئدتهم، وتقرَّبوا إلى الله بمحبَّتِها ومحبّةِ أولادها، وتسميةِ أبنائهم باسمها وبألقابها، وتحدَّثوا بسيرتها ودوّنوا مناقبها ونشروا فضائلها؛ إعظاماً وإجلالاً لها وتيمُّناً بها وإقراراً لعين نبيِّهم أبيها ﷺ.

•• عن علي بن أبي طالب قال: (زارنا رسول الله ﷺ فَباتَ عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن، فقام رسول الله ﷺ إلى قِرْبة لنا فجعل يعصرها في القَدَح ثم يسقيه، فتناوله الحسين ليشربَ فمَنَعَه وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنه أحبُّهما إليك؟ فقال: «**لا، ولكنه استسقى**

أول مرة»، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إني وإياكِ وهذين وهذا الراقدَ ـ يعني عليّاً ـ يوم القيامة في مكان واحد»**[(١)].

ـ وعن أبي سَلَمة بن عبدالرحمٰن، عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: (مرضَ رسول الله ﷺ، فجاءت فاطمة فأكَبَّتْ على رسول الله ﷺ، فسَارَّها فبَكَتْ، ثم أَكبَّتْ عليه فسَارَّها فضَحِكَتْ! فلما توفي النبي ﷺ سألتها فقالت: لمَّا أكبَبْتُ عليه أخبرني أنه ميِّتٌ من وجعهِ ذلك فبكيتُ، ثم أكببتُ عليه فأخبرني أني أسرعُ أهل بيتي به لُحوقاً وأني سيدةُ نساء أهل الجنة، إلا مريم بنتَ عِمران، فرفعتُ رأسي فضَحِكْتُ)[(٢)].

ـ وعن عبدالرحمٰن بن أبي نُعْم، عن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: **«فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهل الجنة، إلا ما كان من مريمَ بنتِ عمران»**[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٢)؛ والطيالسي (١٩٠)؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١٣٢٢)؛ والطبراني في «الكبير»: ٣/٣١ ـ ٣٢ (٢٦٢٢)؛ وصححه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة (٣٣١٩).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٤٥٩)؛ وابن حبان (٦٩٥٢)؛ وابن أبي شيبة: ٥٢٧/٧، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وله روايات أخرى؛ انظر ما تقدم: ص ١٨١ ـ ١٨٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٤١)؛ والحاكم: ١٥٤/٣ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٦)، وصحيح الجامع الصغير (٤١٩٠).

ـ وعن عبد الله بن عباس قال: (خَطَّ رسولُ الله ﷺ في الأرض خُطوطاً أربعةً ثم قال: «أَتَدرُون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلمُ، فقال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ نساءِ أهل الجنة: خديجةُ بنت خُويلد، وفاطمةُ بنت محمد، ومريمُ بنت عمران، وآسِيَةُ بنت مُزاحم امرأةُ فِرعونَ**»)[1].

ـ وروى زِرُّ بن حُبَيْش، عن حذيفةَ بن اليَمان قال: (سأَلَتْني أمِّي: منذ متى عهدُك بالنبي ﷺ؟ فقلت لها: منذ كذا وكذا، فنالَتْ منِّي وسَبَّتْني! فقلتُ لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغرب، ولا أَدَعُه حتى يستغفرَ لي ولكِ. فصلَّيتُ معه المغرب، فصلَّى إلى العشاء، ثم انفتَلَ وتبعْتُه، فعَرَضَ له عارضٌ فأخذه وذهب، فاتَّبَعْتُه، فسمع صوتي فقال: «**مَن هذا؟**» فقلتُ: حذيفة، فقال: «**ما لَكَ؟**» فحدَّثتُه بالأمر، فقال: «**غَفَر الله لك ولأمِّك، أمَا رأيت العارضَ الذي عَرض لي قبلُ؟**» قلتُ: بلى، قال: «**هو مَلَكٌ من الملائكة لم يَهبط إلى الأرض قطُّ قبل هذه الليلة، استأذَنَ ربَّه أن يسلِّم علَيَّ، وبشَّرني أن الحسن والحسين سيدا شبابِ أهلِ الجنة، وأن فاطمةَ سيدةُ نساءِ أهل الجنة**»)[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٨)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٢٩٩)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (١٤٨)؛ وابن حبان (٧٠١٠)؛ والحاكم: ٥٩٤/٢ و١٦٠/٣ وصححه، وأقره الذهبي؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٢٩٨/٨ (٣٤٣٢).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٢٤٠)؛ والترمذي (٤١١٥)؛ وأحمد =

ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ نساءِ العالمين: مريمُ بنت عمران، وخديجةُ بنت خُويلد، وفاطمةُ بنت محمد ﷺ، وآسيةُ امرأة فرعون»**(١).

•• وقفة مع هذه الأحاديث وأي أولئك السيدات أفضل:

ـ جاء في حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَمَلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يَكْمُل من النساءِ إلا آسِيَةُ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عِمرانَ، وإنَّ فضلَ عائشةَ على النساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعام»**(٢).

وجاء من طريق آخر صحيح بزيادة «خديجة»؛ فروى شُعبة، عن معاوية بن قُرّة، عن أبيه قُرَّة بن إياس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَمَلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يَكْمُل من النساء إلا ثلاثٌ: مريمُ بنت عمران، وآسيةُ امرأة فرعون، وخديجةُ بنت خويلد، وفَضْلُ عائشةَ على النساء كفَضْلِ الثَّرِيد على سائر الطعام»**(٣).

= (٢٣٣٢٩)؛ وبأخصر منه عند الحاكم: ٣/١٥١ وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي (٤٢١٦)؛ وأحمد (١٢٣٩١)؛ وابن حبان (٦٩٥١) و(٧٠٠٣)، وغيرهم، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١)؛ ومسلم (٢٤٣١)؛ والترمذي (١٩٣٩)، وغيرهم.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٣/١٢٩ وقال: هذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده.

ـ وبوَّبَ الإمام البخاري في «كتاب الأنبياء» من صحيحه فقال: (٤٥ ـ بــاب: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وســاقَ الآيات [٤٢ ـ ٤٤] من سورة آل عمران، ثم أَســند: عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال: سمعتُ عليّاً رضي الله عنه يقول: ســمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**خيرُ نسائِها مريمُ بنةُ عمران، وخيرُ نسائها خديجةُ**».

وعند الإمام مســلم: من رواية أبي كُرَيْبٍ، عن أبي أسامة ووكيع وغيرهما، عن هشــام بن عروة، عن أبيه قال: ســمعتُ عبدَ الله بن جعفر يقول: ســمعت عليّاً بالكوفة يقول: ســمعتُ رســولَ الله ﷺ يقول: «**خيرُ نســائِها مريمُ بنت عمران، وخيرُ نسائِها خديجةُ بنت خُويلد**». قال أبو كُريب: وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض[1].

فهذان الحديثان يدلّان على أفضلية مريم وآسية وخديجة على من ســواهن، والآية الكريمة يدل عمومُهــا على أفضلية مريم على جميع النساء.

والحديث المتقدم: «**أفضلُ نســاءِ أهل الجنة: خديجةُ بنت خويلــد، وفاطمةُ بنت محمــد...**» يضيف الســيدةَ فاطمة، وأن

(١) أخرجه البخــاري (٣٤٣٢)؛ ومســلم (٢٤٣٠)؛ والترمــذي (٤٢١٥)، وغيرهم.

أفضَلَ النســاء أربع. والحديث الآخر: «**فاطمة ســيدة نساء أهل الجنة**» بإطلاق، لكن قيَّده الحديثُ الآخر: «**أخبرني أني ســيدةُ نساء أهل الجنة إلا مريمَ بنت عمران**».

فهذه الأحاديث يبدو عليها التعارض، والجمعُ بينها سهلٌ، قد تكلم فيه علماؤنا من المفســرين وشرّاح الحديث ومصنِّفي التراجِم:

قال الحافظ: («**خير نســائها**»: أي خيرُ نساء أهل الدنيا في زمانها، وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ: «**أفضلُ نســاءِ أهلِ الجنة**»، فعلى هذا فالمعنى خيرُ نســاء أهل الجنة مريمُ، وفي رواية: «**خير نســاء العالميــن**»، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وظاهــرُه أن مريمَ أفضلُ من جميع النساء)[١].

وقال في موضع آخر: (وجاء ما يفسِّر المراد صريحاً؛ فروى البزار والطبراني من حديث عمار بن ياســر رفَعَــه: «**لقد فُضِّلَتْ خديجةُ على نساءِ أمتي كما فُضِّلَت مريمُ على نساء العالمين**»، وهو حديث حسنُ الإسناد)[٢].

---

(١) الفتح: ٢٩٧/٨، شــرح الحديث (٣٤٣٢)؛ وانظــر: تكملة فتح الملهم: ٧٣/٥ ـ ٧٤.

(٢) الفتح: ٧٦٦/٨، شرح الحديث (٣٨١٥).

وقال أيضاً: («**وخيرُ نسائها خديجة**»: أي نساء هذه الأمة، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: خديجة أفضلُ نساء الأمة مُطلَقاً لهذا الحديث. وقد تقدم[١] في آخر قصة موسى حديثُ أبي موسى في ذِكْر مريم وآسية؛ وهو يقتضي فَضْلَهما على غيرهما من النساء، ودَلَّ هذا الحديث على أن مريم أفضلُ من آسية، وأن خديجةَ أفضلُ نساء هذه الأمة)[٢].

وقال الحافظ في شرح مناقب السيدة فاطمة: (وأقوى ما يُستدَلُّ به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومَن بعدهنَّ؛ ما ذكر من قوله ﷺ أنها «**سيدة نساء العالمين إلا مريم**»، وأنها رُزِئَتْ بالنبي ﷺ دونَ غيرها من بناته؛ فإنهن مُتْنَ في حياته فَكُنَّ في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها).

ثم استشهد بحديث فاطمة من طريق آخر عند الطبري في «تفسيره»، وأن النبي ﷺ قال لفاطمة: «**أحسبُ أني مَيّتٌ في عامي هذا، وإنه لم تُرزَأ امرأةٌ من نساء العالمين مثلَ ما رُزِئْتِ، فلا تكوني دونَ امرأة منهن صبراً**»، فبكيتُ، فقال: «**أنتِ سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم**»، فضَحِكتُ). قال الحافظ: (وأصل الحديث في الصحيح دون هذه الزيادة)[٣].

---

(١) يعني: حديث البخاري الذي ذكرناه قريباً برقم (٣٤١١).
(٢) الفتح: ٢٩٨/٨.
(٣) الفتح: ٧١٦/٨، شرح الحديث (٣٧٦٧). رُزِئَتْ: أُصِيبَتْ.

ومن هنا يمكن القول بأن أفضلَ النســاء مُطْلَقاً مريمُ، ثم خديجة وفاطمة وآســية، ولا يمكن الجزم بتقديم فاطمة على أمِّها خديجة لِما تقدم من نصوص.

وهذا يجعل كلام العلّامــة محمد تقــي العثماني وجيهاً حيث يقول: (وأما كونها ـ أي فاطمة ـ ســيدة نساء المؤمنين، مع ما ورد من فضل خديجة وعائشة ﵄؛ فالراجح عندي أنه لا مانع من تعدُّد السيادة باعتبارات مختلفة)[1].

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) تكملة فتح الملهم: ٥/٩٥.

الفصل الثاني

منزلتها ومكانتها في قلب النبي ﷺ

تبوأت الزهراء البتول منزلة سامقة عند أبيها ﷺ لا تدانيها منزلة واحدة من بناته، فكانت أحبَّهن إليه، وقد عبَّر عن ذلك في مناسبات عديدة. وأعلن ﷺ على الملأ أنها بَضْعةٌ منه، يُسعده ما يسعدها، ويؤلمه ويغضبه ما يؤلمها ويغضبها. وكان إذا قدمت إليه قام لها وقبّلها وأجلسها مكانه. وزاد من حبه لها أنها أنجبت ريحانتَيْه الحسن والحسين اللذين امتدت منهما الذرية الطاهرة، وتحدث بذلك لأصحابه الكرام، فأقروا عينه بإجلال ذريته، واحتفلوا بجمع الأحاديث الواردة في مناقبهم ورووها للناس، فتناقلوها جيلاً بعد جيل.

ـ عن أم المؤمنين عائشة قالت: (أقبلَتْ فاطمةُ تمشي ما تُخطِئ مِشْيَتُها من مِشْيةِ رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحَّبَ بها فقال: «**مرحباً بابنتي**»، ثم أجلَسَها عن يمينه أو عن شماله).

وفي رواية: (وكانت إذا دَخلَتْ على النبي ﷺ قام إليها

فَقَبَّلَها وأَجْلَسَــها في مَجْلِسِــه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامتْ من مجلسِها فقَبَّلَتْه وأجلَسَتْه في مجلسها)[1].

- وعن المِسْــوَر بن مَخْرَمَة قال: ســمعت رســولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّما فاطمةُ بَضْعَــةٌ منِّي، يُرِيبُني مــا أَرابَها، ويُؤْذِيني ما آذاها**».

وفي رواية: أن النبي ﷺ قــال: «**إن فاطمة مضغة مني، من أغضبها أغضبني**»[2].

- وعن أســامة بن زيد: أن جعفر بن أبي طالب وعلي بن أبي طالــب وزيد بن حارثــة اختلفــوا مَن منهــم أحَبُّ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذَنوا عليه ﷺ فقالوا: (يا رسولَ الله، جئناكَ نسألُكَ: مَن أَحبّ الناسِ إليكَ؟ قال: «**فاطمةُ**» قالوا: نسألُكَ عن الرجال؟ قال: «**أمَّا أنتَ يا جعفرُ فيُشــبِه خَلْقي خَلْقَك، ويُشبه خُلُقك خُلُقي....**») الحديث[3].

---

(١) الرواية الأولى لمسلم (٢٤٥٠) (٩٨)؛ والثانية للترمذي (٤٢١٠). وقد تقدم الحديث بتمامه: ص ١٨١ ـ ١٨٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) الروايتان للنســائي في «الســنن الكبــرى» (٨٣١٢) و(٨٤٦٧)؛ وتقدم مطولاً: ص ١٥٦ ـ ١٥٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) أخرجه أحمــد (٢١٧٧٧)؛ والطبراني في «الكبيــر»: ١/١٢٣؛ والحاكم: ٣/٢١٧ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي في (المجمع: ٩/٢٧٥): رواه أحمد وإســناده حســن. وأخرج فصلاً منه: النســائي في «الكبرى» (٨٤٧٠)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٧٤٧)، وحسنه شعيب هنا.

ـ وفي قصة (المرأة المَخْزُوميَّة) التي سَرَقت وأراد أسامة بن زيد الشفاعةَ لها؛ حدَّث محمد بن رُمْحٍ المصريُّ قال: أخبرنا الليثُ بن سعد، عن ابن شهاب الزُّهرِيِّ، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتشفعُ في حدٍّ من حُدود اللهِ؟!... وايْمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمد سَرَقَتْ لَقَطعتُ يدَها**».

قال محمد بن رُمْح: سمعتُ الليثَ بن سعد يقول: قد أعاذَهَا الله عز وجل أن تَسرقَ، قد أعاذها اللهُ عز وجل أن تَسرِقَ، وكلُّ مسلم ينبغي له أن يقول هذا[1].

وتلك المرأة التي سرقت من بني مخزوم، واسمها على الصحيح: فاطمة بنت الأسود بن عبدالأسد، بنت أخي أبي سلمة بن عبدالأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ[2].

قال الحافظ: (وإنما خَصَّ ﷺ فاطمةَ ابنته بالذِّكر: لأنَّها أعزُّ أهله عنده، ولأنه لم يبقَ من بناته حينئذٍ غيرُها، فأراد المبالغةَ في إثبات إقامة الحد على كل مكلَّف، وتَرْكَ المحاباة

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٧) واللفظ له؛ وأخرجه دون كلام ابن رمح: البخاري (٦٧٨٨)؛ ومسلم (١٦٨٨)؛ وأبو داود (٤٣٧٣)، وغيرهم.
(٢) الفتح: ٣٤٨/١٥، شرح الحديث (٦٧٨٨).

في ذلك، ولأن اسمَ السارقة وافَقَ اسمَها عليها السلام فناسَبَ أن يضرب المثل بها)[١].

- وبَلَغ من دالَّة السيدة فاطمة عند أبيها ﷺ ومنزلتِها منه؛ أن بعض نسائه الطاهرات تودَّدْنَ إليها وطلبنَ منها أن تكلم النبيَّ ﷺ بشأن أم المؤمنين عائشة وحبّه لها وإعظامه لشأنها!.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أَرسل أزواجُ النبي ﷺ فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذَنَتْ عليه وهو مُضْطَجعٌ معي في مِرْطي، فأَذِنَ لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجَكَ أَرسلْنَني إليكَ يَسألْنَكَ العدلَ في ابنةِ أبي قُحافة! وأنا ساكتةٌ، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أيْ بُنَيَّةُ، ألستِ تُحبِّينَ ما أُحِبُّ؟**» فقالت: بلى، قال: «**فأَحِبِّي هذه**»! قالت: فقامتْ فاطمة حين سمعتْ ذلك من رسول الله ﷺ، فرجَعَتْ إلى أزواج النبي ﷺ فأَخبرتهنَّ بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقُلنَ لها: ما نُراكِ أَغنيتِ عنَّا من شيء، فارجِعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إنَّ أزواجَكَ يَنْشُدْنكَ العدلَ في ابنةِ أبي قُحافة، فقالت فاطمةُ: واللهِ لا أكلِّمُه فيها أبداً) الحديث[٢].

---

(١) الفتح: ٣٥٧/١٥ (٦٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨١)؛ ومسلم (٢٤٤٢)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٨٤١)، وغيرهم. ومعنى (**يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة**): أي =

قال الحافظ في فقه الحديث وفوائده: (فيه ما كان عليه أزواجُ النبي ﷺ من مهابته والحياءِ منه حتى راسلْنَه بأعزِّ الناس عنده فاطمة)(١).

❁ ❁ ❁

= يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب، وليس مرادهن بالعدل ما يقابله الظلم والجَوْر.

(١) الفتح: ٢٣/٧ (٢٥٨١).

الفصل الثالث

منزلتها عند الأمة

•• لأهل البيت عامة وللسيدة فاطمة خاصة منزلة رفيعة جليلة ثابتة أصيلة في أفئدة المسلمين من لَدُن عصر النبوة وجيل الصحابة الكرام ﷺ، وهي مستمرة مطَّردة عبر العصور جيلاً بعد جيل إلى زماننا وهكذا إلى قيام الساعة.

والصحابة رضوان الله عليهم هم خير من يَعرف حقَّ رسول الله ﷺ وحقَّ ذريته الطاهرة من الإجلال والتكريم والمحبة والرعاية؛ عملاً بتوجيهات القرآن الكريم والتزاماً بأحاديث النبي ﷺ وإقراراً لعينه. وعلى هذا جرت الأمة الإسلامية عبر السنين، ما تنكَّبه مسلم ولا تجافَى عنه مَن يؤمن بالله واليوم الآخر.

ولا يوجد اليوم مسلم واحد على وجه الأرض يخطر بباله فضلاً عن أن يُكِنَّ في نفسه أدنى بغضاء أو انحراف عن الطاهرة البتول بضعةِ الرسول ﷺ، ومواقفُ المسلمين وكتُبهم وأدبياتُهم وواقعُهم يشهد بذلك، وقد اشتهر عندهم جميعاً تسمية أبنائهم وبناتهم بأسماء علي وفاطمة وولديهما الحسن والحسين.

بَيْدَ أن الأمر الذي يجب التنبه لـه والتأكيد عليه أن أهل السُّـنَّة يحبُّون فاطمة وغيرها من أهل البيـت الأطهار الحبَّ الشـرعي الذي ارتضاه الله سـبحانه وأَصَّله ورسَّخَه النبي ﷺ الذي ثبت عنه أنه قال: «**لا تُطْرُونـي كما أَطْرَتِ النصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه**»[1].

وقال ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»!.

فلا يجوز المغالاةُ فـي حبِّها والتمسـكُ بالأخبار الموضوعة والأكاذيب السَّـمجة التي حُشِـرت في فضلها. كما لا يجوز البتَّة تأويل بعـض الآيات القرآنية التي يزعـم الزاعمون أنها جاءت في فضلها وتقدُّمِها على جميع نساء العالمين حتى في (طبيعة خِلْقتها) وأنها من (طينة خاصة). ولا يُقبل أيضاً اختلاق الأسماء المعبَّدة لها مثل (عبدالزهراء)، وغير ذلك مما لم يرِدْ فيه نص ولا يقبله عقل.

إن أهل السُّـنَّة هم أولى بفاطمة وأهل البيـت من غيرهم من المبتدعة الضالة، فهم الذين يسـيرون على جادة السُّـنَّة في محبة فاطمة وإجلالها وإنزالها في سويداء قلوبهم، دونما غلوّ أو انحراف؛ كالذي وقعت فيه الرافضة وادَّعَوا اختصاصَهم بفاطمة وأهل البيت ومحبَّتهم لهم، وضلُّوا فـي ذلك ضلالاً مبيناً بعيـداً أَوصَلَهم إلى ادعاء صفات لفاطمة وعلي والحسـنين هي فوق صفات الملائكة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)؛ وأحمد (١٥٤) من حديث عمر الفاروق.

المقرَّبين، وزعموا لهم أنهم من (طينة غير طينة البشر)، وأنهم منزَّهون عن الخطأ، وأنهم مطَّلِعون على السرائر وعلم الملكوت ما كان وما سيكون... فوصلوا بهم إلى درجة المعصومين، بل فيهم أشياء من صفات الألوهية والعياذ بالله تعالى!.

•• جاء في حديث ميراث النبي ﷺ: أن أبا بكر الصديق ﵁ قال لعليٍّ وفاطمة: (والذي نَفْسي بيدهِ لَقرابةُ رسول الله ﷺ أَحَبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي)[(١)].

وروى ابن عُمر، عن أبي بكر ﵁ قال: (ارقُبُوا محمداً ﷺ في أهلِ بيتهِ)[(٢)].

وسيأتي المزيد من مواقف الصديق وأقواله في إجلال فاطمة وأهل البيت؛ في الباب التاسع.

وروى أسلم مولى عمر، عن عمر بن الخطاب: أنه دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: (يا فاطمةُ، واللهِ ما رأيتُ أحداً أَحَبَّ إلى رسول الله ﷺ منكِ، والله ما كان أحدٌ من الناس بعد أبيكِ ﷺ أَحَبَّ إليَّ منكِ)[(٣)].

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه البخاري وغيره، سيأتي بتمامه: ص ٣٠١ ـ ٣٠٣، ٣١٤ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣) و(٣٧٥١).

(٣) أخرجه الحاكم: ١٥٥/٣، وصححه، وقال الذهبي: غريب عجيب.

وزاد الفاروق عمر من إجلال آل البيت وحبِّه لهم وتعلُّقِه بهم؛ أنه سعى للاتصال بهم بسبب فأَصْهَر إلى عليٍّ وفاطمة وتزوج ابنتهما أم كلثوم، وخرج على المهاجرين فقال: أَلَا تهنُّوني؟! فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنتِ علي وبنتِ فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1]!.

ـ وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيتُ قطُّ أحداً أفضَلَ من فاطمة غيرَ أبيها ﷺ)[2].

ـ وتأمَّلْ هذا الموقفَ الجليل من الصحابي المِسْوَر بن مَخْرَمة، الذي يؤكد الالتزام العجيب برغبة النبي ﷺ بأن لا يُساء لفاطمة عليها السلام حتى بعد وفاتها؛ فيحرص المِسْوَر على أن لا يتسبَّب في إزعاج أو انقباض بنات فاطمة!.

روى عُبيد الله بن أبي رافع، عن المِسْوَر: (أنه بَعَثَ إليه حَسَنُ بن حَسن[3] يخطُب ابنتَه، فقال له: قلْ له فَلْيَلْقَنِي في

---

(١) تقدم الخبر بتمامه: ص ٤٨ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) مجمع الزوائد: ٢٠١/٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح؛ وذكره الحافظ في الإصابة: ٣٦٦/٤ وصححه إلى عمرو بن دينار، راويه عن عائشة.

(٣) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وزوجته: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، أي بنت عمه، وتكون جدتها وجدته: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. انظر: نسب قريش، ص ٥١.

العَتَمَة. قال: فلَقِيه، فحمدَ اللهَ المسورُ وأثنَى عليه، ثم قال: أمَّا بعدُ؛ وايمُ اللهِ ما من نسبٍ ولا سببٍ ولا صِهْرٍ أحَبَّ إليَّ من نَسَبِكم وسببِكم وصِهْرهم، ولكنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**فاطمةُ بَضْعَةٌ مني يَقْبِضُني ما يَقبِضها ويَبْسُطني ما يَبْسُطها، وإنَّ الأنسابَ يوم القيامة تنقطعُ غيرَ نَسَبي وسَببي وصِهْري**»، وعندك ابنتُها ولو زَوَّجْتُكَ لَقَبَضَها ذلك! فانطلَق عاذِراً له)[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٠٧)؛ والحاكم: ١٥٨/٣ وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه شعيب الأرنؤوط دون قوله: «**وإن الأنساب...**» فهو حسن بشواهده. قوله: (**العتمة**) أي: صلاة العشاء.

الباب السابع

أهلُ البيتِ الأطهارُ عليهم السَّلامُ

- النُّصوصُ الواردةُ في مناقبِ أهلِ البيتِ.
- وقفاتٌ وتوضيحاتٌ.
- الانحرافُ والغلوُّ الضـالُّ في محبَّةِ فاطمةَ وأهلِ البيتِ.

• • •

الفصل الأول

النصوص الواردة في مناقب أهل البيت

ثبتت تزكيةُ أهلِ البيت عليهم السلام في الكتاب العزيز، واشتملَتْ كُتب السُّنَّة على أحاديث كثيرة صحيحة جليلة في مناقبهم، وروى ذلك جماعة من الصحابة الكرام ونشروها بين الناس، وتناقَلَها أهلُ السُّنَّة طبقةً بعد طبقةٍ، وهو لون من روائع حبِّهم لأهل البيت الأطهار؛ عملاً بأوامر الكتاب والسُّنَّة، والتزاماً بالطريقة الشرعية الصحيحة في حبِّهم وإجلالهم دونما غلوٍّ ولا شَططٍ ولا انحراف كما وقع ممن ضلوا عن جادة الحق واتبعوا أهواءهم.

أولاً: حديث الكساء:

١ ـ روت الصِّدِّيقة عائشة أم المؤمنين قالت: (خَرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شَعَر أسودَ، فجاء الحسنُ بن علي فأَدْخَله، ثم جاء الحسين فدَخلَ معه، ثم جاءت فاطمةُ فأَدْخَلها، ثم جاء عليٌّ فأَدْخَلَه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤)؛ والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٣٩١١). مِرْط: كساء. مُرَحَّل: موشًى منقوش عليه صور رِحال الإبل.

٢ - وعن أم سَلَمة قالت: (في بيتي أُنْزِلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، قالت: فأَرسَل رسولُ الله ﷺ إلى فاطمةَ وعليٍّ والحسن والحسين؛ فقال: «**هؤلاء أهلُ بيتي**» قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أَمَا أنا من أهل البيت؟ قال: «**بلى إن شاء الله**»)(١).

٣ - وعن عُمر بن أبي سَلَمة ربيبِ النبي ﷺ قال: (نَزلَت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا النبي ﷺ فاطمةَ وحسناً وحسيناً فَجَلَّلهم بكساءٍ، وعليٌّ خلفَ ظهرِهِ فجَلَّله بكساء، ثم قال: «**اللَّهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي، فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطَهِّرْهُم تطهيراً**». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أنتِ على مكانِكِ، وأنتِ إلى خيرٍ**»)(٢).

٤ - وعن شدَّاد أبي عمَّار قال: (دخلتُ على واثِلَةَ بن الأَسْقَع وعنده قوم فذكَروا عليّاً، فلما قاموا قال لي: ألا أُخبِرُك

---

(١) أخرجه البغوي (٣٩١٢)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٦٨)؛ والحاكم: ١٤٦/٣ وصححه، ووافقه الذهبي؛ وصححه البغوي في «شرح السُّنَّة»، وقال شعيب: لا بأس بإسناده.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) و(٤١٢١)؛ وأحمد (٢٦٥٩٧)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٧١)، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

بما رأيتُ من رسول الله ﷺ؟ قلتُ: بلى، قال: أتيتُ فاطمةَ رضي الله عنها أسألُها عن عليٍّ، قالت: توجَّهَ إلى رسول الله ﷺ، فجلستُ أنتظرُه، حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ وحسنٌ وحسينٌ رضي الله عنهم، آخذٌ كلَّ واحدٍ منهما بيدِهِ حتى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلَسَهما بين يديه، وأَجْلَس حسناً وحسيناً كلَّ واحد منهما على فَخذِه، ثم لَفَّ عليهم ثوبَه، أو قال: كساءً، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي، وأهلُ بيتي أَحقُّ**»).

زاد في رواية: (قال واثلةُ: فقلتُ من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلِك؟ قال: «**وأنتَ من أهلي**»، قال واثلة: إنها لمن أَرْجى ما أَرتجي)(١).

•• ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾:

قال ابن تيمية: لفظ ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أصله القذر، ويُراد به: الشرك، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٧٧٣)؛ وابن حبان (٦٩٧٦)؛ والحاكم: ١٤٧/٣؛ والبيهقي في «السنن»: ١٥٢/٢، وغيرهم، والرواية الأولى لأحمد والثانية لابن حبان، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه شعيب الأرنؤوط.

ويُراد به: الخبائث المحرَّمة كالمطعومات والمشروبات، كقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، وإذهابُ ذلك إذهابٌ لكلِّه، ونحن نعلم أن الله أَذْهَبَ عن أولئك السادة الشرك والخبائث.

ولفظ ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ عام يقتضي أن الله يريد أن يُذْهِب جميعَ الرجس، فإن النبي ﷺ دعا بذلك.

وأما قوله ﷺ: «وطَهِّرْهم تطهيراً» فهو سؤال مُطلَق بما يُسمَّى طهارة.

فدعاءُ النبي ﷺ بأن يُطهِّرَهم تطهيراً، كدعائِه بأن يزكِّيهم ويُطيِّبهم ويجعلَهم متقين، ونحو ذلك... وقد يكون من تمام تطهيرهم صيانتُهم عن الصدقة التي هي أوساخ الناس.

وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله، والذي دعا به النبي ﷺ؛ ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السُّنَّة عندهم لا معصوم إلا النبي ﷺ(١).

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: ٤/١١٠ ـ ١١٢، مقتطفات.

ثانياً: حديث الثقلين:

١ ـ روى يزيد بن حَيَّان وحُصَيْن بن سَبْرَة وعُمر بن مُسْلم، عن زيد بن أَرْقَمَ قال: (قامَ رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فَحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه، ووَعظ وذكَّر، ثم قال: «**أمَّا بعدُ، أَلَا أيها الناسُ، فإنما أنا بشرٌ يُوشِكُ أن يأتيَ رسولُ ربي فأُجِيبَ، وأنا تارِكٌ فيكم ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهما كتابُ الله فيه الهدى والنورُ، فخُذوا بكتابِ الله واسْتَمسِكوا به**» فَحَثَّ على كتاب الله ورَغَّبَ فيه، ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكُم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّرُكُم اللهَ في أهل بيتي**». فقال له حُصَيْنٌ: ومَن أهلُ بيته يا زيدُ؟ أَليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤهُ من أهل بيته، ولكنْ أهلُ بيته مَن حُرِمَ الصدقةَ بعده. قال: ومَنْ هم؟ قال: هم آلُ عليٍّ، وآل عَقيل، وآل جعفرٍ، وآل عباسٍ. قال: كلُّ هؤلاء حُرم الصدقةَ؟ قال: نعم)[1].

وفي رواية: عن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تَمسَّكْتُم به لن تَضِلُّوا بَعْدي، أحدُهما أعظمُ من الآخَر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعِتْرتي**

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) واللفظ له؛ والنسائي في «الكبرى» (٨١١٩)؛ والبغوي (٣٩١٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٤٦٤)، وغيرهم.

أهلُ بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا علَيَّ الحوضَ، فانْظُروا كيف تَخْلُفوني فيهما»[١].

وفي رواية أخرى: عن أبي الطُّفَيل، عن زيد بن أرقم قال: (لمَّا رجع رسول الله ﷺ من حَجَّة الوداع، ونزل غَدير خُمٍّ، أَمر بدَوْحاتٍ فَقُمِمْنَ، ثم قال: «**كأني قد دُعِيتُ فأَجَبتْ، إني قد تركتُ فيكم الثَّقَلَيْنِ، أحدُهما أكبرُ من الآخَر: كتابَ الله، وعِتْرتي أهلَ بيتي، فانْظُروا كيفَ تَخْلُفوني فيهما، فإنهما لن يتفرَّقا حتى يَرِدا علَيَّ الحوضَ**»)[٢].

٢ - وعن جابر بن عبدالله قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ في حَجَّتِه يوم عَرفة وهو على ناقته القَصْواءِ يَخطُب، فسمعتُه يقول: «**يا أيها الناسُ، إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله، وعِتْرتي أهلَ بيتي**»)[٣].

٣ - وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي تاركٌ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٤١٢٢)، وانظر: الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٦٥)؛ والحاكم: ١٠٩/٣؛ وصححه شعيب الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة: ٣٣٠/٤ (١٧٥٠). وانظر ما كتبته عن (حديث الغدير) في كتابي «علي بن أبي طالب».

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٢٠)؛ والطبراني في «الكبير» (٢٦٨٠)؛ وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

فيكم خَليفتَيْنِ: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ ما بين السماءِ والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعِتْرتي أهلُ بَيْتي، وإنَّهما لن يَتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض»[١].

٤ ـ وعن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، إني قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به فلن تضِلُّوا بعدي: الثَّقَلَيْن، وأحدُهما أكبرُ من الآخَر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعِتْرتي أهلُ بَيْتي، وإنَّهما لن يتفرَّقا حتى يَرِدا علَيَّ الحوضَ»[٢].

٥ ـ وعن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «إنِّي تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله؛ سَبَبُه بيدِ الله وسببُه بأيديكم، وأهلَ بيتي»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٧٨)؛ وابن أبي شيبة: ٤١٨/٧؛ وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٧٥٤) و(١٥٥٤) و(١٥٥٥)؛ وصححه بشواهده الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٠٤) و(١١٥٦١)؛ وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥٥٨) واللفظ له؛ والترمذي (٤١٢٢) وقال: حسن غريب؛ وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٥٦٣)؛ والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٦٠)؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط، والألباني في «الصحيحة»: ٣٥٧/٤ ـ ٣٥٨ (١٧٦١).

ثالثاً: أحاديث أخرى في فضائل أهل البيت:

١ ـ عن سعد بن أبي وقّاص قال: (لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦١]؛ دعا رسولُ الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللَّهمَّ هؤلاءِ أَهْلي**»)[١].

٢ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيرُكُم خيرُكم لأهلي من بعدي**»[٢].

٣ ـ وعن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نَفْسي بيدِهِ؛ لا يُبْغِضُنا أهلَ البيتِ رجلٌ إلا أَدْخَلَه الله النارَ**»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤٤)؛ وضمن حديث طويل: مسلم (٢٤٠٤)؛ والترمذي (٤٠٥٨)؛ وأحمد (١٦٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم: ٣/٣١١ وصححه؛ وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٥).

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٩٧٨)؛ والحاكم: ٣/١٥٠ وصححه؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط.

الفصل الثاني

وقفات وتوضيحات

أولاً: مفهوم آل النبي ﷺ وأهل بيته، وبطلان مذهب الرافضة في هذا:

•• من خلال النظر في الأحاديث المتقدمة والتدقيق فيها والجمع بين أطرافها مع الآيات الكريمة في سورة الأحزاب؛ من قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣٣]؛ **يجزم الباحث المنصف البريء من الهوى أن أهل البيت هم أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من آله وأهل بيته على الصحيح من قول العلماء.**

فقد ثبت في «الصحيحين»: عن النبي ﷺ: أنه علَّم الصحابة الصلاة عليه: «**اللَّهمَّ صلِّ على محمدٍ وأزواجِهِ وذرِّيتِه**»[1].

---

(١) البخاري (٣٣٦٩)؛ ومسلم (٤٠٧)، أخرجاه من حديث أبي حُميد الساعدي.

ولأن امرأة إبراهيم من آله وأهلِ بيته، وامرأةَ لوط من آله وأهل بيته، بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواجُ محمد من آله وأهل بيته؟![1].

والآيات الكريمة من سورة الأحزاب توضح ذلك وتؤكده؛ قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣٤].

فهذا يدل على أن أزواجَ النبي ﷺ من أهل بيته، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن. ويدل على أن قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ عَمَّ غيرَ أزواجه، كعليٍّ وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، لأنه ذكره بصيغة التذكير لمّا اجتمع

(١) منهاج السُّنَّة: ٢/٥٤٠، ٤/١٠٧.

المذكر والمؤنث، وهؤلاء خُصُّوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه، فلهذا خَصَّهم بالدعاء لمّا أَدخلَهم في الكساء. كما أن مسجد قُبَاء أُسِّسَ على التقوى، ومسجده ﷺ أيضاً أُسس على التقوى وهو أكمل في ذلك، فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] بسبب مسجد قباء، تناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده ﷺ بطريق الأَوْلى[1].

(ثم إن كلمة (أهل البيت) تُستعمل في العُرف واللغة للأزواج أولاً وبالذات، ولغيرهِم تبعاً. وكذلك وردت هذه الكلمة في زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى حكايةً عن قول الملائكة لسارة: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

فكانت أزواج النبي ﷺ داخلةً في أهل البيت أولاً وبالذات، وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم على سبيل الاحتمال، لأن سياق الآية وإن كان للأزواج فقط، ولكن كلمة (أهل البيت) تحتمِل العمومَ، فأراد النبي ﷺ أن يتأكَّد هذا العمومُ في حق عليٍّ وفاطمة وابنَيْهما، فدَعَاهم وجَلَّلهم بكساءٍ، ليُثبِت لهم ما يثبت لأهل البيت، ودعا لهم بالتطهير،

---

(١) منهاج السُّنَّة: ٢/٥٣٩ ـ ٥٤٠.

ولذلك لم يُدخِل أُمَّ سلمة في الكساء، لكونها داخلةً في أهل البيت قطعاً بدلالة سياق الآية، فلم تكن هناك حاجة إلى الدعاء لاعتدادِها في جملة أهل البيت، فقال لها: «**أنتِ على مكانك، أنتِ على خير**».

فلا شك أن عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ﵃ ثَبَت كونُهم من أهل البيت بهذا الحديث)[1] أي: حديث الكساء.

•• واستدل الروافض بحديث الكساء على أن أهل البيت هم عليّ وفاطمة وأولادهما فقط، وعلى أنهم معصومون من الخطأ، لأن الله تعالى أَذْهَبَ عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً، وكل من الدَّعويَيْن باطل[2].

والحق أن حديث الكساء الذي رواه مسلم وغيره (واضح الدلالة على أن النبي ﷺ جعل بيتَ عليٍّ وفاطمة ﵄ مشمولاً بالآية الكريمة، أو مضافاً إلى بيته الشريف الطاهر تكريماً وتشريفاً وتطهيراً، كذلك وبخاصة أن سيدته هي ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين ﵂؛ لأن هذه الآية الكريمة ـ والآيات

---

(١) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥. وانظر: شرح مشكل الآثار: ٢٣٥/٢ ـ ٢٤٨؛ منهاج السُّنَّة: ٥٣٨/٢ ـ ٥٤٠، ٢١١/٣ ـ ٢١٢، ١٠٣/٤ ـ ١١٥؛ الشيعة وأهل البيت، ص ١٨ ـ ٢٢.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٢١ ـ ٢٢.

السابقة التي صُدِّرَتْ بخطاب النبي ﷺ ـ نزلت في نساء النبي وبيتِ النبوة. وغَنيٌّ عن البيان أن بيوت زوجاته بيوته، بل هي في حُكْم البيت الواحد في حق صاحبه ﷺ، بالإضافة إلى أنه الأصل في خطابهن والحديث عنهن رضي الله عنهن، بوصفه صاحبَ البيت. ومن هنا جاء الخطاب بالتأنيث في كل ما يَخصُّهنَّ من أحكام، في حين جاء خطابُ التطهير بصيغة الجمع المذكر؛ تنويهاً بصاحب البيت، ولأنهن يدخلن معه بوصفهن (أهله)؛ علماً بأن الأصل لغة وعرفاً، ومن ثَمَّ اصطلاحاً وقرآناً بالطبع، أن يُذكر أهل بيت الرجل اختصاراً بصيغة التذكير، حتى ولو كان الخطاب لزوجة واحدة! قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧١ ـ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٤].

ثم من الذي يقول: إن إضافة السيدة فاطمة عليها السلام وسائر أفراد بيتها ﵃ إلى آية التطهير يقتضي إخراجَ زوجات النبي من هذه الآية؟! وقد نزلت فيهن كما أوضحنا قبل قليل، وكما هو بَيِّنٌ من الآيات السابقة واللاحقة لآية التطهير!.

بل ما الذي يَعنيه هذا الإخراجُ ـ إنْ جاز في عقل عاقلٍ أو دينِ صاحبِ مروءةٍ ودينٍ ـ سوى الإيحاء بأن الرجس قد يَلحق بهن! وربما صرَّح بهذا بعض الفجرة والمنافقين في حق السيدة عائشة ﵂ على وجه الخصوص.

ومن بدهيات الاعتقاد عند أهل السُّنَّة: تقريرُ طهارة زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين كافة؛ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، والله تعالى يقول: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]؛ فلو كانت الصدِّيقة بنت الصدِّيق أو أي زوجة من زوجات النبي ـ وحاشاه ـ خبيثة، لكان النبي ﷺ ـ وحاشاه ـ خبيثاً!.

فمن رمى واحدة منهن أو عرَّضَ بها فقد رمى رسول الله ﷺ وعَرَّضَ به، بل رمى أمَّه هو إن كان يعدُّ نفسَه

من المؤمنين، وعَزَّ وجهُ الله أن يكون فاعل ذلك من المؤمنين! وقد قال تعالى في سياق الحديث عن العُصْبة التي جاءت بالإفك، قال محذِّراً سبحانه: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نَسَبه إليه المشركون سَبَّح نفسَه لنفسه كقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦]، وذكر تعالى ما نَسَبه المنافقون إلى أم المؤمنين عائشة فقال: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]، سَبَّح نفسَه في تبرئتها من السُّوء كما سبَّح نفسَه في تبرئة ذاته من السوء، ولله المثل الأعلى.

ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من رمى السيدة عائشة فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قُتل! وقال الإمام ابن حزم في التعقيب على هذا القول: قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردَّة تامة وتكذيبٌ لله تعالى في قطعه ببراءتها)[1].

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة عائشة: (لمّا تكلم فيها أهلُ الإفك بالزُّور والبُهتان، غار الله تعالى لها، فأنزل براءتها

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية، للدكتور عدنان زرزور، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٨.

في عشـر آيات من القـرآن تُتلى على تعاقـب الزمان... وقد أجمع العلماء على تكفير مَن قَذَفها بعد براءتها ﵂)[١].

(ولقد ورد في الآية (٣٣) من سـورة الأحزاب ذِكْر أو لفظ ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وجاء في الآية (٣٤) قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ - وبصيغـة المضارعة: ﴿يُتْلَىٰ﴾؛ فسوف يبقينَ كلُّهن في بيت النبوة! ولسوف تتلى في بيوتهن، أو في بيت كل واحدة منهن، آياتُ الله وسُـنَّةُ رسوله، ولسوف يدخلن في آية التطهير إلى يوم الدين!.

وقد أخـرج الإمام البخـاري والإمام مسـلم: من حديث عائشة ﵂ قالت: (ما شَبع آلُ محمدٍ منذُ قدِمَ المدينة من طعام بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تباعاً حتى قُبض)، وآل محمد هؤلاء في اللسان العربي: هن أهـلُ بيته، أو زوجاته اللائي كُنَّ يعشـن معه، أو عِشْنَ معه واخترنَ الله ورسوله والدار الآخرة)[٢].

إنه لمن أبطل الباطل إخـراج الأزواج المطهرات من أهل البيت بعدما جعلهن الله تعالى أهل البيت أولاً وبالذات!)[٣].

---

(١) البداية والنهاية: ٩١/٨ ـ ٩٢.

(٢) السُّـنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّـنَّة والشـيعة الإمامية، ص ٤٧٨. والحديث المشار إليه أخرجه البخاري (٥٤١٦)؛ ومسلم (٢٩٧٠).

(٣) تكملة فتح الملهم: ٥٧/٥.

وأيضاً فقد دَلَّ حديثُ الإفك على أن (أمهات المؤمنين الطاهرات) هن أهلُه في المقام الأول؛ فعن عائشة: أن رسول الله ﷺ قام على المِنبر، فاسْتَعْذَر من عبدالله بن أُبيٍّ، فقال: «**يا معشرَ المسلمين، مَن يَعْذِرُني من رجلٍ قد بَلَغ أذاهُ في أهلي؟! واللهِ ما علمتُ على أهلي إلا خيراً! ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ منه إلا خيراً، وما كان يَدْخُلُ على أهلي إلا معي!**»[1].

ثانياً: العِتْرة وحديث الثَّقَلَيْن:

قال العلّامة التوربشتي، ونقله عنه الإمام علي القاري في «شرح المشكاة»: (عِتْرة الرجل: أهلُ بيته ورَهْطُه الأَدْنون، ولاستعمالهم العِترة على أنحاء كثيرة بيَّنَها رسول الله ﷺ بقوله: «**أهل بيتي**»، ليعلم أنه أراد بذلك نسلَه وعصابتَه الأَدْنَين وأزواجَه)[2].

وقال السِّنْدي في تفسير «**عِتْرتي**»: كأنه ﷺ جعلهم قائمين مقامه، فكما كان في حياته القرآن والنبي، كذلك بعده: القرآن وأهل بيته، لكن قيامهم مقامه في وجوب المحبة والمراعاة

(١) شرح مشكل الآثار (٧٦٤)؛ وهو قطعة من حديث الإفك الطويل الذي أخرجه البخاري (٢٦٦١)؛ ومسلم (٢٧٧٠)، وغيرهما.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦٠٠/٥.

والإحســـان، لا في العمل بأقوالهم وآرائهـــم، بل المرجع في العمل: الكتاب والسُّنَّة[١].

ويوضح العلّامــة القاري الحكمةَ في تأكيــد النبي ﷺ على (العِتْرة الطاهــرة) ومنزلتهم من الدين والعلــم؛ فيقول: (إن أهل البيت غالباً يكونون أعرفَ بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم: أهل العلم منهم، المطلعون على ســيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وبحكمته، وبهذا يَصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩])[٢].

وقوله ﷺ: «**وأنا تــارِكٌ فيكم ثَقَلَيْن**»: قال ثعلب: (سُــمِّيا ثَقَلَيْــنِ لأن الأخذَ بهما ثَقيلٌ والعملَ بهمــا ثقيلٌ، قال: وأصلُ الثَّقَل أن العرب تقول لكل شــيء نفيسٍ خَطيــر مَصونٍ ثَقَل، فسمَّاهما ثَقَلَيْن إعظاماً لِقدْرِهما وتفخيماً لشأنهما)[٣].

وقولــه ﷺ: «**أذكركم الله فــي أهل بيتــي**»: (حاصل هذا الحديث أن رسول الله ﷺ ذكر ثقلين: كتاب الله وأهل بيته، أما

---

(١) انظر: هامش سنن الترمذي: ٦/٣٣٥، بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٢) انظر: الحاشية (٢) في الصفحة السابقة، في هذا الكتاب.

(٣) لســان العرب: ١١/٨٨؛ واختصــره ابن الأثير فــي «النهاية»: ١/٢١٦. **وثعلــب**: هو إمــام النحو العلّامــة المحــدّث أبو العبــاس أحمد بن يحيـى بن يزيد الشيباني مولاهم، توفي سنة (٢٩١هـ).

الأول: فقد أمر بالأخذ والاستمساك به، وأما الثاني: فقد أمر بمعرفة قدرهم وفضلهم وأداء حقوقهم. ومن هنا يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا اللفظ يدلُّ على أن الذي أُمرنا بالتمسك به وجُعل المتمسك به لا يَضِلّ هو كتابُ الله. وهكذا جاء في غير هذا الحديث، كما في صحيح مسلم: عن جابر في حجَّة الوداع لمَّا خَطب يوم عرفة وقال: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضِلُّوا بعدَه إنِ اعتَصمتُم به: كتابُ الله**»[1] انتهى[2].

وقد ورد في موطأ الإمام مالك بلاغاً: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**تركتُ فيكم أمرين لن تَضِلُّوا ما تمسَّكْتُم بهما: كتابَ الله، وسُنَّةَ نبيِّه**»[3].

وقد جاء في سيرة محمد بن إسحاق التي جمعها ابن هشام خطبةُ الرسول ﷺ في حَجَّة الوداع، وفيها: «**وقد تركتُ فيكم ما إن اعْتَصمتُم به فلن تضِلُّوا أبداً، أمراً بَيِّناً: كتابَ الله، وسُنَّةَ نبيِّه**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ وأبو داود (١٩٠٥)؛ وابن ماجه (٣٠٧٤)، وغيرهم.

(٢) منهاج السُّنَّة: ٤/٣٠٠، وانظر: ٢/٦٦٤.

(٣) موطأ مالك: ٢/٨٩٩؛ وقواه الألباني في «الصحيحة»: ٤/٣٦١.

(٤) السيرة النبوية: ٢/٦٠٤.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه: عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خَطب الناسَ في حَجَّة الوداع فقال: «... **يا أيها الناس، إنِّي قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً: كتابَ الله، وسُنَّةَ نبيِّه ﷺ**». ثم ذكر له شاهداً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركتُ فيكم شيئينِ لن تضِلُّوا بعدَهما: كتابَ الله وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا علَيَّ الحوض**»[1]. وذكر الذهبي الحديثين في تلخيص المستدرك وسكت عليهما ولم يتعقب على قول الحاكم بشيء)[2].

(فالحاصل من مجموعة أحاديث خطبة حجة الوداع وحديث الغَدير: أن النبي ﷺ أَمر بالتمسُّك بالكتاب والسُّنَّة وجعَلَهما أصلَيْن متبوعين يُرجع إليهما في معرفة أحكام الدين، وأَمر بمعرفة قدْرِ أهل البيت وإكرامهم وأداءِ حقوقهم)[3].

ثالثاً: قرابة النبي ﷺ:

ترجم الإمام أبو عبد الله البخاري لمناقب قرابة رسول الله ﷺ، وقرابتُه ﷺ أوسعُ دائرةً من أهل بيته، وقد شرح الحافظ مدلولَ القرابة فقال:

---

(١) المستدرك: ٩٣/١؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٩/٥.

(٣) المرجع السابق: ٦٠/٥.

(قرابةُ النبي ﷺ: يريد بذلك مَن يُنسب إلى جدِّه الأقرب وهو عبد المطلب؛ ممَّـن صَحِب النبيَّ ﷺ منهم أو من رآه من ذكر وأنثى، وهم:

ـ عليٌّ وأولادُه الحسن والحسـين ومُحَسِّن وأم كلثوم من فاطمة عليها السلام.

ـ وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد.

ـ وعَقيل بن أبي طالب وولده مُسْلم بن عقيل.

ـ وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يَعْلى وعُمارة وأُمامة.

ـ والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشـرة، وهم: الفَضْل وعبد الله وقُثم وعُبيد الله والحارث ومَعْبد وعبد الرحمٰن وكثير وعَوْن وتمَّام، وفيه يقول العباس:

تَمُّوا بتمّـامٍ فصاروا عَشَـره   يا ربِّ فاجعَلْهـم كِراماً بَرَره

وكان له من الإناث: أم حبيب وآمنة وصفية، وأكثرهم من لُبابة أم الفضل.

ـ ومعتِّب بن أبي لهب، والعباس بن عُتْبة بن أبي لهب.

ـ وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وأخته ضُبَاعَة.

ـ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه جعفر.

- ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وابناه المغيرة والحارث.

- وأُميمة وأروى وعاتكة وصفيَّة بناتُ عبد المطلب، أسلَمتْ صفية وصَحِبتْ، وفي الباقيات خلاف، والله أعلم)[1].

رابعاً: فضل آل البيت والقرابة يكون بالتقوى لا بمجرد القرابة:

الأتقياء من أمة نبينا ﷺ هم أولياؤه كما ثبت في الأحاديث الصحيحة؛ فعن عَمْرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جِهَاراً غيرَ سِرٍّ يقول: «**أَلَا إنَّ آل أبي - يعني فُلاناً - ليسوا لي بأولياءَ، إنَّما وَلِيِّيَ اللهُ وصالحُ المؤمنين**»[2].

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَوْلَى الناسِ بي المتقون مَن كانوا وحيثُ كانوا**»[3].

قال الحافظ: (وقع في «شرح المشكاة»[4]: المعنى: أَنِّي

---

(١) الفتح: ٦٧٤/٨، فضائل الصحابة، باب (١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)؛ ومسلم (٢١٥).

(٣) هو طرف من حديث أخرجه: أحمد (٢٢٠٥٢)؛ وابن حبان (٦٤٧)؛ والبيهقي في «السنن»: ٨٦/١٠؛ وصححه شعيب الأرنؤوط، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٢).

(٤) أي: شرح مشكاة المصابيح، شرحه غير واحد ممن سبق ابن حجر أو جاء بعده.

لا أُوالي أحداً بالقرابة، وإنما أُحِبُّ الله تعالى لِما له من الحق الواجب على العباد، وأُحِبُّ صالحَ المؤمنين لوجه الله تعالى، وأُوالي مَن أُوالي بالإيمان والصلاح سواء كان من ذوي رحمٍ أَوْ لا، ولكن أرعى لذوي الرحم حقَّهم لصلةِ الرحم)، وعقَّب الحافظ فقال: (وهو كلام منقح)(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤].

وعن أبي هريـرة: (أنَّ رسـولَ الله ﷺ أتى المَقْبَـرةَ فقال: «**السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لاحِقونَ، وَدِدْتُ أنّا قد رأَيْنَا إخوانَنا**»! قالوا: أَوَلَسنا إخوانَكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ**»...)(٢).

ومن حديث أنس قال: (قال رسول الله ﷺ: «**وَدِدْتُ أنِّي لَقِيتُ إخواني**»! قال: فقـال أصحابُ النبي ﷺ: أَوَلَيـس نحن إخوانَكَ؟ قال: «**أنتم أصحابي، ولكنْ إخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوْني**»)(٣).

---

(١) الفتح: ١٣/٤٦٨، شرح الحديث (٥٩٩٠).

(٢) أخرجه مسـلم (٢٤٩)؛ والنسـائي في «الكبـرى» (٧٤٣)؛ وابن ماجه (٤٣٠٦)، وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد (١٢٥٧٩)، وحسـنه شعيب الأرنؤوط؛ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٠٨).

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: (وإذا كان كذلك، فأولياؤه المتقون؛ بينه وبينهـم قرابةُ الدين والإيمـان والتقوى، وهذه القرابة الدينية أعظمُ من القرابـة الطينية، والقُرب بين القلوب والأرواح أعظمُ من القرب بين الأبدان.

ولهـذا كان أفضلَ الخلق أوليـاؤه المتقون، وأمـا أقاربُه ففيهم المؤمن والكافر، والبَرُّ والفاجـر، فإن كان فاضلاً منهم كعليٍّ ﵁ وجعفر والحسن والحسين، فتفضيلُهم بما فيهم من الإيمان والتقوى، وهم أولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرد النسب. فأولياؤه أعظم درجـةً من آله، وإن صلَّى علـى آله تبعاً له لم يقتضِ ذلك أن يكونوا أفضَلَ من أوليائه الذين لم يصلِّ عليهم؛ فإن الأنبياء والمرسـلين هم من أوليائـه، وهم أفضلُ من أهل بيته، وإنْ لـم يدخلوا في الصـلاة معه تبعـاً، فالمفضول قد يختصُّ بأمر ولا يَلزم أن يكون أفضَلَ من الفاضل.

ودليل ذلـك أن أزواجه هم ممن يُصلَّـى عليه، كما ثبت ذلك في «الصحيحيـن»، فقد ثبـت باتفاق النـاس كلهم أن الأنبياء أفضل منهن كلهن)[1].

فالقرابة وحدَها ليسـت فضيلةً، فالعباس بن عبدالمطلب أقربُ للنبي ﷺ نسباً من عليٍّ، وحمزةُ من السابقين الأولين من

(١) منهاج السُّنَّة: ١٠٨/٤ ـ ١٠٩.

المهاجرين وهو أقرب نسباً منه أيضاً، وليسا أفضَلَ من علي[١].

(وللنبيِّ ﷺ من بني العمِّ عددٌ كثير؛ كجعفر وعَقيل وعبدالله وعُبيد الله والفَضْل وغيرهم من بني العباس، وكربيعةَ وأبي سفيان ابنَي الحارث بن عبدالمطلب.

وليس هؤلاء أفضلَ من أهل بدر، ولا من أهل بيعة الرضوان، ولا من السابقين الأولين، إلا مَن تقدَّم بسابقته كحمزة وجعفر فإن هذين رضي الله عنهما من السابقين الأولين، وكذلك عبيدة بن الحارث الذي استُشهد يوم بدر)[٢].

خامساً: وجوب محبة أهل البيت:

أَطبَق المسلمون على تعظيم أهل بيت رسول الله ﷺ وإجلالِهم وإكرامِهم وتقريبِهم والإحسانِ إليهم ووجوب محبَّتِهم، وتوارثوا ذلك خَلَفاً عن سَلَف، وجيلاً إثر جيل، من لدُن الصحابة الكرام وإلى زماننا وإلى ما شاء الله.

وقد تقدم ذِكْر شَذْرة من مواقف الصحابة في هذا المضمار المبارك[٣].

(١) منهاج السُّنَّة: ٤/٥٢٢.
(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: ٤/٥٢٣.
(٣) انظر: ص ٢٣٠ ـ ٢٣٤ في هذا الكتاب.

وأهل السُّنَّة جميعاً على هذا الحبِّ والإجلال لأهل البيت الأطهار، ولا يُعرف منذ فجر تاريخ الإسلام أحدٌ يُبغِض (أهلَ البيت) لأنهم (أهلُ البيـت)! وما جرى من وصف بعض أهل الشـام (بالنَّصْب) ومعاداةِ أهل البيت، إنمـا كان فترة تاريخية ضئيلة مضَـتْ قد عفَا عليهـا التاريخ، ووقعـت مقالات بين الطرفين: أتباع عليٍّ وأتباع معاوية، لأسـباب مخصوصة... ثم اندثرت وتلاشت عند أهل السُّنَّة، بينما زادت شِرَّتُها مع مرور الزمن عند الشـيعة فالرافضة، وتاجر بها كلُّ أفّاك أثيم ورمَى أهلَ السُّنَّة عامةً وأهلَ الشـام خاصةً بأنهم (نواصب) يُبغِضون أهل البيت ويعادونهم، وزَرَع الرافضةُ ذلك في قلوب أتباعهم من العامة والأغمار، وشَحنُوهم بمعاداةِ أهل السُّنَّة لأنهم أعداء أهل البيـت بزعمهـم! وتطوَّر الأمـر بمرور الزمـن وتنامِي الانحراف حتى أصبح ذلك ديناً عند الرافضة يتقربون إلى الله ـ بزعمهـم الباطـل ـ باسـتباحة دمـاء أهـل السُّـنَّة وديارهم وأموالهم...

وواقعُ التاريخ الماضي والحاضر خاصة يشهد بذلك، كما أن حقائق التاريخ وواقع أهل السُّـنَّة عامة وأهل الشام خاصة؛ تشـهد بموالاتهم لأهل البيت ومودَّتهم لهم وحبِّهم وإجلالهم أضعافَ ما يُكِنُّونه مـن ذلك لمعاوية وآلـه والأمويين عامة!

وانظر واقعهم في الشـــام ومصر والجزيرة العربية وغيرها، بل وحتى الهند وباكســتان وما والاها؛ كي ترى الحبَّ الشــرعي لأهل البيت، وتســميةَ أبنائهم بأسماء علي والحسن والحسين وفاطمة الزهــراء وغيرهم، في حين لا تجدُ أســماءَ (معاوية) و(مروان) و(عبدالملك) و(الوليد) إلا أقلَّ من القليل.

وقُلْ مثلَ ذلك فيما صنَّفوه من كتــب مطوَّلة ومختصرة، عامة ومفردة، في فضائل أهل البيت ومناقبهم وسِيَرهم العطرة، وشَــحَنوا كُتب السُّــنَّة والحديث الشــريف بمناقبهم، وذلك مسطور منشور على مدى أربعة عشر قرناً...

وعلى الضدِّ من ذلك لا تجدُ البتَّة عند الرافضة التســميةَ بأســماء عامة الصحابة، دَعْ عنك التســميةَ بأبــي بكر وعمر وعثمان! أمَّا الثناءُ عليهم ونشرُ سِــيَرهم وتصنيفُ الكتب في فضائلهم، فهذا عند الرافضة أمر مســتحيل المنال، بل الواقع عندهم هو نقيضُ ذلك؛ حيث صنَّفوا في مثالبهم ومســاوئهم والعياذ بالله تعالى!.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

الانحراف والغلو الضال في محبة فاطمة وأهل البيت

اقترفت أيدي الكذابين والوضاعين والمتروكين والمجهولين آثاماً عظيمة؛ فافترت على رسول الله ﷺ وكذبت عليه ونسبت إليه (روايات) زعموها (أحاديث في فضائل فاطمة وآل البيت الأطهار) ـ فأجرموا بحق الشريعة، وأساؤوا إلى آل بيت النبي ﷺ، وجَنَوا على أنفسهم أوزاراً كبيرة...

ثم زاد الأمر سوءاً فاختلقت الرافضة مزاعمَ أخرى لهم وولَّدوا (أخلوقة الأئمة الاثني عشر)، وادَّعَوْا لفاطمة ولعليٍّ ولبقية الأئمة المزعومين ما لم يُعطِه الله تعالى للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ـ فتكونت من هذا وذاك (منظومة مفتراة) أُحِيطت بالقداسة، وتوارثتها كتب التراث، وضلَّ بها كثير من الناس، وغامَ وجهُ الحق، وشوِّهت سيرةُ أهل البيت الكرام الذين برَّأهم الله ورسوله من ذلك الإفك المبين!.

وأشير في هذا الفصل إلى مبحثين اثنين:

المبحث الأول:
طرف من الأحاديث الواهية والموضوعة في مناقب فاطمة وآل البيت:

١ ـ روى العباس بن الوليد بن بكار الضَّبِّي قال: حدثنا خالد بن عبد الله الواسِطيُّ، عن بَيَان، عن الشعبي، عن أبي جُحَيْفَةَ، عن عليٍّ عليه السلام قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمْعِ غُضُّوا أبصاركم عن فاطمةَ بنتِ محمد ﷺ حتى تمرَّ»[1].

٢ ـ وقال إسماعيل بن عَمْرو البَجَليُّ: حدثنا الأَجْلَح بن عبد الله الكِنْدِيُّ، عن حَبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضَمْرَة، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: (أخبرني رسول الله ﷺ أنَّ أولَ من

(١) أخرجه الحاكم: ١٥٣/٣، وأخطأ فَصحَّحه، وردَّ عليه الذهبي فقال: لا والله بل موضوع، والعباس؛ قال الدَّارَقُطْني: كذاب. وذكره ابن عَرَّاق في تنزيه الشريعة: ٤١٨/١؛ وأورده الألباني في «الضعيفة» (٢٦٨٨) وقال: موضوع، وأجاد في الكلام عليه، وردَّ على الشيخ أحمد الغُماري في تقويته لهذا الحديث واتهامه أهلَ الحديث بأنهم (نواصب)!. والخبر في كتب الشيعة، انظر مثلاً: أمالي الصدوق، المجلس الخامس، ص ٢٥، الحديث (٤)؛ بحار الأنوار: ٢١٩/٤٣، الحديث (١)؛ أمالي المفيد، المجلس (١٥)، ص ١١٦، الحديث (٦).

يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلتُ: يا رسول الله، فمُحِبُّونا؟ قال: «من ورائكم»)[1].

٣ ـ وعن عائشة قالت: (قلتُ: يا رسولَ الله، ما لَكَ إذا جاءتْ فاطمةُ قَبَّلْتَها حتى تجعلَ لسانَكَ في فِيها كلّه كأنك تريد أن تُلْعِقَها عسلاً؟! قال: «نعم يا عائشة، إني لمَّا أُسْرِي بي إلى السماء أدخلَني جبريل الجنة، فناوَلَني منها تفاحةً فأكلتُها، فصارت نطفةً في صُلْبي، فلما نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمةُ من تلك النطفة، وهي حَوْراء إِنْسيَّة كلما اشتقتُ إلى الجنة قبَّلْتُها!»).

وفي رواية: عن سعد بن أبي وقّاص قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريلُ ﵇ بسَفَرْجَلَة من الجنة فأكلتُها ليلة أُسْري بي، فَعَلِقَتْ خديجةُ بفاطمةَ، فكنتُ إذا اشتقتُ إلى رائحة الجنة شممتُ رقبةَ فاطمة»!)[2].

---

(١) أخرجه الحاكم: ١٥١/٣ وصحّحه، وتعقَّبه الذهبي فقال: إسماعيل وشيخُه وعاصم ضُعِّفوا، والحديث منكَر من القول يشهد القلب بوضعه. وعزاه الصالحي في سبل الهدى والرشاد: ٤٢٨/١١ للطبراني، وقال: سنده واهٍ.

(٢) المستدرك: ١٥٦/٣؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ٣٠٨/١؛ تنزيه الشريعة، لابن عَرَّاق: ٤٠٩/١؛ تذكرة الموضوعات، للفَتَّني الهندي، ص ٣٠٨؛ تاريخ بغداد: ٨٧/٥، ترجمة (٢٤٨١)، وغيرها.

قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: هذا كذبٌ جَليٌّ لأن فاطمة وُلدت قبل النبوة فضلاً عن الإسراء.

وذكر الحديثَ في «الميزان» وقال: هذا حديث موضوع مهتوك الحال[1].

وحكمَ عليه بالوضع ابن الجوزي والسيوطي وابن عَرَّاق وغيرهم.

وهذا الذي وَضَع هذا الخبر وكذلك الذين صدَّقوه وأثبتوه في كتبهم على جهة الاحتجاج به ـ هم قوم مخذولون لا عقولَ لهم؛ فالسيدة فاطمة وُلدت سنة خمس قبل البعثة، والإسراء كان سنة عشر أو بعدها، فيكون عُمُر فاطمة أزيدَ من خمس عشرة سنة. وأمها السيدة خديجة توفيت سنة عشر من النبوة وقبل أن تُفرض الصلاة، أي قبل الإسراء والمعراج! فتأمل.

وقد روت كتب الشيعة هذا (الحديث الموضوع)[2] بطريقة طريفة على عادتهم، إذ لا يَخفى على المطَّلع على (كتب الحديث) عند القوم الطابعُ القصصي المثير للعواطف عند

---

(١) ميزان الاعتدال: ٥١٩/٢، ترجمة (٤٦٧٢).

(٢) تفسير القمي: ٣٤/١؛ بحار الأنوار: ٤/٤٣، الحديث (٢، ٥)؛ مقتل الحسين، للخوارزمي: ٦٤/١؛ فاطمة بنت محمد، للسيد علي عاشور، ص ٧ ـ ٩. وانظر الحاشية التالية.

العامة لكثير من الأحاديث والروايات، وهذا (المنهج!) عندهم يشكل سمة بارزة عند كثير من علمائهم ومصنِّفيهم وخطبائهم، وفي (مساحات كبيرة) من كتبهم وأدبياتهم التي تنطوي على خرافات كثيرة.

فأحدُ أعمدتهم وهو المعروف بالشيخ الصدوق (ابن بابويه القُمي: ت٣٨١هـ)، في (باب نوادر المعاني) من كتاب «معاني الأخبار» يروي هذا الحديث بإسناده، فيقول:

(حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل - رضي الله عنه - قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحِمْيَري، عن يعقوب بن يزيد قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضّال، عن عبدالرحمٰن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده - عليهم السلام - قال: قال رسول الله ﷺ:

«خُلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تُخلق الأرض والسماء» فقال بعض الناس: يا نبي الله، فليست هي إنسيَّة؟ فقال ﷺ: «فاطمة حَوْراء إنسيَّة» قال: يا نبي الله، وكيف هي حوراء إنسيَّة؟ قال: «خلقها الله ﷿ من نوره قبل أن يَخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خَلق الله ﷿ آدمَ عُرضت على آدم»! قيل: يا نبي الله، وأين كانت فاطمة؟ قال: «كانت في حُقَّةٍ تحت ساق العرش» قالوا: يا نبي الله، فما كان طعامُها؟

قال: «التسبيح والتهليل والتحميد. فلما خلق الله ﷻ آدم وأخرجني من صُلْبه، أحبَّ الله ﷻ أن يُخرجها من صُلبي؛ جعلها تفاحةً في الجنة وأتاني بها جبريل عليه السلام، فقال لي: السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السَّلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل. فقال: يا محمد إن ربَّك يُقرئك السَّلام، قلتُ: منه السَّلام وإليه يعود السَّلام، قال: يا محمد، إن هذه تفاحة أهداها الله ﷻ إليك من الجنة. فأخذتُها وضَممتُها إلى صدري. قال: يا محمد، يقول الله جلاله كُلْها! فَفَلَقتُها فرأيت نوراً ساطعاً ففزعتُ منه، فقال: يا محمد ما لَكَ لا تأكلُ؟ كُلْها ولا تَخَفْ؛ فإن ذلك النور: المنصورة في السماء، وهي في الأرض: فاطمة. قلت: حبيبي جبرئيل، ولِمَ سُمِّيَتْ في السماء: (المنصورة)، وفي الأرض: (فاطمة)؟ قال: سُمِّيت في الأرض (فاطمة) لأنها فَطَمَتْ شيعتَها من النار، وفُطِم أعداؤها عن حبِّها! وهي في السماء: (المنصورة)؛ وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤ ـ ٥] يعني نصر فاطمة لمحبيها»)[1].

(١) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧؛ السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية، للدكتور عدنان زرزور، ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

٤ ـ عن أنس بن مالك قال: (كنتُ قاعداً عند رسول الله ﷺ، فغَشِيَه الوحيُ، فلما سُرِّيَ عنه قال: «يا أنس، أَتدري ما جاءني به جبرئيلُ من عند صاحب العرشِ؟» قلتُ: الله ورسوله أعلمُ، قال: «إن الله تعالى أمرني أن أُزوِّجَ عليّاً من فاطمة»)(١).

حديث موضوع، حكم بوضعه ابن الجوزي والسيوطي وابن عَرَّاق والشَّوكاني والألباني وغيرهم.

٥ ـ قال أبو بكر محمد بن حَيُّوَيْهِ: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيُّ، أخبرنا عبدالرزاق بن همَّام، حدثني أَبي، عن مِيناء بن أبي ميناء مولى عبدالرحمٰن بن عوف قال: (خُذوا عنّي قبل أن تُشابَ الأحاديثُ بالأباطيلِ؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أنا الشجرةُ، وفاطمة فرعُها، وعليٌّ لِقاحُها، والحسن والحسين ثمرتُها، وشيعتُنا ورقها، وأصلُ الشجرة في جنة عَدْن، وسائرُ ذلك في سائر الجنة»)(٢).

---

(١) الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٤١٥ ـ ٤١٨؛ اللآلئ المصنوعة: ١/٢٠٥؛ تنزيه الشريعة: ١/٤١٠ ـ ٤١١؛ الفوائد المجموعة، ص ٣٩٠؛ السلسلة الضعيفة (١٨٤٥)؛ سبل الهدى والرشاد: ١١/٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٢) المستدرك: ٣/١٦٠؛ تنزيه الشريعة: ١/٤١٤. وهو في كتب الشيعة: بصائر الدرجات، ص ٩١ ـ ٩٣؛ أمالي المفيد، ص ٢١٥، المجلس (٢٨)، الحديث (٥)، وبنحوه في: أصول الكافي، ص ١٢٧.

وقد اشتد الذهبي على الحاكم لإيرادِه أمثالَ هذا الخبر الموضوع في «المستدرك على الصحيحين»، وكذلك أنكَر قولَه بأن (ميناء)[١] صحابي سمع من النبي ﷺ، فقال: (قلتُ: ما قال هذا بشرٌ سوى الحاكم، وإنما ذا ـ أي ميناء ـ تابعي ساقط، وقال أبو حاتم: كذاب يكذب، وقال ابن معين: ليس بثقة. ولكن أظن أن هذا وُضِع على الدَّبَري، فإن ابن حَيُّوَيْه متَّهم بالكذب! أفما استحييتَ أيها المؤلف أن تورد هذه الأخلوقات من أقوال الطُّرقيّة فيما يُستدرك على الشيخين؟!)[٢].

٦ ـ عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أهل بيتي كمثل سفينة نوحٍ: مَنْ ركب فيها نَجَا، ومَن تخلَّفَ عنها غَرِق، ومَن قاتَلَنا في آخر الزمان كمن قاتل مع الدجّال»[٣].

---

(١) هو ممن يروي عن الصحابة، متهم بالكذب، وترجمته مظلمة في كتب «المتروكين والوضاعين».

(٢) تلخيص المستدرك: ١٦٠/٣.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٣٧/٣، ٣٨، ٣٤/١٢؛ المستدرك: ٣٤٣/٢، ١٥٠/٣ ـ ١٥١؛ ضعيف الجامع الصغير (١٩٧٤) و(٥٢٤٧)؛ مشكاة المصابيح: ١٧٤٢/٣؛ مجمع الزوائد: ١٦٨/٩.

قال الذهبي: فيه مفضَّل بن صالح، واهٍ، وقال الهيثمي: فيه متروكان، وضَعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع»، وقال في تحقيق «المشكاة»: إسناده واهٍ.

٧ ـ روى خالد بن عَمْرو الحِمْصِيُّ، عن عُبيد الله بن موسى، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: (أصابَ فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ صبيحةَ العرس رِعْدَةٌ، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا فاطمة، إني زَوَّجْتُك سيداً في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة إني لمَّا أردتُ أن أُمَلِّكَكِ لعليٍّ: أمر الله جبريلَ فقام في السماء الرابعة فصَفَّ الملائكة صفوفاً ثم خَطب عليهم جبريل فزَوَّجكِ من عليٍّ! ثم أَمر شجرَ الجنان فحملَتِ الحُلي والحُلَل، ثم أمرها فنثَرتْه على الملائكة، فمن أَخذ منهم يومئذٍ أكثرَ مما أَخذ صاحبُه أو أحسنَ افتخرَ به إلى يوم القيامة»! قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أول من خطب عليها جبريل)[1].

(١) تاريخ بغداد: ٤/١٢٩، ترجمة (١٨٠٥)؛ الموضوعات، لابن الجوزي: ١/٤١٩؛ تنزيه الشريعة: ١/٤١٦ ـ ٤١٧؛ ميزان الاعتدال: ١/٦٣٧ ترجمة خالد بن عمرو؛ منهاج السُّنَّة: ٤/٥٢٣.

قال الخطيب البغدادي بعد روايته هذا الحديث: غريب جدّاً. وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: موضوع، والمتهم به خالد بن عَمْرو الحمصي. وقال ابن تيمية في «منهاج السُّنَّة»: وهذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة خالد بن عمرو، وقال: هو من بلاياه، وهو حديث كذب!.

٨ ـ عن عمران بن حُصَيْن قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ ربي عزّ وجلّ أن لا يُدْخِل أحداً من أهل بيتي النارَ، فأعطانيها»[1].

فيه أبو حمزة الثُّمَالي: ليس بثقة، ومحمد بن يونس الكُدَيْميّ: وضاع.

قال الألباني: **حديث موضوع**.

❁ ❁ ❁

(١) فردوس الأخبار، للديلمي: ٤٢٩/٢، حديث (٣٢٢٢)؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٢٩/١١؛ ضعيف الجامع (٣٢٢٣)؛ السلسلة الضعيفة (٣٢٢).

المبحث الثاني
بعض البلايا التي جاءت في كتب الرافضة بشأن فاطمة وعلي وأهل البيت

أولاً: حديث الطينة[1]:

روى الكُلِيني بسنده في «الكافي»: عن محمد بن مروان، عن أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام، قال: سمعتُه يقول: (إنَّ اللهَ خَلَقَنا من نور عظمتِه، ثم صَوَّر خَلْقَنا من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ من تحت العَرْش، فأَسْكَن ذلك النورَ فيه، فكنَّا نحن خَلْقاً وبشراً نُورانيِّين، لم يَجعلْ لأحدٍ في مثلِ الذي خَلَقنا منه نَصِيباً. وخَلَق أرواحَ شيعتِنا من طينتنا، وأبدانَهم من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ أسفلَ ذلك! الطينة، ولم يَجعل الله لأحدٍ في مثلِ الذي خَلَقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صِرْنا نحن وهم الناسَ، وصارَ سائرُ الناس ـ باقيهم ـ هَمَجاً للنار وإلى النار).

(١) انظر: أصول الكافي، باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، ص ٢٣١، وكتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٥؛ بصائر الدرجات، باب فيه خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وقلوبهم وأبدان الشيعة وقلوبهم، ص ٤٥ ـ ٥١؛ الوافي، للفيض الكاشاني: ٣٠٧/٢، الحديث (٧٦٢)، ٤٩٣/٣، الحديث (٩٩٥)، ٦٨٤ ـ ٦٨٥، الحديثان (١٢٨٨، ١٢٨٩)؛ بحار الأنوار: ٢٢٩/٥ ـ ٢٤٨؛ الأنوار النعمانية: ٢٨٧/١؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٦٠١/٢ ـ ٦٠٧.

وهذا النص يدل على أن (الطِّينات ثلاثٌ): أعلاهن خُلق منها الأئمة، والتي بعدها خُلق منها شيعةُ الأئمة والأنبياءُ، فالأئمةُ فوق الأنبياء بحكم الخَلْق والتكوين! وأدنى الطينات خُلق منها بقية الناس!.

ويحدثنا الكُلِيني في الحديث الذي يلي هذ الحديث في «الكافي» عن عشر طينات لا عن ثلاث فقط!.

روى الكُلِيني بسنده في «الكافي»: عن علي بن رئاب، رفَعَه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (إنَّ لله نَهراً دونَ عرشه، ودونَ النهرِ الذي دون عرشِه: نورٌ نَوَّرَه، وإنَّ في حافتَي النهر روحينِ مخلوقينِ: روحُ القُدُس، وروحٌ من أمرِه. وإن لله عشرَ طيناتٍ: خمسة من الجنة، وخمسة من الأرض)، ففسَّر الجِنان وفسَّر الأرض! ثم قال: (ما من نبيٍّ ولا مَلَكٍ من بعدِه جَبَله إلا نَفَخَ فيه من إحدى الروحين، وجَعل النبيَّ ﷺ من إحدى الطِّينتين)، قلتُ لأبي الحسن الأول عليه السلام: ما الجَبْلُ؟ قال: (الخلقُ غيرَنا أهلَ البيت، فإن الله ﷻ خَلَقنا من العشر طيناتٍ، ونَفَخَ فينا من الروحين جميعاً، فأَطِبْ بها طِيباً). وفي بصائر الدرجات: (فأطيبُهما طينتُنا).

وروى غيره: عن أبي الصامت قال: (طِينُ الجنانِ: جنة عَدْن وجنة المأوى وجنة النعيم والفِردوس والخُلْد. وطينُ الأرض: مكةُ والمدينة والكوفة وبيت المقدس والحائر).

وروى الكُلِيني بسنده: عن أبي حمزة الثُّمَالي قال: سمعتُ علي بن الحسين عليهما السلام يقول: (إن الله تعالى خَلَق محمداً وعليّاً وأحدَ عشر من ولده؛ من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خَلْق الخلق، يسبِّحون الله ويقدِّسونه. وهم الأئمة من ولد رسول الله ﷺ).

وساق المحدث الحجة عبدالله شُبَّر (حديث الطِّينة) في عشر صفحات، واستهلَّ به كتابه المشهور: «مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار».

قلت: هذه (الأحاديث المتواترة معنويّاً) عند الرافضة، والتي تُعتبر من أصولهم، وجاءت في أهم كتبهم وأصحِّها؛ تصادِمُ الآياتِ القرآنية والسُّنَّة النبوية الصحيحة، التي حدَّثَتْنا عن خَلْق الإنسان، كما أنها تصادم العقل والواقع؛ فكل البشر خُلقوا لآدم، وآدمُ من تراب، و(الأئمة المزعومون) وُلدوا لآباء، وأمهات، ولهم تواريخ ميلاد ووفاة، وسيدُ ولد آدم محمد ﷺ تقلَّب في رحم أمِّه مثلَ بقية البشر، وولدتْه امرأة كانت تأكل القديد بمكة!.

ويوجد نحو هذا الخبر المكذوب في (كتب الموضوعات)، ذكر ابن عَرَّاق إحدى رواياته في «تنزيه

الشريعة»، وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: **حديث موضوع**، وقال في موضع آخر: خبر باطل[١].

ثانياً: الأئمة ونور الله[٢]:

روى الكُلِيني بسنده إلى الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتُك وعليّاً نوراً، يعني روحاً بلا بدن، قبل أن أَخلق سماواتي وأرضي وعَرْشي وبحري، فلم تزل تهلِّلني وتمجِّدني، ثم جمعتُ روحَيْكما فجعلتُهما واحدة، فكانت تمجِّدني وتقدِّسني وتهللني. ثم قسمتُها ثِنتين، وقسمتُ الثنتين اثنتين فصارت أربعةً: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان. ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحها بيمينه فأفضَى نورُه فينا).

قال الفيض الكاشاني: (ثم) في قوله: (ثم جمعت روحيكما) ليست للتراخي في الزمان، بل في المرتبة.

وفي (باب أن الأئمة عليهم السلام نورُ الله ﷻ)، روى

(١) تنزيه الشريعة: ٤١٩/١؛ ميزان الاعتدال: ٢٣/٣، ١٥٩.
(٢) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب مولد النبي ﷺ ووفاته، ص ٢٦٣؛ الوافي، للفيض الكاشاني: ٦٨٠/٣، الحديث (١٢٨٠).

الكُلِيني بسنده: عن صالح بن سَهْل الهَمْداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فاطمةُ عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحَسن، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الحُسين، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ فاطمةُ كوكبٌ دُرّيٌّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ يكاد العلمُ يتفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمامٌ منها بعد إمام، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾. قلت: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾؟ قال: الأولُ وصاحبُه! ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ الثالثُ! ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ الثاني! ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاويةُ وفتنُ بني أمية! ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ إمامٍ يوم القيامة)(١).

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، ص ١١١. قوله (الأول): يعني أبا بكر الصديق. (وصاحبه) و(الثاني): يعني الفاروق عمر. و(الثالث): أي ذو النورين عثمان!.

ثالثاً: علم الأئمة[1]:

عن سيف التَّمّار قال: (كنا مع أبي عبدالله عليه السلام جماعةً من الشيعة في الحِجْر، فقال: علينا عينٌ؟ فالتفتنا يَمنةً ويَسْرةً فلم نَرَ أحداً، فقلنا: ليس علينا عينٌ، فقال: وربِّ الكعبة وربِّ البَنِيَّة ـ ثلاث مرات ـ لو كنتُ بين موسى والخَضِر لأخبرتهما أني أعلمُ منهما، ولأنبأتُهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر أُعطِيا علمَ ما كان ولم يُعْطَيَا علمَ ما يكونُ وما هو كائنٌ حتى تقوم الساعة، وإنَّ رسولَ الله ﷺ أُعطِي علمَ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد وَرِثْناه من رسول الله ﷺ وراثةً!).

وعن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدَّة من أصحابنا منهم عبدالأعلى وأبو عُبيد وعبدالله بن بِشْر الخَثْعَمي؛ سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول: (إنِّي لأعلمُ ما في السموات وما في الأرض، وأعلَمُ ما في الجنة وأعلمُ ما في النار، وأعلمُ ما كان وما يكون!) قال: ثم مكَثَ هُنَيئة فرأى أن

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، ص ١٤٩؛ بصائر الدرجات، ص ١٦١ - ١٦٢. وفيهما ـ وفي غيرهما ـ أخبار كثيرة مذهلة في هذا الباب ونظائره، تعطي الأئمة مشاركة الله سبحانه في كثير من صفات الألوهية!.

ذلك كَبُر على مَن سَـمِعَه منه، فقال: (علمـتُ ذلك من كتاب الله ﷿، إن الله ﷿ يقول: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]).

رابعـاً: الصلاة فـي بيت فاطمـة أفضل مـن الصلاة في الروضة[1]:

عـن يونس بن يعقـوب قـال: (قلت لأبي عبـد الله عليه السـلام: الصلاة في بيت فاطمة عليها السـلام أفضلُ أو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة عليها السلام).

وعـن جميل بـن درَّاج قال: (قلـت لأبي عبـد الله عليه السـلام: الصلاةُ في بيت فاطمة عليها السلام مثلُ الصلاة في الروضة؟ قال: وأفضل).

خامساً: فاطمة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل:

روى العياشي في «تفسـيره» عن المُفَضَّل الجُعْفيِّ قال: (سألت أبا عبد الله عليه السـلام عن قول الله ﷿: ﴿كَمَثَلِ حَبَّـةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقـرة: ٢٦١]؟ قال: الحبـةُ فاطمةُ، والسبعُ السنابل من ولدِها، سابعُهم قائمهم! قلت: الحسن؟ قال: الحسـن إمام من عند الله تعالى مُفترَضٌ طاعتُه، ولكن ليس من السـنابل السبعة، أولهم الحُسـين وآخرُهم القائم!

(١) الوافي، للفيض الكاشاني: ١٤/١٣٦٥، الحديثان (١٤٤٠٦ و١٤٤٠٧).

فقلت: قوله: ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾؟ فقال: يُولَد للرجل منهم في الكَرَّة مئة من صُلْبِه، وليس ذلك إلا لهؤلاء السبعة!)[1].

قلت: عددُ الأئمة من (الحسين) إلى صاحب الزمان (القائم) عشرة، فهل أَسقط بعضَهم ليستقيم له التفسير؟!.

هذا والكلام حول (دين الرافضة وأصولهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم)؛ لا نهاية له ولا قرار، ولا يَحتمله نصٌّ ولا يَقبله بحث ناقد ولا يُسِيغه عقلٌ سليم، وحسبنا هذه الإلماعة التي تناسب هذا الكتاب، ومن أراد المزيد وإضاعة الوقت وتأكَّد لديه الحفاظُ على سلامة عقله وذوقه؛ فدونه كتب القوم من المتقدمين والمتأخرين، ولينظر أيضاً ما كتبه بعض المصنِّفين والباحثين من أهل السُّنَّة، مثل: كُتب إحسان إلٰهي ظهير، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية» للدكتور ناصر بن عبدالله القفاري، و«السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية» للدكتور عدنان زرزور.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مصابيح الأنوار، لِشُبَّر: ٢/٤١٨ ـ ٤١٩.

الباب الثامن

الزهراء مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة

- منزلة الرسول ﷺ من قلب فاطمة والصحابة، وهول الفاجعة بوفاته.
- إرهاصات وفاة رسول الله ﷺ، وعلم السيدة فاطمة بها.
- حزن السيدة الزهراء على أبيها ﷺ.

• • •

الفصل الأول

منزلة الرسول ﷺ من قلب فاطمة والصحابة، وهول الفاجعة بوفاته

•• عاش رسول الله ﷺ مع الصحابة ثلاثاً وعشرين سنة، كان فيها روحَ حياتهم ومِلْءَ أبصارهم وأسماعهم، وهاديهم ومعلِّمَهم ومربيهم وقائدَهم وإمامَهم، ومهبطَ الوحي الأمين، وصلةَ الأرض بالسماء، ومنبعَ الخير والهداية والعرفان والبر والرحمة... وأمضوا حياتهم في تلك النِّعم الممدودة، حتى لم يتخيَّلوا أن يعيشوا دونها.

هذا شأن الناس جميعاً مع رسول الله ﷺ ومنزلته من أرواحهم وقلوبهم وحياتهم، أما حال السيدة الزهراء فذلك كله وزيادة أنه أبوها الذي عاشت في كنف رحمته ومحبته ورعايته وتربيته كل ساعة ودقيقة من عمرها المبارك، مذ وُلدت وإلى أن تزوجت وصارت أمّاً لريحانَتَيْه ﷺ؛ فكان كلّ حياتها وحياة أولادها الأطهار، وإن فراقه لأمرٌ فوق الطاقة والتحمل، وغيابَهُ عن مسرح الوجود الدنيوي مصيبةٌ دونها كل مصيبة.

ولقد كانت هناك إرهاصات بدنوِّ أَجَلِ رسول الله ﷺ، كما أومأ هو ﷺ في غير ما حديث إلى أنه قد أدى الأمانة تامة على وجهها، وأيامه تُؤْذِن بالرحيل إلى دار الخلود، وعَلِمَتْ فاطمة ذلك، كما عَلِمه كثيرٌ من الأصحاب رضي الله عنهم.

ولكنْ لما وقع الحدث الجَلَل وأَسدل القدر على الحياة رداءً من الحزن الباخِع، وودَّع المصطفى ﷺ هذه الحياة ولَحِق بالرفيق الأعلى؛ كان امتحاناً مريراً فوجئ به المؤمنون فَسَلَّ أرواحَهم من أبدانهم، وخَلَع قلوبهم من صدورهم، وأَضفى عليهم الذهول والحيرة، وطاشَتْ من هول الخَطْب العقول، وصُمّت الآذان، وغارت الأبصار، واختَلَجت البصائر، وأظلَمتِ الدنيا في وجوه المؤمنين[1]!.

•• ووفاته ﷺ - بأبي هو وأمي - كانت أعظمَ مصيبة أُصيب بها المسلمون، وأشدَّها وقعاً على قلوبهم، وأعظمَها رُزْءاً عليهم! بل إن النبي ﷺ قد أشار إلى ذلك فيما ترويه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس - أو: كَشَفَ سِتْراً - فإذا الناس يُصلُّون وراء أبي بكر، فَحَمِدَ اللهَ على ما رأى من حُسْن حالِهِم، ورجاءَ أن يَخْلُفَه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: «**يا أيها الناس! أيُّما أحدٍ**

(١) انظر: حياة رجالات الإسلام، للصادق عرجون، ص ٧٤ - ٧٥.

من الناس ـ أو: من المؤمنين ـ أُصِيب بمصيبةٍ؛ فَلْيَتَعزَّ بمصيبته بي عن المُصيبة التـي تُصِيبه بغيري، فإن أحـداً من أمتي لن يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مُصيبتي»)[1].

قال المُنَاوي: (مقصـودُ الحديث: أنَّ تذكُّرَ المصابِ وقوعَ المصيبـة العظمـى العامة بفَقْـدِ المصطفى ﷺ؛ يهـوِّن عليه ويُسلِّيه)[2].

•• حقّاً لقد كان هـول الفاجعة عظيماً علـى قلب فاطمة البتول وقلوب الصحابة جميعـاً، حتى لقد أظلمت المدينة في أَعيُنِهـم، بل الكون كلـه، وحُقَّ لهم ذلك، وقـد عبَّر أنس بن مالك ﷺ عن تلك السـاعات الرهيبة؛ فقـال: (لمَّا كان اليومُ الذي دَخَلَ رسول الله ﷺ فيه المدينةَ، أضاءَ منها كلُّ شيء! فلما كان اليومُ الذي مات فيه؛ أَظْلَمَ منها كلُّ شـيء، وما نَفَضْنا عن النبي ﷺ الأيديَ، وإنَّا لفي دفنِهِ، حتى أَنْكَرْنا قلوبَنا!)[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٩٩)؛ وصححه الألباني بشواهد في «الصحيحة» (١١٠٦)، وصحيح ابن ماجه.

(٢) فيض القدير: ١/٢٨٦.

(٣) أخرجه أحمـد (١٣٣١٢)؛ والترمـذي (٣٩٤٦)؛ وابن ماجه (١٦٣١)؛ وابن حبان (٦٦٣٤)، وقـال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

وتصوِّر لنا أم أيمن ﵂ حاضنتُه ﷺ مدى حزنها وسَـببَه، فترى من خلال كلماتهـا القليلة العميقة جلالـةَ الفهم، ورقةَ المشاعر، وأشـواقَ الروح التي كان عليها ذلك الجيل العظيم من الصحابة رجالاً ونساءً.

عن أنس قال: (قال أبو بكر ﵁ ـ بعد وفاة رسـول الله ﷺ ـ لعُمَر: انطلِـقْ بنا إلى أم أيمـن نَزُورُها، كما كان رسـول الله ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بَكَتْ، فقالا لها: ما يُبكيكِ؟ ما عندَ الله خيرٌ لرسوله ﷺ! فقالت: ما أبكي أن لا أكونَ أعلمُ أن ما عند الله خيرٌ لرسـوله ﷺ، ولكنْ أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء! فَهَيَّجَتْهُما على البكاء، فجعلا يَبْكيان معها!)[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٤)؛ وابن ماجه (١٦٣٥)؛ وابن سعد: ٨/٢٢٦.

الفصل الثاني

إرهاصات وفاة رسول الله ﷺ، وعلم السيدة فاطمة بها

عن هلال بن خبَّاب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لمَّا نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، دعا رسولُ الله ﷺ فاطمةَ فقال: «**إنَّه نُعِيَتْ إليَّ نفسي**» فبَكَتْ، فقال لها: «**لا تبكي، فإنكِ أولُ أهلي لاحقٍ بي**» فضَحِكَتْ)[1].

وعن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعَة الأَسَديِّ: أن أم المؤمنين أم سَلَمة أخبرَتْه: (أن رسول الله ﷺ دعا فاطمةَ عام الفتح، فناجاها فبَكَتْ، ثم حدَّثَها فضَحِكَتْ! قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ سألتُها عن بُكائها وضَحِكها؟ قالت: أخبرني

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٩٠٣) و(١١٩٠٤)؛ وبنحوه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٨)؛ وذكره الهيثمي في «المجمع»: ٢٣/٩ وعزاه للطبراني في «الكبير والأوسط»، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خباب وهو ثقة وفيه ضعف. وانظر: صحيح ابن حبان (٧٢٩٨).

رسـول الله ﷺ أنه يموت، فبكيْتُ، ثم أخبرني أنِّي سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنة إلا مريمَ بنتَ عمرانَ، فضَحِكْتُ)(١).

وعـن أم المؤمنين عائشـة قالت: (لمَّا مـرِضَ النبي ﷺ دخلَتْ فاطمةُ، فأَكَبَّتْ عليه فقبَّلَتْه، ثم رفَعَتْ رأسها فبَكَتْ، ثم أكبَّتْ عليه، ثم رفعتْ رأسها فضَحِكَتْ! فقلت: إنْ كنتُ لأظنُّ أن هـذه من أعقلِ نسـائنا، فإذا هـي من النسـاء. فلما توفي النبي ﷺ قلتُ لها: أرأيتِ حيـن أكبَبْتِ على النبي ﷺ فرفعتِ رأسَـكِ فبكيْتِ، ثم أكببتِ عليه فرفعتِ رأسك فضَحِكْتِ، ما حملكِ على ذلك؟ قالت: إني إذاً لَبَذِرَةٌ، أخبرني أنه مَيِّتٌ من وجَعِه هذا فبكيتُ، ثم أخبرني أنِّي أسرعُ أهلِه لحوقاً به، فذاكَ حين ضَحِكْتُ)(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي (٤٢١١) و(٤٢٣١)؛ والنسائي في «الكبرى» (٨٤٦٠)؛ وأبو يعلـى (٦٧٤٣) و(٦٨٨٦)، وقال الترمذي: حسـن غريب، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجـه الترمـذي (٤٢١٠). وتقـدم مـن طريـق أخرى مطـولاً في الصحيحين وغيرهمـا؛ انظـر: ص ١٨١ ـ ١٨٢ حاشـية (١) في هذا الكتاب. لَبَذِرَة: البَذِرُ: الذي يُفشي السرَّ ويُظهر ما يَسمعه.

الفصل الثالث

حزن السيدة الزهراء على أبيها ﷺ

•• عاينت السـيدة البتول اللحظات الأخيـرة الرهيبة في حياة الرسـول الأعظم ﷺ، ورأَتْه وهو يعاني غمراتِ الموت وشدائده، وهو ما وصفَتْه أم المؤمنين عائشة وقد مات ورأسه الشريف بين حَنَكها وصدرها ﷺ ورضي عنها.

تقول الصِّديقة عائشـة: (مات النبي ﷺ وإنه لَبَيْنَ حاقِنَتي وذاقِنَتِي، فلا أَكْرَهُ شدةَ الموتِ لأحدٍ أبداً بعد النبي ﷺ).

وفي رواية: (وبين يَدَيْهِ رَكْوةٌ فيها ماء، فجعل يُدخِلُ يدَيْهِ في الماء فَيَمْسَـحُ بهما وجْهَه يقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموتِ سـكرات**»! ثم نَصَب يدَه فجعل يقول: «**فـي الرفيقِ الأعلى**» حتى قُبِض ومالَتْ يدُه)[1].

وذلك لأن له بسبب الألم الشديد مضاعفةً في الأجر، كما

---

(١) أخرجـه البخـاري (٤٤٤٦، ٤٤٤٩) وأطرافـه فـي (٨٩٠)؛ ومسـلم (٢٤٤٣)؛ وابن حبـان (٧١١٦)، وغيرهم. **الحاقِنـة**: الوَهْدَة المُنخفِضة بين الترقوتين. **الذاقِنَة**: الذَّقَن، وقيل: ما يَناله الذَّقَن من الصَّدْر.

جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يُوعَكُ، فَمَسَسْتُه بيدِي، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنك لَتُوعَكُ وَعْكاً شديداً! فقال رسول الله ﷺ: **«أَجَلْ، إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلانِ منكم»** قال: فقلت: ذلك أنَّ لك أَجْرَيْن؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أَجَلْ»**. ثم قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يُصيبه أذًى من مرضٍ فما سواه، إلا حَطَّ الله به سيئاتِه، كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقها»**)(١).

رأت فاطمة أباها وقرَّةَ عينها وهو يعاني من تلك الآلام وذاك الكرب، فحزنت لذلك، وراحت تخاطبه بقلبٍ واجفٍ يفيض شفقةً ورحمةً وحبّاً، مع الألم الصامت الذي يَجيش في صدرها وتغشى معالِمُه وجْهها وكيانَها، وقد روى أنس بن مالك ذلك المشهد فقال:

(لمَّا تغشَّى رسولَ الله ﷺ الكَرْبُ كان رأسُه في حَجْر فاطمة، فقالت فاطمة: وَاكَرْبَاهُ لِكَرْبِكَ اليوم يا أبتاهُ! فرفع رأسَه ﷺ وقال: **«لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليوم يا فاطمةُ»**. فلما توفي قالت فاطمة: وَاأبتاهُ أجاب ربّاً دَعاهُ، وَاأبتاهُ من ربِّه ما أدناهُ، واأبتاه إلى جنة الفِردوس مأواهُ، واأبتاهُ إلى جبريلَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧، ٥٦٤٨)؛ ومسلم (٢٥٧١). **الوعك**: الحمى، وقيل: ألمها.

أَنْعاهُ. قال أنس: فلما دفنَّاه مررتُ بمنزل فاطمة، فقالت: يا أنسُ، أَطابَتْ أنفسُكم أنْ تَحْثُوا على رسول الله ﷺ الترابَ؟!)[١].

قال الحافظ: (أشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك؛ لأنه يدل على خلاف ما عرفَتْه منهم من رقَّة قلوبهم عليه لشدَّة محبَّتِهم له، وسَكَتَ أنس عن جوابها رعايةً لها، ولسانُ حاله يقول: لم تَطِبْ أنفسُنا بذلك، إلا أنَّا قَهَرْنَاها على فعله امتثالاً لأمره)[٢].

وهذا الموقف قد أبكى الصحابةَ وخلع أفئدتهم، بل وتعدَّاهم إلى التابعين، فكان الواحد منهم يبكي حتى تختلِجَ أضلاعُه لمجرد أن يروي هذا الحديث، فما بالك لو شاهد الموقف الرهيب؟!.

فقد روى هذا الحديث: حماد بن زيد، عن ثابت البُنَاني، عن أنس، وفي آخره: (قال حماد: فرأيتُ ثابتاً حين حَدَّثَ بهذا الحديثِ بكى حتى رأيتُ أضلاعَه تَخْتَلِف)[٣].

•• وبَلَغ من حزنها على أبيها ﷺ ورضي عنها: أنها لم تُرَ ضاحكةً بعده حتى لَحِقتْ بالله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢)؛ وابن ماجه (١٦٣٠)؛ وأحمد (١٣١١٧)؛ وابن حبان (٦٦٢٢) واللفظ له.

(٢) الفتح: ٩/٧٩٧، شرح الحديث (٤٤٦٢).

(٣) سنن ابن ماجه (١٦٣٠)؛ وبنحوه عند الدارمي (٨٧).

روى يزيد بــن أبي زيــاد، عن عبدالله بن الحــارث قال: (مكَثتْ فاطمةُ بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر وهي تذوب!)[1].

وقال أبو جعفر الباقــر: (مكثَتْ فاطمةُ بعد النبي ﷺ ثلاثة أشهر ـ وفي رواية: ستة أشهر، وهو الصواب ـ وما رُئِيَتْ عليها الســلام ضاحكةً بعد رســول الله ﷺ، إلا أنَّهم قــد امْتَرَوا في طَرَف نابِها يوماً!)[2]. أي: إنها تبسَّــمَتْ فــي أحدِ الأيام فظهر طرفُ نابها، وهم في شكٍّ من وقوع ذلك منها!.

ويُنســب إليه أنها أخــذتْ تربةً من تراب رســول الله ﷺ وشَمَّتْ، ثم أَنشدت:

ماذا على مَن شَمَّ تربةَ أحمدٍ   أنْ لا يَشَمَّ مدى الزمانِ غَوَاليا
صُبَّتْ علَيَّ مصائــبٌ لو أنَّها   صُبَّتْ على الأيامِ صِرْنَ لَيَاليا[3]!

ومما عُزِيَ إليها من قولها في أبيها ﷺ:

اغبرَّ آفــاقُ الســماء وكُوِّرَتْ   شمسُ النهارِ وأَظْلَمَ العَصْرانِ

---

(١) تاريخ الإســلام، للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ٤٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٣٩٩/٢٢؛ وابن ســعد: ٢٤٨/٢، ٣١٢؛ وأبو نعيم في «الحلية»: ٤٣/٢. وقــال الهيثمي في (المجمع: ٢١٢/٩): رجاله رجال الصحيح. **قلت**: وفيه انقطاع، الباقر لم يدرك فاطمة.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٣٤/٢، وقال الذهبي: لا يصح.

والأرضُ من بعدِ النبي كئيبةٌ أَسَفاً عليه كثيرةُ الأحزانِ
فَلْيَبْكِه شرقُ البلاد وغربُها ولْتبكِه مُضَرٌ وكلُّ يَمَانِ
ولْيبكِه الطَّوْدُ الأشمُّ وجوُّه والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
يا خاتمَ الرُّسل المبارك ضوءُه صلَّى عليكَ منزِّلُ القرآنِ(١)

غير أن حزن السيدة البتول على أبيها رسول الله ﷺ لم يتجاوز الحدَّ الشرعي الذي تعلَّمَتْه من هَدْيه ﷺ، وهي أَوْلى الناس بملازمته، ولم تفعلْ ما تفتريه الرافضة عليها وعلى زوجها عليٍّ رضي الله عنه؛ من أنها كانت تأخذ بالبكاء والعويل ليلَها ونهارَها! حتى ضجَّ الصحابة من ذلك لأنهم لا يهنأ لهم نوم من ذلك، مما اضطر عليّاً إلى أن يبني لها (بيت الأحزان) في البقيع، فكانت تأخذ ولدَيْها الحسنَ والحسينَ إليه وتبكي بين القبور منذ الصباح إلى الليل، فيأتي عليٌّ ويعيدها إلى منزلها! وزعم بعضهم أن آية الله العظمى عبدالحسين شرف الدين الموسوي قد تشرف بزيارته سنة (١٣٣٩هـ)(٢)!.

❁ ❁ ❁

(١) معجم النساء الشاعرات، ص ٢٦؛ فاطمة بنت محمد ﷺ قدوة النساء، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤.
(٢) انظر: بحار الأنوار: ٤٣/١٧٥ ـ ١٧٨؛ وسائل الشيعة، باب (٨٧)، أبواب الدفن من كتاب الطهارة؛ فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد، للسيد جواد الصافي الموسوي، ص ٦٩ ـ ٧٥.

الباب التاسع

السيدة فاطمة في خلافة الصديق

- مسألة ميراث النبي ﷺ (خلاصة المسألة والأحاديث الواردة فيها).
- بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء.
- أبو بكر قام بأداء حق آل البيت حسب الشرع، وعمله هو السنة، وأجمع عليه الصحابة، وامتدحه آل البيت.
- رواية هجران فاطمة أبا بكر مدرجة في الحديث، وهي مرسلة ضعيفة.
- كثرة افتراءات الرافضة قديماً وحديثاً.

• • •

الفصل الأول

مسألةُ ميراثِ النبيِّ ﷺ
(خلاصةُ المسألةِ والأحاديثُ الواردةُ فيها)

تمهيد:

قدَّمنا كلمةً موجزةً عن العلاقة الطيبة والإجلال الكبير لآل البيت وخاصة السيدة البتول الزهراء؛ من قِبَل جميع الصحابة وعلى رأسهم الخليفتان أبو بكر وعمر، وأوضحنا ذلك وأكدناه مراراً في كتبنا عن (الخلفاء الراشدين الأربعة).

وقد أفردنا هذا الباب لبيانِ وجهِ الحق وإزالةِ اللُّبْس وتزييف الأكاذيب التي اختُلِقت بشأن قصةِ (ميراث النبي ﷺ)، ورغبةِ السيدة فاطمة في أَخْذ نصيبها منه ومَنْع أبي بكر لها، وما تسبَّب عنه من سوء العلاقة بينها وبين خليفة رسول الله ﷺ، حسب ما زعمه الزاعمون!.

أولاً: خلاصة المسألة[1]:

قال القاضي عِياض في تفسير صدقات النبي ﷺ المذكورة

---

(١) انظر بتوسع: منهاج السُّنَّة النبوية: ٢/٦٣٧ ـ ٦٧٨؛ ومختصره: «المنتقى»، للذهبي، ص ٢٠٦ ـ ٢٢٣.

في أحاديث: «**لا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة**»، قال: صارت إليه بثلاثة حقوق:

أحدها: ما وُهِب له ﷺ، وذلك: وصيَّة مُخَيْريق اليهودي عند إسلامه يوم أُحُد، وكانت سبع حوائط ـ أي: بساتين ـ في بني النَّضِير، وما أعطاه الأنصار من أرضهم وهو ما لا يبلغه الماء، وكان هذا ملكاً له ﷺ.

الثاني: حقُّه في الفَيْء من أرض بني النَّضير حين أَجْلَاهم كانت له خاصة، لأنها لم يُوجِف عليها المسلمون بِخَيْل ولا رِكابٍ.

وأما منقولات بني النَّضير فحملوا منها ما حملَتْه الإبل غير السلاح كما صالحهم، ثم قسم ﷺ الباقي بين المسلمين، وكانت الأرض لنفسه، ويُخْرجها في نوائب المسلمين. وكذلك نصف أرض فَدَك، صالَح أهلَها بعد فتح خيبر على نصف أرضها، وكان خالصاً له. وكذلك ثلث أرض وادي القُرى، أخذه في الصلح حين صالح أهلَها اليهود.

وكذلك حِصْنان من حصون خيبر، وهما الوَطيح والسُّلالم، أخذهما صلحاً.

الثالث: سهمُه من خُمس خيبر، وما افتتح فيها عَنْوة.

فكانت هذه كلُّها ملكاً لرسول الله ﷺ خاصة، لا حَقَّ فيها لأحد غيره، لكنه ﷺ كان لا يستأثر بها بل يُنفقها على أهله والمسلمين، وللمصالح العامة، وكل هذه صدقات محرَّمات التملك بعده. والله أعلم[1].

قال ابن كثير: (فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصةً، وكان يَعزل منها نفقة أهله لسنةٍ، ثم يجعل ما بقي مجعلَ مالِ الله يَصرفه في الكُرَاع ـ أي: الخيل ـ والسلاح ومصالح المسلمين.

فلما مات ﷺ اعتقدتْ فاطمة وأزواجُ النبي ﷺ أو أكثرهن: أن هذه الأراضي تكون موروثةً عنه، ولم يَبْلغهنَّ ما ثَبَت عنه من قوله ﷺ: «**نحنُ معشرَ الأنبياء لا نُورَث، ما تركناهُ فهو صَدَقةٌ**».

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبَهم من ذلك، وسألوا الصديقَ أن يسلِّمَه إليهم، ذَكَر لهم قولَ رسول الله ﷺ: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ**»، وقال: «أنا أَعُولُ مَن كان يَعُول رسولُ الله ﷺ، والله لقرابةُ رسول الله ﷺ أَحَبُّ إليَّ أن أصِلَ من قرابتي»! وصَدَق رضي الله عنه وأرضاه، فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق.

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦/٣٢٥ ـ ٣٢٦؛ وانظر: سنن أبي داود (٢٩٦٧).

وطلَب العباس وعليٌّ على لسان فاطمة إذْ قد فاتهم الميراث: أن يَنْظرا في هذه الصدقة، وأن يَصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها، فأبَى عليهم الصديق ذلك، ورأى أن حقّاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ، وأن لا يَخرج عن مَسْلكه ولا عن سَنَنِه. فتَغَضَّبتْ فاطمة ﵂ عليه في ذلك، ووَجَدَتْ في نفسها بعضَ المَوْجِدة، ولم يكن لها ذلك... وتوفِّيت فاطمة ﵂ بعد ستة أشهر، ثم جدَّد عليٌّ البيعةَ بعد ذلك)[1].

ثانياً: طرف من الأحاديث الواردة في مسألة ميراث النبي ﷺ:

١ - عن عروة بن الزبير: أن عائشة أم المؤمنين ﵂ أخبرته: (أنَّ فاطمةَ عليها السلام ابنةَ رسول الله ﷺ سألتْ أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يَقْسِمَ لها ميراثَها مما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ مما أفاءَ الله عليه.

فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما تركْنَا صدقةٌ». فغَضِبتْ فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، فَهَجَرَتْ أبا بكر، فلم تَزَلْ مُهاجِرَتَه حتى توفِّيتْ، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

(١) البداية والنهاية: ٢٠٣/٤.

قالــت: وكانت فاطمة تســأل أبــا بكر نصيبَهــا مما ترك رســولُ الله ﷺ من خيبــرَ وفَــدَك[١] وصدقَتَهُ بالمدينــة، فأبَى أبو بكر عليها ذلك وقال: لســتُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعملُ به إلا عملتُ به، فإنِّي أخشَى إنْ تركتُ شيئاً من أمره أن أَزِيغَ. فأما صدقتُه بالمدينة فدَفَعَها عمرُ إلى عليٍّ وعباس، وأما خيبر وفَدَكُ فأَمْسَــكَهُما عمرُ، وقال: هما صدقةُ رسول الله ﷺ، كانت لحقُوقِه التي تَعْرُوه ونوائبِه، وأمرُهُما إلى مَن وَلي الأمرَ. قال: فَهُما على ذلك إلى اليوم).

وفي رواية: عن عائشة: (أن فاطمة والعباس عليهما السلام أَتَيَا أبا بكر يَلْتَمِسَــان ميراثَهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذٍ يَطلبان أرضَيْهما من فَدَك وسَهْمَهما من خيبر.

فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقــةٌ، إنما يــأكلُ آلُ محمد من هــذا المال**». قال أبو بكــر: والله لا أَدَعُ أمراً رأيتُ رســولَ الله ﷺ يصنَعُه فيه إلا صنعتُه. قال: فهجرتْه فاطمةُ فلم تكلِّمْه حتى ماتت)[٢].

---

(١) فدك: هــي اليوم بلدة عامرة كثيرة النخل والزرع والســكان في شــرق خيبر، وتسمى اليوم: «الحائط».

(٢) أخرجه البخــاري (٣٠٩٢، ٣٠٩٣) و(٦٧٢٥، ٦٧٢٦) واللفظ له؛ وأبو داود (٢٩٦٨) و(٢٩٦٩) و(٢٩٧٠).

٢ ـ وعن أبي الطُّفَيْــل عامر بن واثِلَة ﵁ قال: (لمَّا قُبض رســول الله ﷺ أرســلَتْ فاطمةُ إلى أبــي بكر: أنــتَ وَرِثْتَ رســولَ الله ﷺ أم أهلُه؟ قال: فقال: لا، بل أهلُــه. قالت: فأينَ ســهمُ رســول الله ﷺ؟ قال: فقــال أبو بكــر: إني ســمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله ﷻ إذا أَطْعَمَ نبيّاً طُعْمةً ثم قَبَضَه، جَعلَه للذي يقومُ من بعده**»، فرأيتُ أن أَرُدَّهُ على المســلمين. فقالت: فأنتَ وما سمعتَ من رسولِ الله ﷺ أعلمُ)(١).

٣ ـ وعــن أبــي هريــرة ﵁: أن رســول الله ﷺ قــال: «**لا يَقتسِمُ وَرَثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسائي ومُؤْنةِ عامِلي فهو صدقةٌ**»(٢).

٤ ـ وعن عائشــة ﵂ قالــت: (إنَّ أزواجَ النبي ﷺ، حين توفِّي رســولُ الله ﷺ، أَرَدْنَ أن يَبعثْنَ عثمانَ بن عفان إلى أبي

---

(١) أخرجه أحمد (١٤) واللفظ له؛ وأبــو داود (٢٩٧٣)؛ وأبو يعلى (٣٧) و(٦٧٥٢)، وغيرهم، وصححه أحمد شــاكر، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط. ولفظة: (بل أهله) منكرة، كما قال الحافظ في الفتح: ٦٦٤/٧ (٣٠٩٢)، ويمكن تأويلها بأن المراد: أنه لو وَرِث النبيَّ ﷺ أحدٌ، لورثه أهله، ولكن الوراثــة عنه منتفية، فيقوم من بعــده بتوليته. انظر: تكملة فتح الملهم: ٥٦/٣.

(٢) أخرجه البخــاري (٢٧٧٦) واللفظ لــه؛ ومســلم (١٧٦٠)؛ وأبو داود (٢٩٧٤)، وغيرهم.

بكر، فيسأَلْنَه ميراثَهنَّ من النبي ﷺ، قالت عائشة لهنَّ: أليسَ قد قال رسول الله ﷺ: «**لا نُورَثُ، ما تركْنَا فهوَ صدقةٌ**»؟!) لفظ مسلم.

وفي رواية للبخاري: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أَرسل أزواجُ النبي ﷺ عثمان إلى أبي بكر، يسألْنَه ثُمُنهنَّ مما أَفاء الله على رسوله ﷺ، فكنت أنا أَرُدُّهنَّ، فقلتُ لهنَّ: أَلَا تتَّقِينَ اللهَ! ألم تَعْلَمْنَ أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**لا نُورَثُ، ما تركْنَا صَدَقةٌ** ـ يريدُ بذلك نَفْسَه ـ **إنما يأكلُ آلُ محمد ﷺ في هذا المال**»؟! فانتهى أزواجُ النبي ﷺ إلى ما أَخبرتُهنَّ).

وفي رواية لأبي داود: (ألم تسمعنَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا نُورَثُ، ما تركْنَا فهو صدقةٌ، وإنما هذا المالُ لآلِ محمدٍ لنائبتِهم ولضَيْفِهم، فإذا مِتُّ فهو إلى وَليِّ الأمرِ من بَعْدي**»؟!)(١).

وثمة روايات أخرى كثيرة في الباب، فحديث: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**» رواه جماعة من الصحابة؛ منهم ثمانية من العشرة المبشرين بالجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٤)؛ ومسلم (١٧٥٨)؛ وأبو داود (٢٩٧٦) و(٢٩٧٧)؛ وأحمد (٢٦٢٦٠)؛ وعبدالرزاق (٩٧٧٣)؛ وابن حبان (٦٦١١)، وغيرهم.

وقد خفي هذا الحديث على السيدة فاطمة قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرتهن عائشة به، ووافقنها عليه.

وليس يُظَنّ بفاطمة ﵂ أنَّها اتهمتِ الصديقَ ﵁ فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك! وقد وافقه على رواية هذا الحديث: عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وعبدالرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، وأبو هريرة، وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين! ولو تفرَّد بروايته الصديق ﵁ لَوَجَب على جميع أهل الأرض قبولُ روايته والانقيادُ له في ذلك(١).

وادعى ابن المُطَهَّر الحِلِّي أن أبا بكر قد انفرد برواية هذا الحديث، وردَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) البداية والنهاية: ٢٨٧/٥، ومثله في منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٣٨/٢ ـ ٦٣٩.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٣٨/٢ ـ ٦٣٩؛ كتابي: أبو بكر الصديق، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

الفصل الثاني

بين أبي بكر الصديق وفاطمة الزهراء

•• احتجَّت السـيدة فاطمة أولاً بالقيـاس، وبالعموم في الآية الكريمة، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع في حق النبي ﷺ، فسـلَّمتْ له مـا قال، وهذا هـو المظنون بها رضي الله عنها[1].

وأما الحديث الـذي رواه أبو سَـلَمة بن عبدالرحمٰن: (أنَّ فاطمة قالت لأبي بكر: مَنْ يَرِثُـكَ إذا مِتَّ؟ قال: وَلَدي وأهلي. قالت: فما لَنا لا نَرثُ النبيَّ ﷺ؟! قال: سـمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ النبيَّ لا يُورَثُ»، ولكنِّي أعُول مَن كان رسولُ الله ﷺ يَعُول، وأنْفِقُ على مَنْ كان رسولُ الله ﷺ يُنفِقُ)[2].

فهو حديث ضعيـف لانقطاعه، وأبو سـلمة لم يدرك أبا بكر، فروايته عنه مرسَلة.

---

(١) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥.

(٢) أخرجه أحمد (٦٠)، وضعفه أحمد شاكر لانقطاعه.

وتقدم قريباً ما نقلناه عن أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**«إنَّ الله إذا أَطْعَم نبيّاً طُعْمةً ثم قبضَه، جعلَه للذي يقومُ من بعده»** فرأيتُ أن أَردَّه على المسلمين. فقالت: فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ أعلمُ)[1].

فقول فاطمة: (فأنتَ وما سمعتَ...) هذا هو الصواب والمظنون بها، واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها، ﵂.

وكأنها سألَتْه بعد هذا أن يجعل زوجَها ناظراً على هذه الصدقة، فلم يُجِبْها إلى ذلك، لأنه ولي الأمر وسيعمل فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فَتَعتَّبتْ عليه بسبب ذلك، وهي امرأة من بنات آدم تأسَفُ كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نصّ رسول الله ﷺ، ومخالفةِ أبي بكر الصديق. وقد جاء عن أبي بكر ﵁ أنه ترضَّى فاطمةَ وتلايَنَها قبل موتها، فرضيت ﵂[2].

قال ابن قُتيبة: (وأما منازعةُ فاطمةَ أبا بكر ﵄ في ميراث النبي ﷺ؛ فليس بمنكَر، لأنها لم تعلَمْ ما قاله رسول الله ﷺ، وظنَّتْ أنها ترِثهُ كما يرِث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله، كَفَّتْ.

---

(١) تقدم: ص ٣٠٤ حاشية (١) في هذا الكتاب

(٢) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥؛ وانظر: منهاج السُّنَّة: ٦٦٠/٢.

وكيف يَسوغ لأحدٍ أن يظن بأبي بكر رضي الله عنه أنه مَنَعَ فاطمةَ حقَّها من ميراث أبيها، وهو يعطي الأحمر والأسود حقوقهم؟!)(١).

وقال القاضي عِياض: (وفي تَرْكِ فاطمةَ منازعةَ أبي بكر بعد احتجاجه عليها بالحديث التسليمُ للإجماع على قضية. وأنها لمَّا بلَّغها الحديثَ وبيَّنَ لها التأويلَ تَركَتْ رأيها. ثم لم يكن منها ولا من ذرِّيتها بعد ذلك طلبُ ميراث. ثم وَلي عليٌّ الخلافةَ فلم يَعْدِل بها عن ما فعله أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد تولى عليٌّ بعد ذلك، وصارت فَدَك وغيرها تحت حكمه، ولم يُعطِ لأولاد فاطمة ولا زوجاتِ النبي ﷺ ولا ولدِ العباس شيئاً من ميراثه.

فلو كان ذلك ظُلماً وقدر على إزالته، لكان هذا أهونَ عليه من قتال معاوية وجيوشه! أفتراه يقاتل معاوية، مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم، ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمرُه أهون بكثير؟!)(٣).

وذكر نحوَ ذلك العلّامة القاضي المعتزلي عبدالجبار الهَمَذاني في كتابه «المغني».

(١) تأويل مختلف الحديث، ص ٣٦٥.
(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي: ٣١٩/٦.
(٣) منهاج السُّنَّة النبوية: ٧٢٣/٣ ـ ٧٢٤.

وادَّعى الشـريف المرتضـى الرافضي أن ذلـك من أمير المؤمنيـن علـيٍّ كان (تَقِيَّةً)؛ فقـال وهو يردّ علـى القاضي عبد الجبار:

(وأما ما ذكره من تَرْك أمير المؤمنين عليه السـلام فَدَك لمَّا أَفْضَى الأمرُ إليه، واستدلالُه بذلك على أنه لم يكن الشاهد فيها: فالوجْهُ في تَرْكه عليه السلام رَدَّ فَدَك هو الوجْهُ في إقراره أحكامَ القوم[1] وكفِّه عن نقضِهـا وتغييرها، وقد بيَّنّا ذلك فيما سـبق، وذكرنا أنه كان في انتهاء الأمر إليه في بقيَّةٍ من التقيَّة قوية)[2]!.

وهو كلام سـاقط وحجَّة داحِضَة، وفيـه إزراءٌ على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه وأرضاه الصحابي المِقدام البطل الكرَّار ليثِ الحروب الذي لا يخاف فـي الله لومة لائم، ولم يَلجأ (للتقيَّة المزعومة) طيلة حياتـه حتى في أَحْلَكِ الظروف وأعتاهـا! وإذا كان ثمّة تقيَّـة فلِمَ لَمْ يسـتخدمْها في حروبه: الجمل وصفِّين والنَّهْروان؟! فهـل الدماء أرخصُ من الأموال والعقارات؟!.

بل تدل بعـض الروايات فـي كتب الشـيعة أن أبا بكر اعتذر إلى فاطمة بشأن الميراث، وأنها ﵂ قبِلتْ عذر الصديق

---

(١) يريد الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤١٨/٨، ٤٢٤.

في ذلك ورضيت عنه. وتدل أيضاً على أن الصديق كان يُنفِق من (غَلّة فَدَك) على أهل البيت، ثم عمرُ كذلك، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

يروي ابن مَيْثَم البحراني[١] في (قصة مراجعة فاطمة أبا بكر) عدة روايات، وذكر في جملتها ما نصُّه: (صدقتِ يا ابنةَ رسول الله... وذلك أن لكِ ما لأبيكِ، كان رسول الله ﷺ يأخذُ من فَدَك قُوْتَكم، ويَقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله، ولكِ علَيَّ اللهُ أن أصنَع بها كما كانَ يَصنع. فَرَضِيَتْ بذلك وأَخذتِ العهدَ عليه به. وكان يأخذ غَلَّتَها فيدفع إليهم منها ما يَكفيهم، ثم فعلتِ الخلفاء بعده كذلك...)[٢].

وذكر مثل ذلك الدنبلي في شرحه «الدرة النجفية»[٣].

وذكر ابن أبي الحديد هذه الرواية في «شرحه لنهج البلاغة» من طريق أبي بكر الجَوْهري بسنده إلى ابن عائشة، عن أبيه، عن عمِّه، وفيها: أن أبا بكر قال لفاطمة: (فَلَكِ علَيَّ اللهُ أن أصنَعَ فيها كما يصنَعُ فيها أبوكِ، قالت: اللهِ لتفعلنَّ؟

(١) هو مَيْثَم بن علي بن مَيْثَم البَحْراني، من فقهاء الإمامية، توفي بعد سنة (٦٨١هـ)، من كتبه: شرح نهج البلاغة.
(٢) كتابه: شرح نهج البلاغة: ١٠٧/٥، طبع طهران.
(٣) الدرة النجفية، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

قال: اللهِ لأفعلَنَّ، قالت: اللَّهمَّ اشهدْ! وكان أبو بكر يأخذ غَلَّتها فيدفع إليهم منها ما يَكفيهم، ويَقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك)(١).

•• والحق أن هذه الأموال ليست ملكية لرسول الله ﷺ، ما دام صرفُها في أوجه يحددها القرآن، بل كان النبي ﷺ يقوم بقسمتها بوصفه رئيساً للدولة، ومجالُ صرفها عام يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي بين المسلمين، ومن ثَمَّ فإن الأموال تعود بعد وفاته إلى الدولة، ويتولى مسؤوليتها الخليفة أو من يُنيبه(٢).

ولذلك قال أبو بكر لفاطمة رضي الله عنها: (أنا أَعُولُ من كان رسول الله ﷺ يَعُول). فكان أبو بكر يُنفِق على أهل الرسول ﷺ من الفيء، وما بقي يضعه في المصالح الأخرى.

ولم تطالب أزواجُ النبي ﷺ بميراثهنَّ بعد أن ذَكَّرَتْهنَّ عائشة بحديث: «**لا نُورث، ما تركنا صَدَقةٌ**»(٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٨٠/٨ ـ ٣٨١. وانظر: الشيعة وأهل البيت، ص ٨٣ ـ ٨٤؛ تكملة فتح الملهم: ٥٨/٣ ـ ٥٩.

(٢) كما جاء في نص الحديث المتقدم: ص ٣٠٤ رقم (٢)، ورقم (٤) رواية أبي داود، في هذا الكتاب.

(٣) الفتح: ٦٦٤/٧ ـ ٦٦٦ (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٢٥.

لذلك لما سألَتْه السيدة فاطمة أن يَنظر عليٌّ في صدقة الأرض التي بخيبر وفَدَك، لم يُجِبْها إلى ذلك، لأنه رأى أن حقّاً عليه أن يقومَ في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ، ويعملَ بما كان يعمله ﷺ، ولهذا قال: (والله لا أَدَعُ أمراً رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعتُه)، وهو الصادق البار الراشد التابع للحق، رضي الله عنه[1].

* * *

(١) انظر: البداية والنهاية: ٥/٢٤٩، ٢٨٧.

الفصل الثالث

أبو بكر قام بأداء حقِّ آل البيت حسب الشرع، وعمله هو السُّنَّة، وأجمع عليه الصحابة وامتدحه آل البيت

•• قول رسـول الله ﷺ : «**إنما يأكلُ آل محمد ﷺ في هذا المال**»: صريحٌ في أن أبا بكر رضي الله عنه لم يَمنع شيئاً من حق ذوي القربى، فبذل لهم منافعَ ذلك المال كما كان يبذلها رسول الله ﷺ ، غير أنه امتنع من أن يُملِّكَهم إياها بطريق الوراثة؛ لقوله ﷺ : «**لا نُورَث**».

وقوله في رواية مسلم: (ولأَعْملَنَّ فيها بما عَمِلَ به رسول الله ﷺ) وفي رواية للبخاري: (والذي نَفْسي بيدهِ لقرابةُ رسول الله ﷺ أحَبُّ إليَّ أن أَصِلَ من قرابتي)[1]!.

هذا من أصرح الروايات على أن أبا بكر رضي الله عنه قام بأداء حق آل البيت حسب أوامر الشرع، ولم يَعْدِل فيه عن الصواب[2].

---

(١) البخاري (٤٢٤٠ و٤٢٤١)؛ ومسلم (١٧٥٩)؛ وانظر ما تقدم: ص ٣٠١ ـ ٣٠٥ في هذا الكتاب.

(٢) تكملة فتح الملهم: ٥٤/٣.

وإذا كان أبو بكر منَعَ ذلك، فيكون قد منع ابنتَه عائشة أيضاً من هذا الإرث، فلو جرى مع ميله الفطري لأحب أن ترث ابنته[1].

ثم إن أبا بكر وعمرَ قد أعطيا عليّاً وأولاده من المال أضعافَ ما خلَّفه النبي ﷺ من المال. والمال الذي خلَّفه ﷺ لم يَنتفع واحد منهما منه بشيء، بل سلَّمه عمر إلى علي والعباس رضي الله عنهم يليانه ويفعلان فيه ما كان النبي ﷺ يفعله. وهذا مما يوجب انتفاءَ التهمة عنهما في ذلك.

وأبو بكر لا يمنع يهوديّاً ولا نصرانيّاً حقَّه، فكيف يمنع البَضْعَة النبوية حقَّها؟! فإن الله تعالى ورسوله ﷺ قد شهدا لأبي بكر أنه يُنفق مالَه لله، فكيف يمنع الناس أموالهم؟![2].

•• مما تقدم من أحاديث يتبيّن أن أبا بكر عمل بنصِّ رسول الله ﷺ وسُنَّته، والتزم منهجه، وكان يقدِّم نفقةَ نساء النبي ﷺ وغيرها مما كان يصرفه، فيصرفه من خيبر وفَدَك، وما فَضَل من ذلك جعله في المصالح، وعمل عمرُ بعده بذلك.

---

(١) العواصم من القواصم، ص ٥٧، ٦٦.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: ٢/٦٥٣، ٦٦٨.

ويشـــهد لصنيع أبي بكر حديثُ أبي هريرة المرفوع: «**ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسائي ومُؤْنة عاملي؛ فهو صدقةٌ**»(١)؛ فقد عمل أبو بكر وعمر بتفصيل ذلك بالدليل الذي قام لهما(٢).

وكـــون النبي ﷺ **لا يُـــورَث ثبـــت بالسُّـــنَّة المقطوع بها وبإجماع الصحابة**، وذلك أن هذا الخبـــر رواه غير واحد من الصحابـــة في أوقات ومجالـــس، وليس فيهم مـــن يُنكِره، بل كلهم تلقَّـــاه بالقبـــول والتصديق. ولهـــذا لم يُصِـــرَّ أحدٌ من أزواجه ﷺ على طلب الميـــراث، ولا أصرَّ العـــم على طلب الميراث، بـــل مَن طلب من ذلك شـــيئاً فأُخبِر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه. واســـتمر الأمر على ذلك علـــى عهد الخلفاء الراشـــدين إلى علـــي، فلم يغيِّر شـــيئاً من ذلك ولا قَسَـــم له تركة(٣).

ـ وأخـــرج عمر بن شَـــبَّة، عـــن محمد بن إســـحاق قال: (ســـألتُ أبا جعفر محمد بن علي ـ الباقر ـ: أرأيتَ حين وَلِي عليٌّ العراقَيْن ـ أي: الكوفة والبصرة ـ وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في ســـهم ذوي القربى؟ قال: سَـــلَك به طريقَ أبي

---

(١) تقدم الحديث: ص ٣٠٤ رقم (٣) في هذا الكتاب.

(٢) الفتح: ٦٦٦/٧ (٣٠٩٣).

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٥٣/٢، وانظر: ٥١٨/٣.

بكر وعمر ﭬ، قلت: وكيف؟ ولِمَ؟ وأنتم تقولون! قال: أَمْ واللهِ ما كان أهلُه يَصدرون إلا عن رأيه، قلتُ: فما منعه؟ قال: كان والله يكره أن يُدَّعَى عليه خلافُ أبي بكر وعمر ﭬ)[1].

ـ وروى ابن أبي الحديد بسنده إلى ابن عائشة، عن أبيه، عن عمِّه: (أن أبا بكر كان يأخذ غَلَّة فَدَك فيدفعُ إلى أهل البيت ما يَكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان عليّ كذلك)[2].

فهذا صريحٌ في أن أمير المؤمنين عليّاً فعل في فَدَك ما فَعل فيه أبو بكر، ولو كان قضاء أبي بكر خطأً لغيَّره عليٌّ في أيام خلافته.

وقد روى ابن أبي الحديد في موضع آخر من شرحه رواية عن المرتضَى علَم الهدى عند الشيعة، رواها بسنده إلى ابن عائشة، قال فيها: (فلما وَصَل الأمرُ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كُلِّم في ردِّ فَدَك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أردَّ شيئاً مَنَع منه أبو بكر وأمضاه عمر!)[3].

ـ وأخرج عمر بن شبة وابن أبي الحديد، عن كَثير النَّوَّاء

(١) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢١٧/١.
(٢) تقدم النص بتمامه: ص ٣١١ ـ ٣١٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٠٦/٨؛ الشافي، للشريف المرتضى، ص ٢٣٠.

قال: (قلتُ لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: جعلَني الله فِداكَ! أرأيتَ أبا بكر وعمر هل ظَلماكُم من حقكم شيئاً ـ أو قال: ذَهَبا من حقكم بشيء ـ؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، ما ظُلِمنا من حقِّنا مثقالَ حبَّة من خَرْدل. قلتُ: جُعلت فداك، أَفأتولّاهما؟ قال: نعم، وَيْحكَ! تولَّهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي. ثم قال: فَعَل الله بالمغيرة وبيان، فإنهما كَذبا علينا أهلَ البيت!)[1].

قلتُ: (**المغيرة وبيان**) هما: **المغيرة بن سعيد**، وبَيَان (أو: بَنَان) التبَّان، رافضيان، كانا يكذبان على أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، وعلى أبيه، وعلى أهل البيت، وقد ذكر (محمد بن عُمر بن عبدالعزيز الكَشّي) في «رجاله» عدة نصوص عن أبي جعفر الباقر وابنِه جعفر الصادق: في لَعْنِهما وأن يُذيقهما الله حرَّ الحديد[2]!.

ـ وقال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: (أمَّا أنا فلو كنتُ مكان أبي بكر لحكمتُ بما حكم به أبو بكر في فَدَك)[3].

❁ ❁ ❁

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٨٣/٨؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢٠١/١.
(٢) رجال الكشي، الأرقام: (٥١١، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٨٨، ٩٠٩).
(٣) أخرجه البيهقي، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٩٠/٥.

الفصل الرابع

رواية هجران فاطمة أبا بكر الصديق مُدْرَجَة في الحديث، وهي مرسَلة ضعيفة

جاء في حديث عائشة الذي قدمناه في «الفصل الأول»[1]: (فقال لها أبو بكر: إن رسـول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تركْنَا صدقةٌ**». فغَضِبَتْ فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، **فَهَجَرَتْ أبا بكر**، فلم تَزَلْ مُهَاجِرَتَه حتى توفِّيتْ). لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم: (فأبى أبو بكر أن يَدفع إلى فاطمةَ شيئاً، فوَجَدَتْ فاطمةُ على أبـي بكر في ذلك. قـال: **فَهَجَرتْه**، فلم تكلِّمْه حتى توفِّيتْ).

ـ قولـه: (**فأبى أبو بكر أن يدفَعَ إلى فاطمة شـيئاً**): يعني من ميراث رسول الله ﷺ تمليكاً لها، وإلا فقد ثبت بالروايات الماضيـة: أنـه كان يَعُولهـا ويُنفِـق عليهـا مـن صدقـات رسول الله ﷺ.

ـ وقوله: (**فوَجَدَتْ فاطمة علـى أبي بكر في ذلك**)، وفي رواية البخاري: (**فغَضِبَتْ فاطمة...**): قـال العلّامة الكَنكَوهي:

(١) انظر: ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣، الحديث رقم (١) في هذا الكتاب.

(هذا ظنٌّ من الراوي حيث استنبط من عدم تكليمها إياه أنها غضبت عليه!)[١].

ويؤيد ما قاله الشيخ أن هذه الزيادة غيرُ مذكورة في كثير من الروايات، فقد ذكر أبو داود هذا الحديث من طريق عُقيل وشعيب بن أبي حمزة وصالح بن كَيْسان، كلهم يرويه عن الزهري، ولكن لم يذكر هذه الزيادة في شيء من رواياتهم[٢].

وكذلك أخرجه البخاري في «الفرائض» من غير هذه الزيادة[٣].

وأخرجه البيهقي بما يدل على أن هذه الزيادة مُدْرَجَة[٤] من الراوي، وليس من كلام عائشة رضي الله عنها، ولفظه في «كتاب قسم الفيء» من سننه: (قال: فغضبت فاطمة رضي الله عنها، فهجرتْه فلم تكلِّمْه حتى ماتت)[٥]. وهذا صريح في إدراجه من الراوي.

---

(١) لامع الدراري، للكَنكَوهي: ٢/٥٠٠.
(٢) سنن أبي داود (٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠).
(٣) البخاري (٦٧٢٦).
(٤) المُدْرَج: هو ما ذُكر في ضمن متن الحديث من قول بعض الرواة؛ الصحابي أو مَن دونه موصولاً بالحديث، من غير فصلٍ بين الحديث وبين ذلك الكلام، أي: من غير أن يُذكر قائله، فيؤدي عدم الفصل إلى الالتباس على مَن لا يعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع من أصل الحديث. انظر: منهج النقد في علوم الحديث، ص ٤٤٠.
(٥) السنن الكبرى، للبيهقي: ٦/٣٠٠.

ـ وقوله: (قال: **فَهَجَرَتْه فلم تكلِّمْه حتى توفِّيت**): هذا أيضاً مُدْرَجٌ من الراوي، وليس من كلام عائشة ﵄، كما يدل عليه لفظ (قال) في أوله.

وأكثرُ المصنفين والعلماء أوردوا هذا الحديث وشرحوه ولم يتنبهوا للإدراج فيه، فحَصَل هذا الإشكال من أن هذه العبارة من كلام أم المؤمنين عائشة تصفُ حالَ فاطمة مع الخليفة أبي بكر، وحقيقةُ الأمر أنه تفسير من الراوي أَدْرَجَه في مَتْن الحديث، فخَفِي على الكثيرين وظنُّوه من تمام متن الحديث.

وقد حقَّق العلَّامة محمد نافع في كتابه القيِّم «رحماء بينهم» أن قصة مراجعة فاطمة أبا بكر ﵄ مرويةٌ بستة وثلاثين طريقاً: وإن أحدَ عشر طريقاً منها مرويةٌ عن غير الزهري، وليس في واحدٍ منها أدنى ذِكْر لغضب فاطمة، أو هجرانها لأبي بكر ﵁. وإن خمسة وعشرين طريقاً تدور على الزهري، التسعة منها خالية عن ذِكْر الغضب والهجران، وإنما ورد ذِكْر الغضب والهجران في ستة عشر طريقاً كلها تنتهي إلى الزهري[1].

---

(١) تكملة فتح الملهم: ٣/٥٥، ومنه استفدت في كتابة هذه الفقرة.

فالظاهر من هذا التتبُّــع أن قصة الغضب والهجران مُدْرَجَةٌ في هذا الحديث من قِبل الزهري، وقد عُرف من عادة الزهري أنه كان ربما أدرج في الحديث شيئاً من رأيه.

يقول الحافظ في «النكــت على ابن الصلاح»: (وكذا كان الزهري يفسّر الأحاديث كثيراً، وربما أسقط أداةَ التفسير، فكان بعــض أقرانــه ربمــا يقــول لــه: افصــل كلامك مــن كلام النبي ﷺ)(١). وســاق الحافظ قبلــه عدة أمثلة مــن إدراجات الزهري.

وقد أخرج الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»: عن الليث قال: (قال ربيعة لابن شهاب: يا أبا بكر! إذا حدَّثْتَ الناسَ برأيك فأخبِرْهم أنه رأيُك، وإذا حدَّثتَ الناسَ بشيء من السُّنَّة فأخبرهم أنه سُنَّة، فلا يظنون أنه رأيك)(٢).

فلما ثبت كونه مُدْرَجاً من الزهري: فإما أن يكون ظنّاً منه، فلا حجة فيه. وإما أن يكون قد سَرد ما سمعه من بعض النَّاس من دون إســناد، وغايتُه أن يكون إرســالاً منه، وإنَّ مراســيل الزهري ضعيفة عند المحدِّثين(٣).

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح: ٨٢٩/٢.

(٢) الفقيه والمتفقه: ١٤٨/٢. وربيعة: هو المعروف بربيعة الرأي.

(٣) تكملة فتح الملهم: ٥٥/٣.

قال يحيى بن سعيد القطّان وابن مَعين والشافعي: إرسال الزهري ليس بشيء[١].

وقال أحمد بن سِنان: كان يحيى بن سعيد لا يرى إرسالَ الزهري وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح[٢].

ومع كون هذا مُدْرَجاً في الحديث، وهو من إرسال الزهري، ومرسَله ليس بشيء ـ فقد عارضه عدة روايات:

١ ـ ما قدمنا من رواية أبي الطُّفيل: (قال أبو بكر: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الله ﷻ إذا أَطعم نبيّاً طُعمة ثم قَبَضه، جعلَه للذي يقوم من بعده»**، فرأيتُ أن أردَّه على المسلمين. فقالت: فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ أعلمُ)[٣].

فقول فاطمة رضي الله عنها للصديق: (**فأنتَ وما سمعتَ... أعلمُ**)؛ نصٌّ واضح على أنها سلَّمتْ له، ورضيتْ روايته وفعلَه، فلِمَ تتغضَّب عليه بعد ذلك وتهجره؟!.

---

(١) شرح علل الترمذي، لابن رجب: ١/٥٣٥؛ قواعد في علوم الحديث، للتهانوي، ص ١٥٦.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩/٣٩٨.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٠٤، الحديث (٢) في هذا الكتاب.

٢ ـ وأخرج عُمر بن شَبَّة حديثَ مراجعة فاطمة لأبي بكر من طريق مَعْمَر عن الزهري، ولفظه في آخره: (فلم تكلِّمْه في ذلك المال حتى ماتت).

وهــذا صريح في أن تَـرْكَ كلامها مع أبـي بكر لم يكن مطلَقاً، وإنما لم تكلمه في ذلك المال فقط(١).

٣ ـ قـال الإمام الترمـذي: حدثنا علي بن عيسـى، قال: حدثنا عبدالوهاب بن عطاء، قال: حدثنا محمد بن عَمْرو، عن أبي سَـلَمة، عن أبي هريرة: (أنَّ فاطمة جـاءتْ أبا بكر وعمرَ تسـألُ ميراثَها من رسول الله ﷺ، فقالا: سَـمِعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إنِّـي لا أُورَثُ». قالت: والله لا أكلِّمُكمـا أبداً، فماتت ولا تُكلِّمُهما).

قال علي بن عيسـى: معنى (لا أُكَلِّمُكمـا): تعني في هذا الميراثِ أبداً، أنتما صادقان(٢).

٤ ـ وأخرج البيهقي في «سـننه»: عن الشـعبي قال: (لما مَرِضَـتْ فاطمة ﵂ أتاهـا أبو بكر الصديق ﵁، فاسـتأذن عليها، فقال علي ﵁: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك،

(١) تاريخ المدينة، لابن شبة: ١/١٩٧؛ وتكملة فتح الملهم: ٣/٥٦.
(٢) سنن الترمذي (١٧٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

فقالت: أتحبُّ أن آذَنَ له؟ قال: نعـــم، فأذِنَتْ له، فدخل عليها يترضَّاها، وقال: والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشـــيرة إلا ابتغاءَ مرضاة الله ومرضاة رســـوله، ومرضاتكم أهلَ البيت. ثم ترضَّاها حتى رَضِيَتْ)[١].

وقال البيهقي بعد إخراجه: هذا مرسَـــل حســـن بإســـناد صحيح.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» عن البيهقي، ثم قال: وهذا إســـناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشـــعبي سمعه من عليٍّ، أو ممن سمعه من علي[٢].

وذكره الحافظ في «الفتح» وقال: مرسَلٌ صحيح، ثم قال: (فإنْ ثَبَت حديثُ الشـــعبي أزال الإشـــكال، وأَخْلِقْ بالأمر أن يكون كذلك، لِما عُلم من وفور عقلها ودينها عليها السلام)[٣].

والذي يتلخص من هذه الروايات: أن فاطمة رضي الله عنها لم تهجر أبا بكر للأبـــد، وما توفيت وهي عليه غضبـــى، كما يبدو في رواية الزهري في الباب. والذي يظهر أنها في أول الأمر طلبت الميراث، فلما أخبرها أبو بكر رضي الله عنه بالحديث المعروف في أن

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ٣٠١/٦؛ طبقات ابن سعد: ٢٧/٨.

(٢) البداية والنهاية: ٢٨٩/٥.

(٣) الفتح: ٦٦٤/٧، شرح الحديث (٣٠٩٣).

الأنبياء لا يُورَثون ـ سلَّمَتْ له ما قال، ولكنها طلبتْ تولية أراضي رسول الله ﷺ لنفسها أو لعليٍّ ﵁، ولكن أبا بكر امتنع من ذلك واحتجَّ بما رواه عن النبي ﷺ: «**إن الله إذا أطعم نبيّاً طعمة ثم قبَضَه، جعلَه للذي يقوم من بعده**»، فسكتت فاطمة وقالت: (فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ أعلمُ)، ولكنْ بقي في نفسها شيء من الانقباض نشأ من اختلاف في الآراء، فلم تبقَ في قلبها بشاشة كاملة للصديق، وليس ذلك من المعاداة ولا من الهجران، وكان أبو بكر يشعر بذلك، فأراد أن يزول هذا الانقباض أيضاً، فذهب إليها في مرضها، وترضَّاها حتى رضيتْ، وعادت بينهما البشاشة الكاملة، ولله الحمد[1].

❁ ❁ ❁

(١) تكملة فتح الملهم: ٣/٥٧ بتصرف يسير؛ وانظر: البداية والنهاية: ٥/٢٨٩.

الفصل الخامس

كثرة افتراءات الرافضة قديماً وحديثاً

لم يترك الرافضة أمراً كبيراً ولا صغيراً في عهد الصحابة - بعد وفاة النبي ﷺ - إلا وخاضوا فيه، فحرَّفوا وزَوَّروا، وغَيَّروا وبدَّلوا، وافتَروا وطَعنوا، وساقوا الروايات المكذوبة، واختَلَقوا القصص والحكايات الواهية والباطلة، وألصقوا الاتهامات بالصحابة كبارِهم وصغارِهم، جماعات وفرادى، ولم يَسلم من ألسنتهم وأقلامهم إلا نفرٌ قليل من الصحابة يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة أو اليدين.

وفي مسألة (ميراث النبي ﷺ) وموقف الصدِّيق والصحابة من طلب السيدة فاطمة ميراثَها من أبيها ﷺ، وَلَغَتْ ألسنة وافتَأَتَتْ أقلام وجازف كتَّاب وخطباء بما لا يحتمله دين ولا عقل ولا أدب ولا مروءة! وإتماماً للبحث في هذه المسألة نشير هنا إلى طرف من ذلك:

١ - روى الكُلِيني في «الكافي» بسنده إلى عبد الملك بن أَعْيَن قال: قلتُ لأبي عبد الله - جعفر الصادق -: (خبِّرني عن الرجُلَيْن؟

قال: ظَلَمانا حقَّنا في كتاب الله ﷿، ومَنَعَا فاطمةَ عليها السلام ميراثَها من أبيها، وجَرى ظلمُهما إلى اليوم. قال ـ وأشار إلى خلفه ـ: ونَبَذا كتابَ الله وراء ظهورِهما!)(١).

قلت: يعني بالرجلين: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما، وتبّاً لمن يُعاديهما ويقع فيهما! ثم هذا من الكذب المفترى على جعفر الصادق، وأهلُ البيت جميعاً على تعظيم الشيخين، وقد قدمنا بعضَ النصوص من كتب الشيعة في تأكيد ذلك، وأن أبا جعفر الباقر وابنه الصادق وغيرهما كانوا يلعنون من يكذب على أهل البيت(٢).

وأيضاً إذا كان أبو بكر وعمر قد نبذا كتابَ الله وراء ظهورهما ـ عياذاً بالله! ـ فمن نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وفي عهد مَنْ وصل القرآن وارتفع الأذان في جبال فارس ووهادِها، وأُطفِئت نارُ المجوس؟!.

٢ ـ ويقول ابن بابوَيْه القُمِّي الملقب عندهم بالصدوق: (وحُبُّ أولياء الله والولايةُ لهم واجبة، والبراءةُ من أعدائهم واجبة: من الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام، وهَتكُوا حجابه فأخذوا من فاطمة عليها السلام فَدَك، ومَنَعُوها ميراثَها،

(١) الكافي، كتاب الروضة، ص ٧٢١، الحديث (٧٤).
(٢) انظر: ص ٣١٧ ـ ٣١٨ في هذا الكتاب.

وغَصَبُوها وزوجَها حقوقهما، وهَمُّوا بإحراق بيتها، وأسَّسوا الظلم وغيَّروا سُنَّة رسول الله. والبراءةُ من الناكِثين والقاسطين والمارقين واجبةٌ، والبراءةُ من الأنصاب والأزلام أئمةِ الضلال وقادة الجَوْر كلّهم أولهم وآخرهم واجبة)[١].

هكذا يقول الملقب عندهم (بالصَّدوق)، فما بالُكَ بالكَذوب! وما قدمناه يَدحضُ هذه الافتراءات على الصحابة وخاصة أبا بكر.

٣ ـ وقد أساء ابن أبي الحديد وطائفة ممن قبله وممن بعده[٢] القولَ في موقف السيدة فاطمة من أبي بكر وعامة الصحابة، ونقلوا عنها روايات حاشاها أن تقولها، فإن عامة الناس يترفعون عنها في أخلاقهم وآدابهم؛ فما ظَنُّكَ بآلِ البيت الأطهار وواحدةٍ من سيداته؟!.

فمما نَسبوه إليها أنها قالت موجِّهة الكلام للخليفةِ أبي بكر وعمومِ الصحابة:

(١) كتاب الخصال، للصدوق: ٦٠٧/٢؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٦١٨.
(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ٣٧٧/٨ ـ ٣٧٩؛ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، لابن طاووس: ٣٧٩/١؛ كشف الغمة، للأربلي: ٤٨٠/٢؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ١٩٦/٤٣؛ فاطمة بنت محمد قدوة النساء، للسيد علي عاشور، ص ١٥٧ ـ ١٦٦؛ فاطمة الزهراء، لعباس محمود العقاد، ص ١٥٩.

(احمَدُوا الله الذي لعظمتهِ ونوره يَبتغي من في السموات والأرض إليه الوسيلةَ، ونحن وسيلتُه في خلْقه، ونحن خاصَّتُه ومحلُّ قدسه، ونحن حجَّتُه في غَيْبِهِ، ونحن ورثةُ أنبيائه! أنا فاطمة بنت محمد، أقول عَوْداً على بَدْء، وما أقول ذلك سَرَفاً ولا شَططاً، فاسمعوا بأسماع واعية وقلوب راعية...) فذكرتْ كلاماً طويلاً تقول في آخره:

(ثم أنتم الآن تزعمون أنْ لا إرثَ لي؛ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]؟ إيها معاشرَ المسلمين، أُبتَزُّ إرثَ أبي! أَبَى اللهُ أن ترثَ ابنَ أبي قُحافة أباك ولا أرثُ أبي، لقد جئتَ شيئاً فريّاً! فَدُونكَها مخطومةً مَرْحُولةً تلقاك يومَ حَشْرِك، فنِعمَ الحَكَمُ الله، والزعيمُ محمد، والموعدُ القيامة، وعند الساعة يخسرُ المُبطلون، ولكل نبأ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزِيه ويَحِلُّ عليه عذابٌ مقيم!.

ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثةٌ[1] ... لو كنتَ شاهدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبُ
أَبْدَتْ رجالٌ لنا نَجْوى صُدورِهِمُ ... لمَّا قضيتَ وحالَتْ دونَكَ الكُتُبُ
تَجهَّمَتْنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا ... إذْ غِبْتَ عنَّا فنحنُ اليومَ نُغتصَبُ)

---

(١) **الهنبثة**: واحدة الهَنابِث، وهي الأمور الشديدة والدواهي. وتروى: (وهينمة) وهي الصوت الخفي.

ثم توجهت إلى جماعة الأنصار وقرَّعَتْهم على خذلانهم لها في أخذها ميراث أبيها، ومما قالت ـ زعموا ـ:

(ألا وقد قلتُ لكم ما قلتُ على معرفةٍ منِّي بالخذْلة التي خامَرَتْكم، وخَوَر القناة، وضَعْف اليقين، فَدُونَكُمُوها فاحتووها مدبرةَ الظهر، ناقبةَ الخفّ، باقيةَ العار، موسومةَ الشِّعار، موصولةً بنار الله الموقدة، التي تطّلِع على الأفئدة، فبعينِ الله ما تعملون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]).

والخطبة المفتراة طويلة، والرافضة ومن تابعهم يوردونها على سبيل التسليم واليقين، وقد ذكرتُ هذا القَدْر منها لأبيِّن للقارئ صاحبِ القلب السليم والعقل الصحيح مدى افتراء أولئك على رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار وصحابته الأخيار الأبرار!.

أفهكذا كانت تقفُ بنت النبي ﷺ على مجتمع الصحابة وتذكر مظلوميّتها ولا يوجد لها نصير؟! أين الصحابة الذين قدَّموا أرواحهم وأولادهم وأموالهم نصرةً لله ولرسوله ﷺ في عصر الرسالة وبعده في معارك الفتوحات ونشر الإسلام؟! وأين صوت علي بن أبي طالب من هذه الخطبة وهو الرجل الشجاع الجريء الفصيح الخطيب المِصْقع؟! وأسئلة أخرى كثيرة تُطرح على هذا الإفك المفترى المنسوب للسيدة فاطمة والصحابة الكرام.

٤ ـ أما ابن **المُطَهَّر الحِلِّي** فقد عاب على الصحابة أنهم لم يناصروا فاطمة في طلب (الميراث)، فقال في معرض حديثه عن خروج أم المؤمنين عائشة إلى البصرة مخطِّئاً لها ولمن ناصرها:

(إنها خالَفَتْ أمرَ الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وخرجَتْ في ملأ من الناس لتقاتلَ عليّاً على غير ذنب... وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك... وكيف أطاعها على ذلك عشراتُ ألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين؟! ولم يَنصر أحدٌ منهم بنتَ رسول الله ﷺ لمَّا طَلبتْ حقَّها من أبي بكر، ولا شخصٌ واحد كلمه بكلمةٍ واحدة!)[1].

وفي كلامه أخطاء وتجنِّيات كثيرة بشأن خروج أم المؤمنين عائشة ومن معها، وقد أوضحنا ذلك بدلائله في كتابَيْنا: «عثمان بن عفان» و«علي بن أبي طالب»، ونشير هنا إلى ما يتعلق بمسألة ميراث النبي ﷺ:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قوله: كيف لم يَنصرْ أحدٌ منهم بنتَ رسول الله ﷺ...): (فهذا من أعظم الحُجج عليك؛ فإنه لا يشكُّ عاقلٌ أن القوم كانوا يحبون رسول الله ﷺ

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: ٣٢/٣.

ويعظِّمونه ويعظمون قبيلتَه وبنتَه أعظمَ مما يعظمون أبا بكر وعمر، ولو لم يكن هو رسول الله ﷺ! فكيف إذا كان هو رسول الله ﷺ الذي هو أَحَبُّ إليهم من أنفسهم وأهليهم؟!.

ولا يَستريبُ عاقل أن العرب ـ قريشاً وغير قريش ـ كانت تَدين لبني عبد مناف وتعظِّمهم أعظمَ مما يعظمون بني تَيْم وعَديّ...

فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم مَن قال: إن فاطمة ﵂ مظلومة، ولا أنَّ لها حقّاً عند أبي بكر وعمر ﵄، ولا أنهما ظلماها، ولا تكلم أحدٌ في هذا بكلمة واحدة ـ دَلَّ ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة)[1].

٥ ـ وجاء بعدهم السبَّاب الشتَّام محمد باقر المَجْلِسي[2]، ومما قاله في هذا الأمر:

(إن من المصيبة العظمى والداهية الكبرى غَصْبَ أبي بكر وعمر فَدَكَ من أهل بيت الرسالة. وإن القضية الهائلة أن أبا بكر لمَّا غَصب الخلافةَ عن أمير المؤمنين، وأَخذ البيعة جَبْراً من المهاجرين والأنصار، وأَحْكَم أمره؛ طَمِع

(١) منهاج السُّنة النبوية: ٦١/٣ ـ ٦٢.
(٢) من كبار رؤوس الرفض في عصره، كان لا يتردَّد بلعن الصحابة وإكْفَارِهم! توفي (١١١١هـ = ١٧٠٠م).

في فَدَك خوفاً منه بأنها لو وَقعتْ في أيديهم يميل الناس إليهم بالمال، ويتركون هؤلاء الظالمين - يعني أبا بكر والصحابة - فأراد إفلاسَهم حتى لا يَبقى لهم شيء، ولا يَطمع الناس فيهم، وتَبطُل خلافتُهم الباطلة! ولأجل ذلك وَضَعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «**نحنُ معاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ، ما تركناهُ صدقةٌ**»!)[1].

وللعقلاء أن يسألوا: أيُّ الأمرين مفترًى موضوع: حديثٌ رواه عشرة من الصحابة منهم ثمانية من المشهود لهم بالجنة، وأخرجه الإمامان العظيمان البخاري ومسلم، أم رواياتُ هذا المجلسي وأمثاله التي أغلبها مرسَلات ومُعْضَلات ومُنْقَطعات، وأسانيدُ كثير منها قائم على المتروكين والهالكين ودعاة الرفض والبدع؟!.

وأما طعنُه على الصديق الأكبر في ورعه وأمانته؛ فتلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها، وهي شِنْشِنةٌ نعرفُها من أَخْزَمَ، وطهارةُ سيرة أبي بكر قد عرفها القاصي والداني وسارت بعبيرها الركبان مسير الشمس!.

٦ - وعلى هذا مشى الرافضة قديماً وحديثاً حتى عصرنا، فهذا الخُميني يقول في كتابه «كشف الأسرار»:

---

(١) حق اليقين، للمجلسي، ص ١٩١ «مطاعن أبي بكر»؛ الشيعة وأهل البيت، ص ٨٥.

(طبقاً لقانون الإرث من وجهة النظر القرآنية، فإن فاطمة الزهراء بنت رسول الله كانت أحقَّ بتركة النبي، ولكن أبا بكر بعد أن صار خليفة خالَفَ حُكْمَ القرآن الصريح، وحَرَمَها من التركة، وعَرَض على الناس حديثاً نَسبه إلى الرسول يقول فيه: «**إنا معشرَ الأنبياء لا نُورث ما تركْنَاهُ صدقةٌ**»)[١].

وهو كلام مكرر وصورة عن الافتراء الذي دَرَج عليه أسلافه من لَدُن الكُلِيني وابن بابوَيْه القُمِّي، ومَن بعدهم.

والأحاديث في أنه ﷺ لا يورث صحيحة مستفيضة بل متواترة[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، للشيخ محمد منظور النعماني.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٤٥/٢.

الباب العاشر

الوَدَاع

- إخبارُ النبيِّ ﷺ فاطمةَ بأنَّها أولُ أهلِهِ لحوقاً به، ومدةُ حياتِها بعدَه.
- قصةُ وفاتِها وتغسيلِها وتكفينِها.
- موقفُ أبي بكرٍ وعمرَ عند وفاةِ السيِّدةِ الزَّهراء، ومَنْ صلَّى عليها.
- عمرُهـا المبـاركُ، وموضـعُ قبرِهـا، وحـزنُ المسلمين عليها.

• • •

الفصل الأول

إخبار النبي ﷺ فاطمة بأنها أول أهله لحوقاً به، ومدة حياتها بعده

بعد وفاة رسول الله ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى، كانت السيدة فاطمة تستشعر أن أيامها في هذه الدنيا باتت قليلة، وذلك لأن أباها ﷺ كان قد أخبرها بأنها أولُ أهله وفاةً ولحوقاً به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ففي حديث عائشة عن فاطمة قالت: حدثني - ﷺ -: «**أن جبريلَ كان يُعارِضُه بالقرآن كلَّ عام مرةً، وإنه عارَضَه به في العام مرتين، ولا أُراني إلا قد حَضَر أَجَلي، وإنكِ أولُ أهلي لُحوقاً بي، ونِعْمَ السلفُ أنا لكِ**».

وفي رواية: (أخبرني أنه ميِّتٌ من وجعِه هذا فبَكَيْتُ، ثم أَخبرني أني أسرعُ أهله لحوقاً به)[1].

وقد عاشت فاطمة بعد أبيها ﷺ ستة أشهر على الصحيح، وقيل: أقل من ذلك.

---

(١) تقدم تفصيل ذلك: ص ٢٨٩ - ٢٩٠ في هذا الكتاب. وانظر: البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤).

- عن عروة، عن عائشة قالت: توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر[١].

ومثله في «صحيح البخاري» وغيره، عن الزهري[٢].

قال الواقدي: وهو الثَّبْت عندنا[٣].

وقال النووي وابن كثير وابن حجر: هو الصحيح[٤].

- وقيل: مكثت بعد النبي ﷺ شهرين، وقيل: ثلاثة، وقيل: ثمانية، وقيل غير ذلك، والصحيح ما تقدم[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) الحلية: ٤٢/٢ ـ ٤٣؛ المعرفة والتاريخ: ٣٣٣/٣؛ المستدرك: ١٦٢/٣؛ تهذيب الكمال: ٢٥١/٣٥.

(٢) الفتح: ٥٢٤/٩، شرح الحديث (٤٢٤٠)، ٧١٦/٨ (٣٧٦٧).

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٨/٨؛ تهذيب الكمال: ٢٥٢/٣٥.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات: ٣٥٣/٢؛ البداية والنهاية: ٣٣٤/٦؛ الفتح: ٧١٦/٨.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢؛ الاستيعاب: ٣٦٧/٤ ـ ٣٦٨؛ وانظر: الحاشية السابقة.

الفصل الثاني

قصة وفاتها وتغسيلها ونعشها

ـ عن فاطمة رضي الله عنها: أنها قالت لأسماءَ بنتِ عُمَيْس: (يا أسماءُ، إني قد استقبحتُ هذا الذي يُصنَعُ بالنساء، يُطْرح على المرأة الثوب فيصفُها! فقالت أسماء: يا ابنةَ رسول الله ﷺ، أَلَا أُريكِ شيئاً رأيتُه بالحبشة؟ فدَعَتْ بجرائدَ رطبةٍ فحنَّتْها، ثم طَرحَتْ عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسنَ هذا وأجمَلَه! تُعرف به المرأةُ من الرجل؛ فإذا أنا مُتُّ فاغْسِليني أنتِ وعليٌّ، ولا تُدخِلي علَيَّ أحداً، ثم اصنعي بي هكذا. فلما توفِّيت، صُنع بها ما أَمَرتْ بعد أن غسَّلَتْها أسماءُ وعليٌّ رضي الله تعالى عنهما)[1].

وعن ابن عباس قال: (مرِضَتْ فاطمة مرضاً شديداً، فقالت لأسماء بنت عُمَيْس: ألَا ترينَ إلى ما بَلَغْتُ، أُحمل على السَّرير ظاهراً! فقالت أسماء: أَلَا لعمري، ولكن أصنَعُ لك

---

(١) الحلية: ٤٣/٢؛ أسد الغابة: ٥٢٤/٥؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢ ـ ١٢٩؛ سبل الهدى والرشاد: ٤٩٤/١١.

نَعْشاً كما رأيتُ يُصنع بأرض الحبشـــة، قالت: فأَرِينيه، قالت: فأرســلَتْ أســماءُ إلى جرائد رطبة فقُطعت من الأَسْـوَاف[(١)]، وجَعلت على السرير نعشاً، وهو أول ما كان النَّعْش. فتبسَّمت فاطمة، وما رأيتُها متبسِّـمة بعد أبيها إلا يومئــذٍ، ثم حملناها ودفنَّاها ليلاً)[(٢)].

قال ابن عبد البـرّ: (فاطمة ﵂ أولُ مَن غُطِّي نَعْشُــها من النســاء في الإســلام على الصفة المذكورة في هذا الخبر، ثم بعدها زينب بنت جَحْش صُنع ذلك بها أيضاً)[(٣)].

وعن أم جعفر زوجة محمد بن علي الباقر قالت: حدثتني أســماء بنت عُميس، قالت: (غَسَّــلْتُ أنا وعلــيٌّ فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ)[(٤)].

ـ وقد ورد في «مســند أحمد» وغيره: عن سَلمى أم رافع قالت: (مرِضَتْ فاطمةُ بنت رســول الله ﷺ عندنــا، فلما كان اليوم الذي توفِّيتْ فيه خرج عليٌّ، قالت لي: يا أُمَّهْ، اســكُبي لي غُسْلاً، فَسكَبتُ لها فاغتسلَتْ كأحسنِ ما كانت تغتسِلْ، ثم

---

(١) موقع من حَرَم المدينة، شمالي البَقيع.
(٢) المستدرك: ١٦٢/٣؛ طبقات ابن سعد: ٢٨/٨.
(٣) الاستيعاب: ٣٦٧/٤.
(٤) المستدرك: ١٦٣/٣ ـ ١٦٤.

قالت: ائتِنــي بثيابي الجُــدُد، فأتيتُها بها، فلبسَــتْها ثم قالت: اجعلي فِراشــي وَسَــط البيت، فجعلتُــه، فاضْطَجعَــتْ عليه واسْــتَقبلَتِ القبلةَ، ثم قالت لي: يا أمَّه، إني مقبوضةٌ الساعة، وقد اغتسلتُ، فلا يَكشــفِنَّ أحدٌ لي كَنَفاً. قالت: فماتت، فجاء علي فأخبرتُه، فقال: لا والله لا يَكشِفُ لها أحدٌ كَنَفاً. فاحتملَها فدفَنَها بغُسْلها ذلك!)[1].

وهو خبر منكر ضعيف، قال الذهبي: هذا منكَر، وقال ابن كثير: ضعيــف لا يُعوَّل عليه[2]. وضعَّفَه شــعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند».

قال ابن الأثيــر: والصحيح أن عليّاً وأســماء بنت عُميس غسَّلاها[3].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦١٥)؛ وابن سعد: ٢٧/٨ ـ ٢٨.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٢٩/٢؛ البداية والنهاية: ٣٣٣/٦.
(٣) أسد الغابة: ٥٢٥/٥.

موقف أبي بكر وعمر عند وفاة السيدة الزهراء، ومن صلَّى عليها

•• كانت علاقات الأخوة الصادقة المخلصة هي السائدة بين الصحابة ﷺ، وبخاصة من أكابرهم مع آل بيت رسول الله ﷺ، فالخليفة أبو بكر وأهل بيته على اتصال دائم ومتابعة تامة وإحسان مستمر لفاطمة وبنيها، والاطمئنان على أحوالها وصحتها، فزوجةُ الصديق الصحابية الجليلة أسماء بنت عُميس هي التي كانت تمرِّض فاطمة عليها السلام في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة، وشاركت في غَسْلها وتجهيز نعشها وترحيلها إلى مثواها.

وقد أقرت بذلك كتب الشيعة أنفسهم:

ففي «الأمالي» للطوسي: (وكان علي يمرِّضها بنفسه، وتُعينه على ذلك أسماءُ بنت عُميس رحمها الله على استمرار بذلك)[(١)].

وفي «جلاء العيون» لباقر المَجْلِسي: و(وَصَّتْها بوصايا في كفَنِها ودَفْنِها وتشييع جنازتها، فعملت أسماء بها).

---

(١) الأمالي، لأبي جعفر الطوسي: ١/١٠٧.

وفيه: (وهي التي كانت عندها حتى النَّفْس الأخير، وهي التي نَعَتْ عليّاً بوفاتها)[١].

وفي «كشف الغُمَّة» للأَربلي: (وكانت شريكة في غَسْلها)[٢]. يعني أسماء بنت عميس.

وجاء في كتاب سُلَيْم بن قيس[٣] ـ وهو من الكتب المقدَّمة عند الشيعة ـ: (فمرِضَتِ ـ أي فاطمة ـ وكان عليٌّ عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلّى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟).

وفيه أيضاً: (ولمَّا قُبضت فاطمة من يومها، فارتجَّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودَهِشَ الناس كيوم قُبض فيه رسول الله، فأَقبل أبو بكر وعمر يعزِّيان عليّاً ويقولان: يا أبا الحسن، لا تَسبِقْنا بالصلاة على ابنة رسول الله!)[٤].

(١) جلاء العيون، ص ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٢.
(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، لعلي بن عيسى الأربلي: ١/٥٠٤.
(٣) سليم بن قيس: الهلالي العامري الكوفي (توفي نحو ٨٥هـ)، من أصحاب علي بن أبي طالب، له «كتاب السقيفة» طبع باسم «كتاب سليم بن قيس الكوفي»، وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة.
(٤) كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٣، ٣٥٥. وانظر: الشيعة وأهل البيت، ص ٧٥ ـ ٧٦.

وإنما نذكر هذا من كتب الشيعة لإقامةِ الحجة عليهم مما في كتبهم؛ على تأكيد العلاقات الحميمة بين الصحابة عامة، وبينهم وبين آل بيت النبي ﷺ خاصة، وأن الصحابة الكرام قد حَفِظوا وصية رسول الله ﷺ في أهل بيته، ورعوها حق رعايتها.

- وقد جاء في «الصحيحين»: من حديث ابن شهاب الزهري، عن عروة، عن عائشة: (فلما تُوفِّيتْ دفَنَها زوجُها عليُّ بن أبي طالب ليلاً، ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر، وصلّى عليها علي ﵁)[1].

وهذا من إرسال الزهري كما تقدم في «قصة الهجران»، وقد ذكر ابن سعد[2] (ثماني طرق) من مرسل الزهري وغيره، وموصولاً عن عائشة وابن عباس: (أن فاطمة دُفنت ليلاً، دَفَنها عليٌّ)، ولم يَذكر في طريق واحدة قوله: (ولم يُؤْذِنَ بها أبا بكر).

قال الحافظ: (دُفنت ليلاً، وكان ذلك بوصيةٍ منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يُعْلِم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه، وليس في الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يَعلم بموتها ولا صلَّى عليها)[3].

---

(١) البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)؛ ومسلم (١٧٥٩).

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٩/٨ ـ ٣٠.

(٣) الفتح: ٥٢٤/٩، شرح الحديثين (٤٢٤٠ و٤٢٤١).

والروايات التي قدَّمناها تدلُّ بصراحة على أن أسماء بنت عُميس زوجة الصديق لم تَزَلْ تمرِّض فاطمة إلى آخرِ حينٍ من حياتها، وغسَّلَتْها بمشاركة عليٍّ رضي الله عنه، فكيف يمكن أن لا يَعلم أبو بكر بحالها؟! والظاهرُ الذي لا يُتصَوَّر خلافُهُ أنها لم تفعل ذلك إلا بأمر أو بإذن من زوجها أبي بكر رضي الله عنه[1].

ويقول ابن التركماني المارديني في «الجوهر النقي» ناقلاً عن «خلافيات البيهقي»: (وورعُ أسماء يمنعُها أن لا تستأذنه)[2].

•• واختلفت الروايات في من صلّى عليها:

- فذكرت بعض الروايات: أن عليّاً صلّى على فاطمة[3].
- وفي رواية: عن عَمرة بنت عبد الرحمٰن قالت: صلّى العباس بن عبد المطلب على فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ، ونَزل في حفرتها هو وعليٌّ والفَضْل بن العباس[4].
- وفي الرواية الثالثة: أن الذي صلّى عليها هو أبو بكر الصديق.

(١) انظر: تكملة فتح الملهم: ٣/٦٠، ٦١.
(٢) الجوهر النقي في الرد على البيهقي: ٣/٣٩٦.
(٣) طبقات ابن سعد: ٨/٢٩، ٣٠.
(٤) طبقات ابن سعد: ٨/٢٩؛ الاستيعاب: ٤/٣٦٧ ـ ٣٦٨.

أخرج البيهقي: عن مجالد، عن الشعبي: (أن فاطمة ﵂ لما ماتت دَفَنها عليٌّ ﵁ ليلاً، وأَخذ بِضَبْعَي أبي بكر الصديق ﵁، فقدَّمه يعني في الصلاة عليها)(١).

وأخرج ابن سعد: عن إبراهيم النَّخَعي قال: (صلَّى أبو بكر الصديق على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فكَبَّر عليها أربعاً)(٢).

وأخرج الخطيب البغدادي في «رواة مالك»: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: (ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر وعمر ليصلُّوا، فقال أبو بكر لعليٍّ بن أبي طالب: تقدَّمْ، فقال: ما كنتُ لأتقدمَ، وأنت خليفة رسول الله ﷺ! فتقدَّم أبو بكر وصلّى عليها)(٣).

وأخرج المحب الطبري في «الرياض النَّضِرة»: عن زين العابدين علي بن الحسين قال: (ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضَرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبدالرحمٰن بن عوف، فلما وُضِعَتْ ليُصلَّى عليها قال عليٌّ ﵁: تَقَدَّمْ يا أبا بكر! قال: وأنت شاهدٌ يا أبا الحسن؟!

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي: ٤/٢٩؛ وبأخصر منه عند ابن سعد: ٨/٢٩.
(٢) طبقات ابن سعد: ٨/٢٩.
(٣) كنز العمال: ٦/٣١٨، حديث (٥٢٩٩).

قال: نعم، تقدَّمْ فوالله لا يُصلي عليها غيرُك، فصلَّى عليها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين، ودُفنت ليلاً)[١].

فهذه أربعة مراسيل يشدُّ بعضها بعضاً في أن الخليفة أبا بكر هو الذي صلى عليها.

وتعارضت الروايات في مَنْ صلى على فاطمة بين أبي بكر وعلي والعباس ﷺ، فلا يمكن الجزم بواحدة منها، غير **أن القياسَ يقتضي أن يصلي عليها أبو بكر الصديق ﷺ؛ لكونه إمامَ وقته، وأميراً للمؤمنين، وخليفةً لرسول الله ﷺ، وكان الصحابةُ وخاصة بني هاشم يفوِّضون الصلاةَ على الأموات إلى الخلفاء والأمراء**[٢].

●● وذكر **الرافضي ابن المُطَهَّر الحِلِّي** قصة ميراث (فَدَك)، وغضب السيدة فاطمة من أبي بكر والصحابة الذين وافقوه على أنه ﷺ لا يُورَث، ثم قال ابن المُطَهَّر:

(فلما حَضَرتْها الوفاةُ أوصَتْ عليّاً أن يدفنَها ليلاً، ولا يَدَعَ أحداً منهم يصلي عليها!)[٣].

(١) الرياض النضرة: ١٥٦/١.
(٢) انظر: تكملة فتح الملهم: ٦١/٣ ـ ٦٢.
(٣) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٥٦/٢.

وقد ردَّ شيخ الإسـلام ابن تيمية على هذا الكذب بكلام نفيس، فقال رحمه الله:

(ما ذكره من إيصائها أن تُدفن ليلاً ولا يُصلِّي عليها أحدٌ منهم، لا يحكيه عن فاطمة ويحتجُّ به إلا رجل جاهلٌ يَطْرُق[1] على فاطمة ما لا يليق بها! وهذا لو صَحَّ لكان بالذنب المغفور أَوْلَى منه بالسعي المشكور؛ فإن صلاة المسلم على غيره زيادةُ خيرٍ تصِل إليه، ولا يَضرّ أفضلَ الخَلْق أن يصلي عليه شرُّ الخلق، وهذا رسـول الله ﷺ يصلي عليه ويسلِّم عليه الأبرار والفجار والمنافقون، وهذا إنْ لم ينفعه لم يضره، وهو يعلم أن في أمته منافقين، ولم ينهَ أحداً من أمته عن الصلاة عليه، بل أمر الناسَ كلهم بالصلاة والسَّلام عليه، مع أن فيهم المؤمنَ والمنافق، فكيف يُذكر في مَعْرِض الثناءِ عليها والاحتجاجِ لها مثلُ هذا الذي لا يحكيه ولا يحتج بـه إلا مُفْرِط في الجهل! ولو وصَّى موصٍ بأن المسلمين لا يُصلُّون عليه لـم تُنفَّذْ وصيتُه، فإن صلاتهم عليه خيرٌ له بكل حال.

---

(١) في: المعجم الوسيط، ص ٥٥٥: (طَرق الكلامَ: عَرض له وخاضَ فيه). وفي: لسان العرب: ٢١٦/١٠: (من أمثال العرب التي تُضرب للذي يَخلط في كلامه ويتفنن فيه قولهم: اطْرُقي ومِيشِي. والطرق: ضرب الصوف بالعصا. والمَيْشُ: خلطُ الشعر بالصوف).

ومن المعلوم: أن إنساناً لو ظَلَمه ظالم، فأوصَى بأن لا يصلِّي عليه ذلك الظالم، لم يكن هذا من الحسنات التي يُحمد عليها، ولا هذا مما أمر الله به ورسوله، فمن يَقصد مَدْحَ فاطمة وتعظيمَها، كيف يَذكر مثل هذا الذي لا مدحَ فيه، بل المدحُ في خلافه، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع!)[1].

❁ ❁ ❁

(١) منهاج السُّنَّة النبوية: ٦٦٨/٢ ـ ٦٦٩.

الفصل الرابع

عمرها المبارك، وموضع قبرها، وحزن المسلمين عليها

أولاً: عمرها:

- قال المَدَائنيُّ: ماتت ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خَلَوْن من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنةُ تسع وعشرين سنة، وُلدت قبل النبوة بخمس سنين[1].

وعن الواقدي مثله دون الجملة الأخيرة، وكذا قال ابن الأثير[2].

- وقال سعيد بن عُفير: ماتت ليلة الثلاثاء لثلاث خلَون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنتُ سبع وعشرين سنة أو نحوها[3].

- وقال الذهبي: عاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة،

---

(١) تهذيب الكمال: ٣٥/٢٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ٨/٢٨؛ أسد الغابة: ٥/٥٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/١٢٨.

وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة، والأول أصح.

وكذا صححه في «تاريخ الإسلام» فقال: الصحيح أن سنَّها أربع وعشرون سنة[١].

ـ وقال أبو بكر بن أبي شيبة: توفيت فاطمة وهي بنت سبع وعشرين سنة.

وقال ابن إسحاق: توفيت وهي بنت ثمان وعشرين سنة.

وقال أبو جعفر الباقر مثله[٢].

وقيل غير ذلك[٣].

قلت: وُلدت فاطمةُ وقريش تبني الكعبة قبل البعثة بخمس سنين، وعُمُر النبي ﷺ (٣٥ سنة)، وعُمُرها خمس سنوات[٤]، وعاشت الفترة المكيّة (١٣ سنة)، وتوفيت بعد أبيها ﷺ بستة أشهر، سنة (١١هـ)؛ فيكون عمرها على الصحيح (٢٩ سنة).

وتصحيح الذهبي أن سِنَّها (٢٤ سنة) فيه نظر طويل!.

(١) سير أعلام النبلاء: ١٢١/٢ ـ ١٢٢؛ تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين»، ص ٤٨.
(٢) مجمع الزوائد: ٢١١/٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٢٨/٢.
(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ١٦ ـ ١٧؛ الاستيعاب: ٣٦٨/٤.
(٤) انظر ما تقدم: ص ٣٧ في هذا الكتاب.

ثانياً: قبرها:

دُفنت رضي الله عنها بالبَقيع.

قال الواقدي: سألتُ عبدالرحمٰن بن أبي الموالي، قلت: إن الناس يقولون: إن قبر فاطمة عند المسجد الذي يصلُّون إليه على جنائزهم بالبقيع؟ فقال: والله ما ذاك إلا مسجد رقية ـ يعني امرأة عثمان ـ وما دُفنت فاطمة إلا في زاوية دار عَقيل مما يلي دار الجَحْشِيِّين ـ بني جَحْش ـ مستقبلَ خَرْجة بني نبيه من بني عبدالدار بالبقيع، وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع[1].

ثالثاً: حزن عليٍّ والمسلمين عليها:

ما إنْ توفِّيت الزهراءُ عليها السلام حتى شاع الخبر في أرجاء المدينة المنوّرة فاهتزَّت للحادث الجَلَل، وخيَّم الحزنُ على جوانبها ونواحيها، وتصبَّر الصحابة واصطَبَروا لفقدِ آخِر الأنفاس الطاهرة من أولاد النبي الأعظم ﷺ، واضطربت لفقدِها القلوب، وذَرفت العيون دموعَها السخية، واستسلم الجميع لقضاء الله وقدره.

ويصِفُ عبدالله بن عباس المشهد فيقول: (قُبِضتْ فاطمة

(١) طبقات ابن سعد: ٨/٣٠؛ الإصابة: ٤/٣٦٨.

من يومها، فارتجَّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودَهِشَ الناس كيوم قُبض فيه رسول الله ﷺ [١].

وأما زوجُها علي رضي الله عنه فما إنْ نَفض يديه من تسوية التراب على قبرها، حتى وقف مذهولاً، وقال كالمناجي رسولَ الله ﷺ عند قبره الشريف:

(السلامُ عليكَ يا رسولَ الله عنِّي وعن ابنتِك النازلةِ في جِوارك، والسريعةِ اللَّحاقِ بك! قَلَّ يا رسولَ الله عن صَفِيَّتِكَ صَبْري، ورَقَّ عنها تجلُّدي، إلا أنَّ في التأسِّي لي بعظيمِ فُرْقتك وفادحِ مُصِيبَتِك موضعَ تَعَزٍّ! فلقد وَسَّدْتُك في مَلْحُودةِ قبرك، وفاضَتْ بين نَحْري وصَدْري نفسُك، فإنَّا للهِ وإنا إليه راجعون، فلقد استُرجِعَتِ الوديعةُ وأُخِذَتِ الرَّهِينةُ!.

أمَّا حُزْني فَسَرمدٌ، وأما لَيْلي فَمُسَهَّدٌ، إلى أن يختارَ الله لي دارَك التي أنت بها مُقِيمٌ... والسلامُ عليكما سلامَ مُوَدِّعٍ لا قالٍ ولا سَئِمٍ، فإنْ أَنصرِفْ فلا عن مَلَالةٍ، وإنْ أُقِمْ فلا عن سُوءِ ظَنٍّ بما وَعَد الله الصابرين)[٢].

---

(١) تقدم الخبر بتمامه: ص ٣٤٦ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٤٣٤/٥.

وأَنشد:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلَيْن فُرْقةٌ وكلُّ الـــذي دونَ الفِراق قليلُ
وإنْ افْتِقادي واحداً بعدَ واحدٍ دليلٌ على أنْ لا يَـــدومَ خليلُ[1]!

❁ ❁ ❁

(١) المستدرك: ٣/١٦٣.

الخاتمة

أصلٌ شريفٌ، ونَسب مُنيف، وفطرة طاهرة، وأسرة فذَّة، وقرآنٌ يُتلى، وحديثٌ شريف يتردَّد، وقدوةٌ عليا، وتربية نبوية، وبيئة جادة صارمة، ورسالة سامية؛ كل ذلك تعاضَدَ وتكامَلَ ليُنشِئ تلك الزهرة الزهراء التي أشرقَتْ في سماء خيرِ أسرةٍ شهدها التاريخ... إنها فاطمة البَتُول بنتُ النبي الرسول ﷺ.

أكرمَ الله نبيَّه ﷺ بها لتكون قَبَساً من نوره وقدوةً لنساء أمته، فكانت كما أرادها الله تعالى وما أراده لها، هي بنتُ نبيٍّ في النسب الزكي، وبنتُه في الشمائل والأخلاق وجلائل الأعمال، فكانت كما وصفها أبطَنُ الناس بها، وكما هي في حقائق الحياة ووقائع الأفعال؛ صورة متكاملة عن أبيها ﷺ: تُشبهه في كلامه وحديثه وجِلسته ومِشيته، وأيضاً في هَدْيه ودَلِّه وسَمْتِه وطريقته وسيرته وسكينته ووقاره وجميع شمائله.

كانت السيدة البتول عليها السلام نِعْمَ البنتُ في نشأتها، ونعمَ البنتُ في آدابها وأخلاقها وأعمالها ومواقفها من أبويها

ومن دينها، ثم نِعْمَ الزوجةُ في بيت الزوجية، ونِعْمَ الأم التي تحضن صغارها وتربِّيهم على أخلاق أبيها وأبيهم، فكانوا خِياراً من خِيار.

كذلك كانت نِعْمَ المثلُ الأعلى والقدوة المثلى للفتاة المسلمة والأم المؤمنة في مختلِف أطوار حياتها وجميع أمورها داخل بيتها وخارجه، في أيام الدعوة العصيبة بمكة المكرّمة، ووقت هجرتها وما احْتَفَّ بها من مشقات، وفي سِنِي الإسلام بالمدينة المنوَّرة.

هذه السيدة الجليلة بنت رسول الله ﷺ كانت قُرَّة عينِ أبيها في حياتها كلها وأعمالها كافة وشمائلها جميعاً؛ عاشت كما عاش ﷺ عابدةً زاهدةً، صابرةً محتسبةً، راضيةً قانعةً... تخدم أباها وتقف معه في أيام الدعوة والكفاح الصبور، ولا تغيب عنه في مشاهده وغزواته، وصباحه ومسائه، وغدواته وروحاته، وترعى أولادها وتقوم بحقِّ زوجها، وتؤدي واجبات بيتها، وتتبتَّلُ بالصلاة والقيام وتلاوة القرآن بين يدي مولاها... وهي بين هذا وذاك تطحن بالرَّحَى وتعجن عجينَها وتخبز خبزها، وتَقُمُّ بيتَها، وتُعيل أطفالها، وتأوي إلى بيت لو رآه الرائي لعَصَرَ عينَيْه؛ ما فيه من زينة الدنيا إلا ما يسدُّ الرَّمَق ويَستر الجسد ويدفع غوائلَ الحياة، ولربَّما مرَّ عليها مع أسرتها اليوم واليومان

وليس عندهم ما يأكلونه، حتى يسعى الزوج ليوفّر تمراتٍ أو دُريهمات يدفع بها الجوع عن نفسه وزوجه وأولاده!.

ومع كل ما قاسَتْه الزهراء من لَأْواء، وما واجهَتْه من مِحَنٍ وابتلاء، وقفتْ كالطود شامخةً راضيةً، ما تبرَّمت بأمر ولا ضَجِرت من حَدَث ولا شَكَت لأحدٍ، وصُبَّ عليها من البلاء ما هو أعظم وأقسى من جميع ما سبق؛ ففَقَدَتْ إخوتها الصغار: القاسم وعبد الله وإبراهيم، ويا لَها من نازلةٍ! ثم ثَكِلَتْ أمَّها؛ وأَعْظِمْ بها من مصيبة! ثم أَخذ الموت من حياتها أخواتها الثلاث: رقية وأم كلثوم وزينب، وفي هذه النوازل ما فيها من ألوان البلاء، وما يَعلمه ويَقْدُره حَقَّ قدْرِه كلُّ مَن فَقَد عزيزاً حبيباً، فكيف بمن فَقدَتْ جميعَ الأحبة ذُكراناً وإناثاً، إخواناً وأمّاً وأخوات؟! ثم كانت فاجعتُها الأكبر بموت أبيها ﷺ الذي كان يملأ عليها جميع حياتها، وما ذاك إلا ليُعْلِي الله تعالى منزِلتها ويرفَعَ مكانتها... ولم تمكث بعد ذلك إلا يسيراً، وما هي إلا أشهر ستة حتى لَحِقَتْ بأبيها ﷺ في علّيّين مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً.

حياةٌ ملء السمع والبصر والزمان والمكان كَتبَتْ فيها السيدة الزهراء رائعةً من أروع سِيَر النساء على مرِّ الدهر...

دَوَّنَتْها بأقوالها وأفعالها وخصالها وشمائلها وأعمالها ومواقفها، وجَمَّلَتْها بصبرهـا ومصابرتها ورضاهـا وقناعتها مع دموعها ودعواتها... فتركَتْ لنـا ملحمةً خالدة هي سـيرةُ واحدةٍ من سيدات نسـاء العالمين وسيدات نساء أهل الجنة، ومكثت في تسطيرها تسـعاً وعشـرين سـنة بأيامها ولياليها، كلّها أعمال ومفاخر ومناقب، منـذ أن وَعَتْ على الحيـاة بمكة المكرّمة وإلى أن وُورِيت الثَّرى في بَقيع المدينة المنوّرة.

إنَّ من حقِّ رسـولنا ﷺ علينا ومن حقّ (البَضْعَةِ النبوية)، كما أنه من حقِّ الإسـلام وواجبـات الوفاء لديننـا: أن نبذل المُهج والأرواحَ، ونسـخِّر الأقلام والأوقات؛ في تجلية سيرة (هذا النـور) الذي هو قبس من (أنوار النبـوة)، لا للتفاخر به وحسـب، بل ليكونَ لنا هادياً ودليلاً يبدِّد ظلماتِ ليلِ حياتنا التي تعاونَتْ في نَسْجِها ونشرِها ظلماتُ (ما يسمَّى بالحضارة) لتقديم (قدوات!) لبناتنا، لا صلةَ لهنَّ بنا لا في النَّسـب، ولا في البيئة، ولا في السـيرة والسـلوك، ولا في الثقافة والدين! كما تعاضَدتْ معهنّ أَلْسُـن وأقلام، وخطبـاء وقنوات وأفلام؛ لترويج (بضاعة الشـيطان) من المُهلكات وسـيئات الأعمال والأخلاق... وحاولَـتْ جاهدةً طَمْسَ أو تنحيـةَ تلك (المُثُل العليا) في تاريخنا القديم والحديث!.

ونكرر القول ونؤكِّده: إنه لمن أوجبِ الواجبات نشرُ سِيَر النســاء الفاضلات من أمتنا ـ وكثيرٌ ما هــنَّ ـ قديماً وحديثاً، وتمثِّل الســيدة البتول فاطمة الزهراء واحــداً من أروع وأورع وأبرع النماذج الحية في قلوبنــا وضمائرنا وتراثنا وحضارتنا، لتقديم سيرة حياتها زاداً لبناتنا وأخواتنا وزوجاتنا وأمهاتنا.

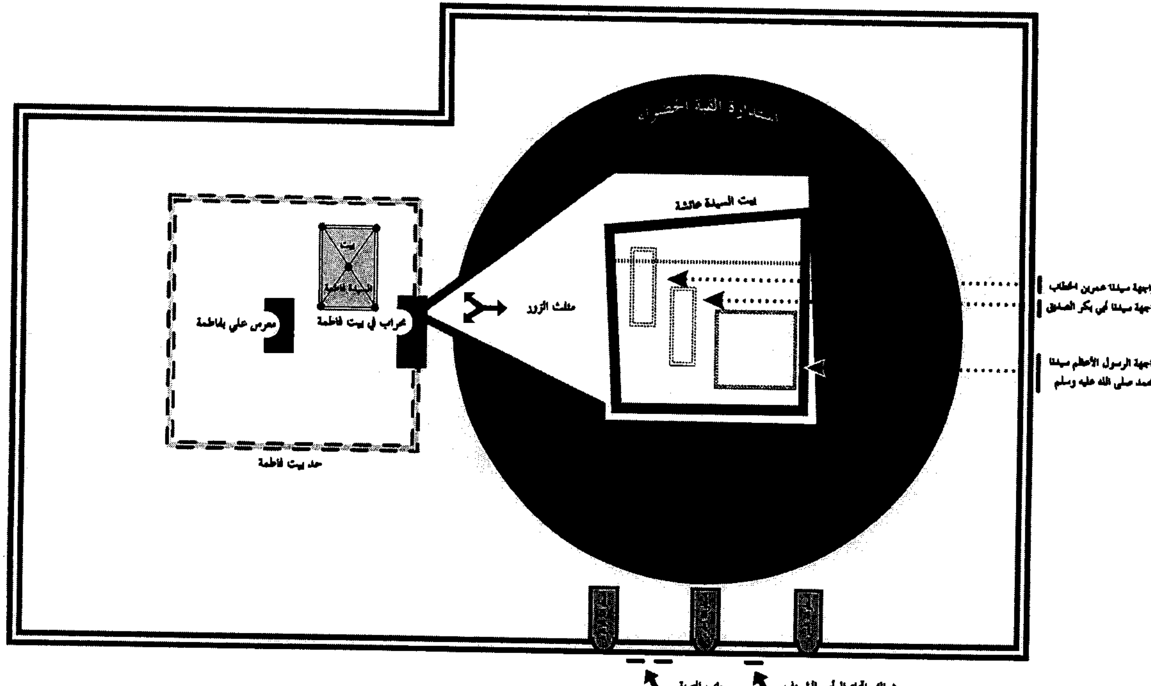
وإنه لمــن أعظمِ المفاخــر وأجَلِّ المآثِر أن ننتســبَ إلى الزهراء بالاقتداء والاتســاء وتســمية البنات باسمها وتربيتهن على هَدْيها وشمائلها ومسيرة حياتها.

وأَكْرِمْ به من نَســبٍ ووشــيجةٍ واتبــاعٍ يَصِلُنــا بآلِ بيت نبينا ﷺ، ثانــي (الثَّقَلَيْــن) اللذَيْن أوصانا ﷺ بهمــا؛ حفاوةً وإكراماً وإعظاماً وإجــلالاً واقتداءً ونصرةً... ويا لســعادة مَن يحظَى من ذلك بالنصيب الأوفر.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

عبد الستار الشيخ

صباح الجمعة المبارك
٩/ربيع الأول الأنور/١٤٣٥هـ
٢٠١٤/١/١٠م
دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة



أخذ هذا الرسم بتصرف عن مخطط حجرة الرسول الأعظم
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الصادر عن دار لبنان للطباعة والنشر

المراجع

١ ـ **أبو بكر الصديق**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٢ ـ **الأدب المفرد**، الإمام البخاري، باعتناء محمد هشام البرهاني ـ الإمارات العربية المتحدة.

٣ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البرّ، طبع مع الإصابة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، دار الفكر ـ بيروت.

٥ ـ **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، ملّا علي القاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦ ـ **الإشارة إلى سيرة المصطفى**، مغلطاي، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، دار القلم ـ دمشق.

٧ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٨ ـ **أصول الكافي مع الروضة**، الكليني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٩ ـ **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية**، د. ناصر بن عبدالله القفاري، دار الرضا ـ مصر.

١٠ ـ **أمالي الصدوق**، ابن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١١ ـ **أمالي المفيد**، المفيد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٢ ـ **أهل البيت**، محمود الشرقاوي، المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت.

١٣ ـ **أهل البيت بين الخلافة والملك**، د. وميض بن رمزي العمري، دار الكتاب الثقافي ـ الأردن.

١٤ ـ **بحار الأنوار**، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥ ـ **البداية والنهاية**، ابن كثير، مكتبة المعارف ـ بيروت.

١٦ ـ **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٧ ـ **تأويل مختلف الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق محمد الأصفر، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٨ ـ **تاريخ الإسلام**، الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٩ ـ **التاريخ الأوسط**، الإمام البخاري، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي ـ الرياض.
٢٠ ـ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢١ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض.
٢٢ ـ **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر.
٢٣ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المباركفوري، دار الحديث ـ القاهرة.
٢٤ ـ **الترغيب والترهيب**، المنذري، باعتناء مصطفى عمارة، دار الحديث ـ القاهرة.
٢٥ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، دار ابن كثير ـ دمشق.
٢٦ ـ **تنزيه الشريعة**، ابن عراق، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٧ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٨ ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، دار الفكر ـ بيروت.
٢٩ ـ **تهذيب الكمال**، المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣٠ ـ **جامع الأصول**، ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر ـ بيروت.

٣١ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٣٢ ـ **جمهرة أنساب العرب**، ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٣ ـ **جوامع السيرة ومعها خمس رسائل أخرى**، ابن حزم، دار المعارف ـ مصر.

٣٤ ـ **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٥ ـ **حياة الصحابة**، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم ـ دمشق.

٣٦ ـ **خديجة بنت خويلد**، د. محمد عبده يماني، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٣٧ ـ **خديجة بنت خويلد**، عبد الحميد طهماز، دار القلم ـ دمشق.

٣٨ ـ **الدوحة النبوية الشريفة**، د. فاروق حمادة، دار القلم ـ دمشق.

٣٩ ـ **رجال الكشي**، محمد بن عمر الكشي، اختيار شيخ الطائفة الطوسي ـ طهران.

٤٠ ـ **الرسالة المحمدية**، سليمان الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٤١ ـ **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، ابن عقيلة المكي، الإمارات العربية المتحدة ـ جامعة الشارقة.

٤٢ ـ **سبل الهدى والرشاد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٤٣ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٤٤ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٤٥ ـ **السُّنَّة**، ابن أبي عاصم، تحقيق وتخريج الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٤٦ ـ **السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية**، د. عدنان زرزور، دار الأعلام ـ عمّان.

٤٧ ـ **السنن الأربعة**، لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية ـ دمشق، بيروت.

٤٨ ـ **سنن الدارمي**، الدارمي، تحقيق فواز زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٤٩ ـ **السنن الكبرى**، البيهقي، وبذيله: **الجوهر النقي**، لابن التركماني، دار المعرفة ـ بيروت.

٥٠ ـ **السنن الكبرى**، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥١ ـ **سيدات بيت النبوة**، د. عائشة عبد الرحمٰن (بنت الشاطئ)، دار الحديث ـ القاهرة.

٥٢ ـ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥٣ ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٥٤ ـ **السيرة النبوية**، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٥٥ ـ **السيرة النبوية**، د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم ـ دمشق.

٥٦ ـ **شرح السُّنَّة**، البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٥٧ ـ **شرح صحيح مسلم**، النووي، دار أبي حيان ـ القاهرة.

٥٨ ـ **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٥٩ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٦٠ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦١ ـ **الشمائل المحمدية**، الترمذي، باعتناء عزت عبيد الدعاس، دار الحديث ـ بيروت.
٦٢ ـ **الشيعة وآل البيت**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، باكستان ـ لاهور.
٦٣ ـ **الشيعة والتشيع**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، باكستان ـ لاهور.
٦٤ ـ **الشيعة والسُّنَّة**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، باكستان ـ لاهور.
٦٥ ـ **الشيعة والقرآن**، إحسان إلٰهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، باكستان ـ لاهور.
٦٦ ـ **صب العذاب على من سب الأصحاب**، محمود شكري الآلوسي، تحقيق عبد الله البخاري، أضواء السلف ـ الرياض.
٦٧ ـ **صحاح السنن الأربعة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.
٦٨ ـ **صحيح البخاري**، طبعة السلطان عبد الحميد، دار الجيل ـ بيروت.
٦٩ ـ **صحيح الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧٠ ـ **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧١ ـ **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٢ ـ **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة ـ بيروت.

٧٣ ـ **الضعفاء الكبير**، العقيلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٤ ـ **ضعيف الجامع الصغير**، الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧٥ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، دار الفكر ـ بيروت.

٧٦ ـ **عصر الخلافة الراشدة**، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان ـ الرياض.

٧٧ ـ **علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ**، د. محمد عبده يماني، دار القبلة ـ جدة.

٧٨ ـ **علي بن أبي طالب**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٧٩ ـ **عمر بن الخطاب**، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٨٠ ـ **العواصم من القواصم**، ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل ـ بيروت.

٨١ ـ **عون المعبود شـــرح ســـنن أبي داود**، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الحديث ـ القاهرة.
٨٢ ـ **فاطمة الزهـــراء**، د. محمد عبده يماني، المنار ـ دمشـــق، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت.
٨٣ ـ **فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد**، السيد جواد الصافي الموسوي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٨٤ ـ **فاطمة بنت محمد قدوة النســـاء**، السيد علي عاشور، دار الهادي ـ بيروت.
٨٥ ـ **فتح الباري**، ابن حجر، دار أبي حيان ـ القاهرة.
٨٦ ـ **فتح الملهم وتكملته، شـــرح صحيح مسلم**، شبير أحمد العثماني ومحمد تقي العثماني، دار القلم ـ دمشق.
٨٧ ـ **الكامـــل في ضعفـــاء الرجال**، ابـــن عـــدي، دار الفكر ـ بيروت.
٨٨ ـ **كتاب المجروحين**، ابن حبان، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي ـ الرياض.
٨٩ ـ **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث**، برهان الدين الحلبي، تحقيق صبحي السامرائي، عالم الكتب ـ بيروت.
٩٠ ـ **لسان الميزان**، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٩١ ـ **مجمع الزوائد**، الهيثمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٢ ـ **مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان**، أبو عبد الله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة ـ الإمارات العربية المتحدة.

٩٣ ـ **محمد رسول الله ﷺ**، محمد الصادق عرجون، دار القلم ـ دمشق.

٩٤ ـ **مختصر تاريخ ابن عساكر**، ابن منظور، دار الفكر ـ دمشق.

٩٥ ـ **المرتضى علي بن أبي طالب**، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٩٦ ـ **المستدرك**، الحاكم، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩٧ ـ **مسند أحمد**، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٩٨ ـ **مسند أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٩٩ ـ **مسند أحمد (مرتَّب على الأبواب)**، ترتيب صالح أحمد الشامي، دار القلم ـ دمشق.

١٠٠ ـ **مسند الحميدي**، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، عالم الكتب ـ بيروت.

١٠١ ـ **مسند الطيالسي**، دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٢ ـ **مشكاة المصابيح**، الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٠٣ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر ـ بيروت.
١٠٤ ـ **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٠٥ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، علي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.
١٠٦ ـ **المطالب العالية**، ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار المعرفة ـ بيروت.
١٠٧ ـ **المعالم الأثيرة في السُّنَّة والسيرة**، محمد محمد حسن شراب، دار القلم ـ دمشق.
١٠٨ ـ **المعرفة والتاريخ**، الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة.
١٠٩ ـ **ملتقى الأصفياء في مناقب الإمام علي والسبطين والزهراء**، عبد الفتاح بن حسين المكي، مطبعة المدني.
١١٠ ـ **مناقب علي والحسنين وأمهما فاطمة الزهراء**، د. عبد المعطي قلعجي، دار الوعي ـ حلب.
١١١ ـ **المنتظم**، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١١٢ ـ **المنتقى من منهاج الاعتدال**، الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار عالم الكتب ـ الرياض.

١١٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ـ الرياض.

١١٤ ـ **الموضوعات**، ابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمٰن محمد عثمان، المكتبة السلفية ـ المدينة المنوّرة.

١١٥ ـ **موطأ مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١٦ ـ **ميزان الاعتدال**، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

١١٧ ـ **نبوءات الرسول ﷺ ـ دروس وعبر**، عبدالستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١١٨ ـ **نسب قريش**، مصعب الزبيري، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

١١٩ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

ـ وغير ذلك كثير من كتب الحديث وشروحه ومصطلحه، والتراجم والرجال، والتفسير، والتاريخ والأدب، ومعاجم اللغة، وكتب الشيعة.

❁ ❁ ❁

الفهرس

الباب الثاني
فاطمة في محاضن النبوة، تربية فريدة ومواقف شامخة

الباب الثالث
فاطمةُ الزَّهراءُ الزَّوجةُ المثاليةُ

الباب الرابع
شمائلُ الزَّهراءِ وأخلاقُها وعبادتُها

الباب الخامس
علمُ فاطمةَ، ومصحفُها ولوحُها المزعومانِ

الباب السادس
مناقبُ فاطمةَ ومنزلتُها

الباب السابع
أهلُ البيتِ الأطهارُ عليهم السَّلامُ

الباب الثامن
الزهراء مع النبيّ ﷺ في أيامه الأخيرة

الباب التاسع
السَّيِّدةُ فاطمةُ في خِلافةِ الصِّدِّيق

الباب العاشر

الوَدَاع